جامعة الجزائر-1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

منهج التعامل مع الغرائز الإنسانية في ضوء السنة النبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

إشراف الدكتور:

محمد عبد النبي

1432-1433هـ

2011-2012م

جامعة الجزائر-1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

منهج التعامل مع الغرائز الإنسانية في ضوء السنة النبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

إشراف الدكتور:

محمد عبد النبي

1432-1433هـ

2011-2012م

جامعة الجزائر-1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

منهج التعامل مع الغرائز الإنسانية

في ضوء السنة النبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

إشراف الدكتور:

محمد عبد النبي

لجنة المناقشة:

الأستاذ المناقش	الصفة	الدرجة العلمية	المؤسسة الأصلية
أ.د/ عزيز سلامي	رئيسا		
أ.د/ محمد عبد النبي	مقررا		
د/ نادية بونفقه	عضوا		
د/ حفيظة بلميهوب	عضوا		

1432-1433هـ = 2011-2012م

جامعة الجزائر-1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

منهج التعامل مع الغرائز الإنسانية

في ضوء السنة النبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

إشراف الدكتور:

محمد عبد النبي

لجنة المناقشة:

الأستاذ المناقش	الصفة	الدرجة العلمية	المؤسسة الأصلية
أ.د/ عزيز سلامي	رئيسا		
أ.د/ محمد عبد النبي	مقررا		
د/ نادية بونفقه	عضوا		
د/ حفيظة بلميهوب	عضوا		

1432-1433هـ = 2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من أوصى الله ببرهما والإحسان إليهما، فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾،

إلى والديَّ الكريمين على ما حفَّاني به من رعاية وعون وتشجيع . . .إليهما خالص محبتي وامتناني . . .

إلى كل أفراد أسرتي: أخي، واخواتي . . .

إلى زوجي العزيز، ولؤلؤتي : ءآلاء الرحمن، وعبد الله .

إلى شيخي وأستاذي الدكتور: " بشير مغلي" رحمه الله .

إلى كل مؤمن محب لسنة المصطفى ﷺ، متمسك بها، صامد في وجه المغريات والفتن . . .

. . .أهدي هذا العمل المتواضع .

حسينة

شكر وتقدير

وفي مقام الحمد والشكر والعرفان، أحمدُ اللهﷻ وأشكره أن هداني لمعالجة هذا الموضوع وأعانني ووفقني لإنجازه واستكماله، إنّه أهل الثّناء والحمد والمجد .

وأتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل المشرف فضيلة الشيخ الدكتور "**محمد بن عبد النبي**"، الذي تكرّم عليَّ بقبول الإشراف على هذا البحث، وبذَلَ الكثير من وقته وجهده في متابعته ومراجعته، ولم أجده بخل عليَّ بتوجيهاته وملاحظاته القيمة النفيسة، هذا إلى جانب حِلْمه وتواضعه العظيمين، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بجميل الشكر والعرفان لكل أستاذ جلستُ أنتهل من علمه وفضله وخُلقه، وأذكر منهم: الشيخ الدكتور: "محمود مغراوي" .

الشيخة الأستاذة: "مفيدة حواس" .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للعاملين بقسم الدراسات العليا بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر، على المساعدة التي تلقيتها منهم .

وكل آيات الشكر والامتنان لزوجي: عبد اللطيف على مساعدته لي، وصبره علي .

وأشكر كلّ من ساعدني في هذا البحث، وأخصّ منهم ذكراً: خليصة مزونر، نجوة طورش .

وأتوجه بالشكر الوافر لأخواتي: نسيمة، إكرام، نجوة، على مساعدتهنّ لي في كتابة صفحات هذا البحث .

جزى الله الجميع خيراً .

المقدمـــــــة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

إنّ أصدقَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمدﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب/70-71].

وبعد:

قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[المائدة/03]

انطلاقاً من الآية الكريمة، ندرك يقينًا أنّ الشريعة الإسلامية تتميز بخصائص، كالربانية والشمولية، والديمومة والكمال، فجاءت لتجلب المصالح وتدرأ المفاسد؛ وتصحح الأعراف وتعدل السلوك، وتحقق المقاصد الكبرى الخمس: حفظ الدين، العقل، النفس، العرض، والمال. فلا عبرة ـ إذن ـ بالقوانين الوضعية ما لم توافق شريعتنا الغراء، وتنضوي تحتها.

تعد قضايا علم النفس، أو الجوانب النفسية في الإنسان، وبالضبط الغرائز من أهم القضايا التي تناولتها شريعة الإسلام جملة وتفصيلاً؛ فلا تعوزنا النصوص – في هذا الباب – سواء في القرآن أو السنة النبوية، إنما يعوزنا توظيف هذه النصوص وتطويعها في شكل دراسات استقرائية، استنباطية، تأصيلية، مع الاستفادة ـ في آن واحد ـ مما وصلت إليه الدراسات الغربية في هذا المجال، بهدف وضع منظومة قوانين وأصول وضوابط، تكون بمثابة المرجع للفرد والمجتمع والدولة.

أهمية الموضوع:

حرص الإسلام أشدَّ الحرص على العناية بالنفس الإنسانية، وأولاها أهمية بالغة، فنظم لها أحكامًا تضمن لها العيش في كرامة وطمأنينة، كما أحلَّ لها أشياءً وحرَّم عليها أخرى، ويكفي أنَّ مقصد "حفظ

النفس" من المقاصد الكبرى الخمس؛ إذ تعد الغرائز إحدى الجوانب الملازمة للنفس الإنسانية، فهي جوهر داخلي مفطور عليه الشخص، لا يمكن إغفالها أو كبتها أو التغاضي عما يحيط بها. فهي ضرورة لحياة الإنسان، من مثل غريزة: الأكل والشرب والنوم، وغريزة الجنس لحفظ النسل، وغريزة التملك...وغيرها من الغرائز التي جُبل عليها الإنسان.

ولا شك أنَّ أهمية دراسة موضوع الغريزة تبرز في حاجة المجتمعات الإنسانية كأفراد وجماعات وهيئات إلى دراسات تأصيلية في ظل التشريع الإسلامي، تتجلى فيه حقيقة تعامل السنة النبوية مع قضايا ومشكلات الغريزة.

إشكالية البحث:

يتمحور البحث حول إشكالية رئيسية، يمكن صياغتها على النحو التالي:

أنَّ هناك احتمال أن تكون السنة النبوية قد عنيت عناية كافية بالغرائز، إلى الحد الذي يمكن وصفه بالرؤية أو النظرية، وهناك احتمال أن لا يكون في السنة النبوية ما يرقى إلى هذا الأمر.

هذا البحث يروم إلى التحقق من صحة هذه الفرضية.

ويتفرع تحت هذا الإشكال الرئيس، إشكالات جزئية، ومن أهمها:

- ما المفهوم الصحيح الذي يدور حوله مصطلح الغرائز؟، وما هو منظور المدارس الغربية للغريزة، وما مدى صحته؟.

- كيف تعاملت السنة النبوية مع الغرائز بأنواعها؟، وما هي الطرق والوسائل التي قدمتها لتهذيب وتصحيح مسارها إذ ما انحرفت؟، ثم ما مدى فاعلية وجدوى هذه الوسائل على الصعيد التطبيقي؟.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني لاختيار موضوع الغريزة ما يلي:

1- رغبتي الشخصية في اختيار موضوع يتناول قضايا النفس البشرية من المنظور الإسلامي.

2- تفشي دراسات علم النفس الغربي في أوساط المجتمع الإسلامي؛ دون أن يميز فيها بين ما هو إيجابي وسلبي في ثنايا الرؤى والنظريات.

3- لم ينل موضوع الغريزة حظه من الدراسات الإسلامية في علم النفس - في حدود علمي -، مما دفعني إلى اختياره كموضوع لرسالة الماجستير.

4- ما نلمسه من سلوكات وتصرفات سلبية لدى كثير من الناس عامة والشباب خاصة، مرجعها إلى إرخاء العنان للغرائز دون ضابط .

5- رغبتي في التعود على دراسة مواضيع تأصيلية في الشريعة الإسلامية؛ دفعني إلى اختيار موضوع يمس جانباً من حياة الإنسان؛ من حيث كيفية تعامل هذا الأخير مع الغريزة في ضوء السنة النبوية الشريفة.

منهج البحث:

بحثي هذا؛ عبارة على محاولة للكشف عن أحوال الغريزة وكيفية تعامل السنة النبوية معها. إذ عمدت إلى العمل بالمنهج الاستقرائي بشكل خاص، فتتبعت جزئيات الموضوع من كتب الحديث وشروحها. كما تناولت المنهج التحليلي ببسط مفاهيم النصوص الحديثية أصالة وما يخدمها من النصوص القرآنية. وأيضا استعملت المنهج المقارن، الذي يبرز في المقارنة بين فحوى نصوص السنة النبوية، وما يقابلها من الدراسات الغربية.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع مؤلفاً خاصاً في موضوع الغرائز يضم دارسة عامة وشاملة، سواء من منظور السنة النبوية أو غيرها، غير أن المادة العلمية موزعة على كتب السنة وشروحها وما اتصل بها من آي القرآن الكريم، وكذا كتب الفقه والفكر والدعوة والتربية، التي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة.

صعوبات البحث:

وفيما يتعلَّق بصعوبات البحث، فلا أذكر منها إلا ما كان من تشعب الموضوع وكثرة فروعه، التي يصعب الإلمام بها والبحث فيها بين كتب عدة ومجالات مختلفة .

إلى جانب دقة المصطلحات دقة مصطلح الغريزة، وتداخل بعض معانيه مع مصطلحات أخرى، تسبب في إطالة عُمْر البحث.

مصادر البحث:

تنوعت مصادر البحث؛ وأهمها:

القرآن الكريم، وكتب السنة بمختلف أنواعها، وفي مقدمتها الصحيحين والكتب الستة، مع "فتح الباري شرح البخاري، وشرح النووي على مسلم".

ومن كتب الفقه: "الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري". و"موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، لعبد الحليم عويس".

ومن كتب التربية في الإسلام: "التربية ودورها في تشكيل السلوك، لمصطفى محمد الطحان" و"تربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله ناصح العلوان"، و "منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور سويد".

ومن كتب الرقائق، ما تناوله "إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي".

ومن كتب علم النفس: "السلوك الإنساني في الإسلام، لمحمد عبد المجيد عبد العال". و"الحديث النبوي وعلم النفس، لمحمد عثمان نجاتي"، و "علم النفس الاجتماعي، لحامد عبد السلام زهران".

خطة البحث:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول وخاتمة، فجاء على النحو الآتي:

الفصل الأول: عبارة عن فصل تمهيدي للموضوع، وتناولت فيه التعريف بالغرائز، وما عَلُق بها من موضوعات، وضمنته ثلاثة مباحث، الأول: تعريف الغريزة وخصائصها، ويندرج تحته أربعة مطالب، الأول، حول تعريف الغريزة لغة، والثاني، تعريفها الاصطلاحي، والثالث، علاقة الغريزة بغيرها من المصطلحات التي تتداخل معها، والمطلب الرابع، خصائص الغرائز وعملها في النفس الإنسانية.

والمبحث الثاني: بعنوان: أهمية الغرائز وأنواعها والفرق بين غريزة الإنسان والحيوان، وهو على ثلاث مطالب.

والمبحث الثالث: تناول الغرائز عبر العصور، ويضم ثلاثة مطالب، الأول: الغرائز في العصور القديمة، والثاني: الغرائز عند أهل الكتاب، والثالث: أهم النظريات الحديثة في دراسة الغرائز.

الفصل الثاني: فخصصته للحديث عن أسباب انحراف الغرائز والعوامل المتحكمة فيها، وقسمته إلى مبحثين، الأول: إلى أربعة مطالب. المطلب الأول: في مفهوم انحراف الغرائز، والثاني: حول ضعف التربية الأسرية والتعليمية، والثالث: غياب الوازع الديني وتأثير الرفقة السيئة، والرابع، تأثير العولمة ووسائل الإعلام مختلفة. وتضمن المبحث الثاني: عوامل التحكم في الغرائز، وتفرع إلى مطالب، وهي: الدين، العقل، العلم، الإرادة، الضمير.

الفصل الثالث: فقد تطرقت فيه إلى البناء النبوي في التعامل مع الغرائز، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: حول اهتمام السنة النبوية بالغرائز ووسطية التعامل معها. وفيه ثلاث مطالب، المطلب الأول: اهتمام السنة بالغرائز، والثاني: وسطية التعامل مع هذه الغرائز، والثالث: تكامل البناء النبوي في

التعامل معها. وأما المبحث الثاني: بعنوان البناء النبوي في التعامل مع الغرائز، ويضم سبعة مطالب، وكل واحد منها يعالج مجال من مجالات الأبنية، وهي: البناء العقدي، العبادي، الخلقي، الاجتماعي، الفكري، العاطفي، والجسمي.

و تناولت في الفصل الرابع والأخير: تهذيب الغرائز في السنة النبوية ونماذج من هاته الغرائز وكيفية تعامل السنة معها. ويضم هذا الفصل مبحثين، **الأول:** حول تهذيب الغرائز في السنة النبوية، وهو على مطلبين: التهذيب بالترغيب، والتهذيب بالترهيب. أما المبحث الثاني: فتضمن الحديث عن منهج السنة النبوية في التعامل مع بعض الغرائز، ويندرج تحته ثلاث مطالب، الأول: عن الغريزة الجنسية، والثاني عن غريزة الأكل الشرب، والثالث، عن غريزة التملك.

وانهيت البحث بخاتمة، حوصلت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث.

منهجية البحث:

وفيما يخص منهجية العمل المتبعة في البحث فأذكرها كما يلي:

- بالنسبة للآيات القرآنية: فقد اعتمدت فيها على المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، وذكرت تخريج كل آية مباشرة بعدها في المتن، تفاديًا لطول الهامش بذكرها فيه.
- في تخريج الأحاديث، فقد عمدت إلى تخريج كل حديث أذكره في الموضوع، وذلك بذكر المصدر، ثم الكتاب، ثم الباب، ثم رقم الحديث، وبعدها الجزء والصفحة. واكتفي في التخريج بالصحيحين إن كان الحديث مخرجًا فيهما أو في أحدهما، وإن لم يكن فمن كتب السنن الأربعة، وأضيف إليها مسند أحمد أو مستدرك الحاكم أو كلاهما، إن كان الحديث مخرجًا فيها. ونفس الأمر بالنسبة لتخريج الآثار.
- وفي شرح الألفاظ اكتفيت بشرح الألفاظ الغريبة والمهمة للبحث.
- وفي ترجمة الأعلام، قمت بالترجمة لغير المشاهير منهم، ومن استندت إليهم بشكل بارز في البحث.
- وفيما يخص توثيق المعلومات المستعان بها في البحث، إن كان الكلام نصا منقولاً حرفيًا عزوته لقائله في متنه، فإن ورد ذكره للمرة الأولى في البحث ألحقت به كل معلومات النشر المتعلقة به، فإن تكرر ذكره **عندها** في البحث اكتفيت بذكر اسم المؤلِف والمؤلَف والجزء والصفحة. أما إن تصرفت في الفكرة بغية تلخيص أو جمع فكرة مشتتة بين المصادر فإني أشير في عزوها إلى مظانها بكلمة "ينظر" واكتفي حين ذاك بذكر اسم المرجع وصاحبه مع الجزء والصفحة.

– وإن تعددت مصادر الفكرة الواحدة فإني لا أتوقف عند ذكر أحدها فقط دون الأخرى، بل أذكر ما كان بين يدي منها زيادة للفائدة وأشير إليها جميعًا بكلمة "ينظر".

ثم ألحقت البحث بجملة من الفهارس العامة التي تعين على الاستفادة من البحث، وقد كان ترتيبها حسب المعمول به عادة.

وبهذا أسأل الله تعالى رب العرش العظيم أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني ويغفر لي تقصيري فيه، وينفعني به وينفع به كل مُريد، إنه سميع مجيب، جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

ضبط مصطلحات عنوان البحث.

1- تعريف المنهج:

- تعريف المنهج لغةً: كلمة منهج في اللغة من"نهج".(ونَهَجَ الطَّريقَ: سَلَكَه. واسْتَنْهَجَ الطَّريقُ: صارَ نَهْجاً وَاضحاً بَيِّناً...)[1]، (..وسبيلٌ مَنْهَجٌ كَنَهْجٍ، ومَنْهَجُ الطريقِ وضَحُه، والمِنهاجُ كالمِنْهَجِ وفي التنزيل لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً وأَنْهَجَ الطريقُ وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً...)[2].

وعليه فيكون مصطلح: نهج، ومنهج، ومنهاج، كلها بمعنى واحد وهو: السبيل والطريق الواضح.

- مفهوم المنهج في الاصطلاح:

ورد في معناه عدّة تعريفات متقاربة بشكل عام، ويخرج من عمومه فقط إذا ارتبط تعريفه بمصطلح آخر، أو خُصص بعلم أو مجال ما، ومما ورد في تعريفه:

المنهج هو:(السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم.)[3].

وهو:(الطريق المؤدي إلى البحث عن الحقيقة، مستخدمين في ذلك مجموعة من القواعد العامة التي تنير طريق البحث للباحث للوصول إلى النتيجة.)[4].

ويعد المنهج:(الأسلوب المنطقي الملازم لكل عملية تحليل ترتدي الطابع العلمي.)[5].

وبالنظر إلى جميع هذه التعريفات فإنَّا لا نجدها مختلفة في مضمونها وغايتها فهي جميعًا تلتقي في كون المنهج هو الطريق الموصلة إلى علم ما أو نتيجة علمية معينة، وهو مفهوم يتحد مع المعنى اللغوي للكلمة.

والذي نريده من كلمة "منهج" في بحثنا هذا هو معرفة طريقة وأسلوب النبيﷺ في التعامل مع الغرائز الإنسانية، وطريقته في التعامل مع كل غريزة في جميع أحوالها.

2- مفهوم التعامل.

لما جئتُ إلى تعريف التعامل عند علماء اللغة و المنطق وغيرهم لم أجد له أي إشارة في كتبهم، وكأنه مصطلح مفهوم وبسيط لا يحتاج إلى تعريف.

ومرادنا من هذه الكلمة في البحث هو طريقة النبيﷺ في التصرف مع الغرائز وأسلوبه في تسيير جوانبها حسب ما يقتضيه الحال وينص عليه الشرع الإسلامي. وأيضا تعاليم النبيﷺ للتكيف الحسن مع متطلباتها الفطرية، وتطبيقه الواقعي لهذه التعاليم والطرق.

---

[1]: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة "نهج"، 6/ 252.

[2]: ابن منظور: لسان العرب، مادة "نهج"، 2/383.

[3]: مجلة البيان: المنتدى الإسلامي، ع: 73، ص:55.

[4]:رشيد زرواتي:مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية،ط1،دار الهدى،عين مليلة-الجزائر،1428هـ-2007م،ص:42

[5]: المرجع نفسه.

الفصل الأول

الغرائز في المفهوم الحديث

المبحث الأول: تعريف الغريزة وخصائصها.

المبحث الثاني: أهمية الغرائز وأنواعها والفرق فيها بين الإنسان والحيوان.

المبحث الثالث: واقع الغرائز عبر العصور.

وهذا الفصل نتناول فيه عدة جوانب ترتبط جميعها بمفهوم الغريزة وطبيعتها، وهي تُكمل معناها وتوضح صورتها.

المبحث الأول: تعريف الغريزة وخصائصها.

وهنا نتطرق لتعريف الغريزة من حيث اللغة والاصطلاح، ثم إلى المصطلحات التي تداخلت في استعمالها ومفهومها مع مصطلح الغريزة.

المطلب الأول: تعريف الغريزة في اللغة.

الغرائز مفرد (غريزة): وهي بمعني:(الطبيعة[1]والقريحة[2] والسجية من خير أو شر...أي أخلاق وطبائع صالحة، أو رديئة...)[3]. وقيل هي:(ملكة تصدر عنها صفات ذاتية...)[4].

وعن عمر بن الخطابﷺ قال:(الجبن والجرأة غرائز يضعهما الله حيث يشاء)[5]. والجبن والجرأة طبائع في الناس.

والغرائز:(هي الأصل والطبيعة...)[6]. وجاء في معجم مقاييس اللغة:(والطبيعة غريزة كأنها شيء غُرِزَ في الإنسان.)[7]. ومن ذلك ما قاله علي بن جهم في أحد المعارك:

غريزة حرٌ لا اختلاق تكلفٍ إذا حام في يوم الوغى المتصبرُ[8]

فتكون الغريزة بذلك في معناها اللغوي: كل ما غرز في الإنسان من طبائع صالحة كانت أو رديئة .

---

[1]: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة(غرزه)، دار الكتاب العربي، 185/2.

[2]: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة البنان، بيروت،1415هـ-1995م، مادة"غرز" 488/1.

[3]: محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1428هـ - 2007م، 138/8.

[4]: جماعة من المختصين، إشراف أحمد أبو حاقة: معجم النفائس الوسيط، ط1، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1428هـ-2007م، ص: 884

[5]: إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي، 331/1. ينظر: عبد الرحمن السخاوي: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي، 769/1

[6]: ابن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، مادة" غرز"، 386/5.

[7]: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتّاب العرب، 1423هـ- 2002م، 334/4.

[8]: إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان، 1417هـ-1996م، 03/4

المطلب الثاني: تعريف الغريزة في الاصطلاح.

استُعمل مصطلح غريزة من طرف علماء الإسلام وعلماء النفس لتفسير السلوك الإنساني، وفي ذلك بيان مفهومه عندهما:

الفرع الأول: الغريزة في الاصطلاح الشرعي الإسلامي.

ارتبط مفهوم الغريزة واستعمالها في الاصطلاح لدى علماء الإسلام بمصطلحات عامة غالبًا ما يُفهم عند إطلاقها اختلاف معانيها مع معنى الغريزة في الظاهر، ومن ذلك مصطلح الفطرة، العقل، الأخلاق، والشهوة، وإن كان في هذا التقارب في الاستعمال ما يميزه، ويضفي على الغريزة مفهوما خاصًا.

وردَ في إطلاقهم لكلمة غريزة على مسمى"**العقل**". فقيل في تعريفه:(هو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات.)[1]. وقيل:(...قد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: أنّ العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء...)[2].

وعنها عبَّر أحد العلماء حين سئل:(متى عَقَلْتَ؟ أجاب: منذ نزلت من بطن أمي جُعتُ فالتقمتُ الثدي، وتأملت فبكيت)[3]. وبالتالي يكون العقل أحد الغرائز المفطور عليها الإنسان والمغروزة فيه. وهذا ما يفهم منه أنَّ الغريزة والعقل يدخلان في مُسمَّى الفطرة.

و"**الأخلاق**" عبارة عن غرائز مخلوقة في النفس من نحو الشجاعة والجود والكرم والحياء والوفاء. وتضم أيضا ما خالف الصفات الحميدة منها كالجبن والحمق والعجلة والطمع ونحو ذلك.(فالغريزة والصفات الذاتية متلازمة في السلوك الذاتية للمرء. وعلى أساس من قوتهما التحكمية في السلوك ينعت المرء بنوع خلقه الذي يصبح أشبه ما يكون بالسمة اللازمة له في مجرى حياته.)[4].

---

[1]: زكريا الأنصاري: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ت: محمد محمد تامر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2000م، 55/1. ينظر: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة" عقل"، 19/30.

[2]: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز- عامر الجزار، ط3، دار الوفاء، 1426هـ-2005م، 287/9.

[3]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان،1417هـ-1997م، 244/1.

[4]: المرجع نفسه، 249/1.

جاء في المستطرف:(...الحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة...)[1]. وعن الحياء الذي يعدُّ من أجلِّ الأخلاق وأبرزها، وباب من أكبر أبوابها(...أصله فعل من الطبيعة الكريمة غريزة خيرٍ يختص الله به من يشاء من خلقه...)[2]. والذي يستنتج من ذلك أنّ الأخلاق فطرية وليست مكتسبة؟ وما دامت من عند اللهﷻ يختص بها من يشاء من خلقه فذلك ما يفسر اختلاف الناس وتمايزهم فيها؟.

ولكن هل يراد بالغريزة في الاستعمال الاصطلاحي ذات الخُلق، أم كون الخُلق من الغريزة يكتسي صفة من صفاتها الأساسية، هي المراد من استعمالهم لاصطلاح الغرائز على الأخلاق؟.

(...حكى الطبري...في حسن الخلق هل هو غريزة أو يكتسب، قال القاضي: والصحيح أنّ منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره.)[3]. وبالنظر إلى هذا القول نجد أنّه يمكن أن نسمي الأخلاق غرائز ولكن لا يمكن اعتبار جميع الأخلاق غرائز لأنّ منها ما يتخلّق به الفرد بالاكتساب والاعتياد لا بالغريزة والطبيعة، ذلك أنّ من الخلق ما هو(...محصلة تفاعلية لتكوين الفرد في جميع جوانب أنيته النفسية والجسدية.)[4].

وتوجيه ذلك ما جاء عن ابن مسعودﷺ عن النبيﷺ قال:« **إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم..**»[5]. والمراد بذلك أنّ:(..الأخلاق من إعطاء الله عباده. ألا ترى تفاوتهم فيه كتفاوتهم بالجبن والشجاعة والبخل والجود، ولو كان الخلق اكتسابًا للعبد لم تختلف أحوال الناس فيه ولكن ذلك غريزة. فإن قيل:..فما وجه ثواب الله على حسن الخلق إن كان غريزة؟، قيل له: لم يثبت على خَلْقه ما خلق، وإنما أثابه على استعماله ما خلق فيه من ذلك فيما أمره باستعماله فيه..)[6].

---

[1]: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ت: محمد خلف يوسف، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1427هـ-2006م، ص:33.

[2]: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي: تعظيم قدر الصلاة، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط1، مكتبة الدر، المدينة المنورة، 1406هـ، 851/2.

[3]: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري،ط3، دار السلام-دار الفيحاء، الرياض-دمشق، 1421هـ - 2000م، 73/1.

[4]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، ص:249.

[5]: أحمد: المسند، مسند عبد الله بن مسعود، ح(3672)، 189/6.

الحاكم: المستدرك، البر والصلة، وأما حديث عبد الله بن عمرو، ح(7301)،165/4. وقال:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

[6]: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي: شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم،ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ-2003م، 233/9.

وإذا كان منطلق الأخلاق أو العقل من الغرائز، فكيف يمكن تمييزهما عن بعض من حيث الفاعلية والآثار في حياة الفرد؟.

والذي يميز الأخلاق أو العقل عن الغرائز ويفصلها عنها:(...كون آثارها في السلوك قابلة للحمد أو للذمّ، فبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية...)[1]. ومثال ذلك الأكل والشرب والنوم فهي سلوكات لذاتها غير مذمومة من حيث السلوك الأخلاقي، لكنّ الإفراط فيها بكثرة الأكل أو الشرب أو النوم، أو تكون خالية من الآداب التي ترتبط بها وتُخملها، هو ما يذم عليه[2].

وخلاصة الأمر أنّ الغريزة في الاصطلاح الشرعي يراد بها جملة الأمور الفطرية الطبيعية المغروزة في أصل الإنسان والتي عليه أن يُعملها وفق ما خلقت له ووفق التوجيهات الإسلامية. ويدخل في مسماها ومعناها كل من العقل والخلق لأنّ كل منهما مفطور عليه الإنسان.

الفرع الثاني: الغريزة في اصطلاح علماء النفس.

تعددت تعريفات علماء النفس لمصطلح "غريزة" إلى أقوال عدّة، بين مُطنب في ذكر حدود تعريفها، وبين مُقتصر على بعضها، وهي في الغالب ترجع إلى نقاط أساسية مشتركة بين هذه التعريفات، ومنها:

أن الغريزة هي:(نمط سلوكي فطري يظهر لدى جميع أفراد النوع عند نقطة معينة في نموهم...)[3]، فهي بهذا التعريف ترتكز على أساسين: الأساس الأول: كونها فطرية، والأساس الثاني: كونها مشتركة بين أفراد النوع الواحد.

وفي سياق مماثل لهذا التعريف، قيل هي:(...نمط من الاستجابات أو الأفعال المنعكسة معقد وغير متعلم...)[4]. فأضاف هذا التعريف على سابقه أنّ الغريزة فعل منعكس ومعقد، وكلمة معقد قد يراد بها صعوبة فهمها فهما دقيقًا، وتفسير أنماطها السلوكية بتفسيرات واحدة أو معينة في جميع الحالات.

وقيل أيضا:(إنها تقليديا، صميمة سلوكية موروثة، خاصة بنوع حيواني معين، تتباين إلا قليلا من فرد إلى آخر (ضمن نفس النوع)، وتجري تبعًا لمسار زمني يندر تعرضه للانقلابات، وتبدو كأنها تجيب على غائية

---

[1]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط8، دار القلم، دمشق، 1431هـ-2010م، 11/1.

[2]: ينظر: المرجع نفسه.

[3]: جابر عبد الرحمن جابر – علاء الدين كفافي: معجم علم النفس: انجليزي- عربي،دار النهضة العربية،القاهرة،1988م، 1755/4

[4]: فاخر عاقل: علم النفس دراسة التكيف البشري، ط8، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1982م، ص:173.

معينة.)[1]. وهذا الأخير جعل الغريزة معلقة بحدود كثيرة، منها ما هو مشترك مع غيره، ومنها ما تفرد به ككونها موروثة، وفيها بعض التباين بين أفراد النوع، وهي غائية تبحث عن هدف معين من خلال السلوك. و لعلّ هذا التعريف حاول أن يجمع كل حيثياتها ليكون جامعًا مانعًا.

ومن أبرز التعريفات التي جاءت في مفهوم الغريزة، ما قاله"مكدوجال"[2]، واضع نظرية الغرائز والقائل بأنها المحركات الأولى للسلوك الإنساني، قال:(إنها استعداد نفسي فطري يحمل الكائن على الانتباه إلى مثير معين يدركه إدراكاً حسيًا ويشعر بانفعال خاص عند إدراكه وعلى العمل أخيرًا، أو الشعور بدافع إلى العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا المثير)[3]. فهذا التعريف حدَّد الغريزة بمراحل عملها في النفس، فهي عبارة عن مثير معين يحدث شعورًا وانفعالاً نحوه، وهذا الأخير يجر إلى سلوك معين.

ومن خلال النظر إلى جملة التعريفات المطروحة، نخلُص إلى أنها تشترك جميعا في كون الغريزة سلوكًا فطريًا غير متعلم.

الفرع الثالث: النسبة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي.

خلصنا في التعريف اللغوي إلى أنّ الغريزة هي الفطرة الإنسانية التي فطر الله عليها الإنسان، فهي جملة الأمور المغروسة في النفس منذ الولادة.

ومن التعريف الاصطلاحي الشرعي، الغريزة هي جملة الأمور الطبيعية في الإنسان والتي عليه أن يُعملها وفق الشرع الإسلامي، ومن ذلك الأخلاق والعقل. وهو ما ذهب إليه علماء النفس المعاصرون، أنها سلوك فطري غير مكتسب.

وبالنظر إلى هذه التعريفات يتبين أنها كلها تشترك في نقطة واحدة وهي: كون الغريزة فطرية وغير مكتسبة وهي أساس حدود مفهومها.

إذا لا خلاف ولا تباين بينها، بل كل من التعريفات الثلاثة تُصدّق بعضها، وتؤكد هذا المفهوم.

---

[1]: جان لابلانش - ح ب.بونتالبس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان، 1407هـ- 1987م، ص:382.

[2]: ماكدوجال: وليم (1871- 1938)، طبيب سيكولوجي انجليزي، تأثر بنظرية دارون، ودافع في كتابه(مدخل إلى علم النفس الاجتماعي) عن الفكرة القائلة أن كل حياة نفسية اجتماعية ترتكز على الغريزة، له نظرات صائبة في بعض مصطلحات علم النفس، ومع ذلك كان له الكثير من تفكيره مشوشًا وميتافيزيقيًا. ينظر: ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 3104/7.

[3]: حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، الرياض، ص:101.

المطلب الثالث: الغريزة وعلاقتها بمصطلحات أخرى .

تتداخل الغريزة في الاستعمال والمفهوم مع بعض المصطلحات التي تشترك معها في إحداث السلوك، منها ما يتصل بالاستعمال الشرعي الإسلامي، وبعضها بعلم النفس الحديث. ومن هذه المصطلحات:

الفرع الأول: ماله صلة بالاستعمال الشرعي الإسلامي .

من أبرز الاصطلاحات الشرعية التي تتداخل مع لفظ غريزة هي:

1- الفطرة: الفطرة هي:(الخِلقةُ، وقد فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ بالضم فَطْرًا، أي خلقهُ)[1].

والفطرة والجبلة(...والطبيعة والخليقة والغريزة واحدة وجَبَلَهُ الله على كذا...فَطَرَهُ عليه، وشيءٌ جِبِّلِيٌّ منسوبٌ إلى الجِبِلةِ. كما يُقال طبيعي أي ذاتي مُنْفَعِلٌ عن تَدبير الجبلة في البدن بصنع بارئها...)[2].

والمفهوم الاصطلاحي لها لا يختلف عن المعنى اللغوي، قال الجرجاني هي:(الجبلة المتهيئة لقبول الدين)[3]

وبمقارنة تعريفها مع تعريف الغريزة المتقدم في موضعه من البحث، نجد اشتراكًا بينهما في المعنى، فالغريزة تُعرّف بالفطرة، والفطرة تُعرّف بالغريزة وبما جاورهما من مصطلحات.

إلاّ أنّه وفوق ذلك فإنّ الفطرة تؤدي دور الموجه والمرجع للغريزة في سلوكها وهي مقياس للصحة والخطأ فيها، ذلك أنّ الإنسان مفطور على حب الخير وفعله.

إنّ الفطرة هي:(منبع ومرجعية القيم والأخلاق والمثل العلا داخل النفس البشرية، الفطرة تمثل الصبغة التي تحيط وتلون أداء النفس البشرية وهي تلبي حاجتها الغريزية)[4]، وإنّ الفطرة هي الأرضية السليمة التي يجب على الإنسان أن يستقر عليها وخاصة في غرائزه.

فإذا كانت الغريزة:(..هي التي تدفع الإنسان للمهمة الموكلة به وهي إعمار الكون والعبادة والنجاح في الابتلاء، فإنّ الفطرة هي المنهج الأخلاقي والتعليمات والقيود التي يجب على النفس أن تلتزم بها، وهي سائرة في طريقها الغريزي)[5].

---

[1]: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطّار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1404هـ- 1984م، مادة"فطر"، 781/2.

[2]: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، 90/1.

[3]: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: التعريفات، عناية: مصطفى أبو يعقوب، ط1، مؤسسة الحسيني، الدار البيضاء- المغرب، 1427هـ- 2006م، ص:149.

[4]:محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية:حجة...ومرجعية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1423هـ-2003، ص:57

[5]: المرجع نفسه، ص:57.

فيبقى أنّ الفطرة تشترك مع الغريزة في أنّ كلاً منهما جبلّي وطبيعي، وخليقةٌ مطبوعة في الإنسان. ولكن تتمايز الغريزة عن الفطرة، في أنّ الغريزة قابلة للانحراف عن النهج الطبيعي إلى مجاوزة الحدّ في إشباعها فتفسد بذلك، ولكنّ الفطرة لا نجد فيها ما هو فاسد لنطلق اسم "فطرة فاسدة أو منتكسة"، ذلك أنّ مثل هذا الوصف بعيدٌ جدًا عن طبيعة الفطرة التي بثّها الله في الإنسان. وإنما الفطرة قد تصبح مُغَيَّبَةً أو مَطمُوسة عن الظهور في سلوك الفرد[1]. وذلك من قوله ﷺ:« **ما من مولودٍ إلا يُولد على الفطرة فأبَواهُ يُهوِّدَانه ويُنصِّرانه أو يُمجِّسانه كما تُنتَج البهيمة بهيمة جَمعَاء هل تُحسُّون فيها من جَدعَاء** »[2].

2- الشهوة: لم يُذكر في تعريف الشهوة لغةً كلمة مرادفة لها تُعرَّفُ بها غير ما أشار إليه الزمخشري في قوله:(...وله في هذا الأمر نهمة: الشهوة...)[3]. ولعلَّ ذلك عائد إلى ما قاله الرازي بأنها "معروفة"[4]. والذي جاء في معناها مرتبط باستعمالاتها اللغوية ومن ذلك:(...طعام شهيٌّ، أي مُشتهىً ورجل شهوانُ للشيء، وشهيتُ الشيء بالكسر أَشهاهُ شهوةً، إذا اشتهيتُه..)[5]،ومنه:(استنام..: إذا تناوم شهوةً للنوم)[6]

ومن التعريف اللغوي يتبين أنّ كل طلب فوق الحاجة لأمرٍ ما وزيادة في حدّه وحب فيه، وطلب للإكثار منه، فهو شهوة. وقد زُين له بذلك حبُّها، كما في قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران/14].

فالشهوة بذلك هي:(نزوع النفس إلى ما تريد من زينة الحياة الدنيا ومتعها ولذائذها)[7]. وقال الجرجاني:(حركة للنفس طلبًا للمَلاَئِم)[8].

---

(1): ينظر: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية، ص:60.

(2): البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا اسلم الصبي فمات...، ح(1358)، 95/2.

مسلم: الصحيح، القدر، معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح(2658)، 2047/4.

(3): ينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله: أساس البلاغة، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 661/1.

(4): زين الدين الرازي: مختار الصحاح، مادة "شها"، 354/1.

(5): المصدر نفسه .

(6): الصاحب إسماعيل بن عابد: المحيط في اللغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ- 1994م، مادة "نوم"، 412/10.

(7): مروان إبراهيم القيسي: المدخل إلى علم النفس في الإسلام، ط1، 1427هـ- 2006م، ص:100.

(8): الجرجاني: التعريفات، ص: 118.

وعليه فإنّ الإنسان الذي طُبعت فيه غرائز يحتاجها لحياته من جهة ويحبها من جهة أخرى، فإنه إذا ما خرج بها عن حدها الطبيعي وتجاوز فيها المقدار اللازم لحاجاته. فإنه بذلك يكون قد دخل بها في دائرة الشهوات، وهذا هو الرابط بين الشهوات والغرائز.

فالإنسان مثلاً مفطور على غريزة الأكل والشرب يُلبي بها حاجاته ويحقق بها استمراره في الحياة. فتكون اللذة المرجوة منها مشروعة ما دامت في إطارها الشرعي لم تتجاوز حدها من الحاجة، وتصبح مذمومة إذا باتت شهوة في الإنسان تسيطر عليه. بأن يصبح الإنسان لا يفرق في أكله بين الحلال والحرام، أو يصبح كثير الأكل نهمًا في كل وقت وحين. وهذا ما يجعل الغرائز عندما تتحول إلى شهوة تصبح بذلك غاية في حدِّ ذاتها، بعد أن كانت وسيلة لغايات فطرية نبيلة.

ومثال ذلك، قال تعالى:﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف/81]. وهذه الآية جاءت في فعلة قوم لوط الذين يأتون الرجال من دون النساء. وهو فعل منحرف عن الفطرة السليمة، ناتج عن انحراف الغريزة الجنسية وخروجها عن نطاق عملها الصحيح الذي جُبل عليه الإنسان. قال الشوكاني:(...أي لأجل الشهوة، وفيه أنه لا غرض لهم بإتيان هذه الفاحشة إلا لمجرد قضاء الشهوة. من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل...)[1].

وعليه فإنّ الشهوة نتاج التعلق بالغرائز والانصياع لطلباتها، ولذلك يُحذرنا الله تعالى من الانغماس في الشهوات، ولكنه لم يمنعنا من الاستماع للغرائز، لأنها من الفطرة لا بدّ منها في حياة الإنسان.

3- الهوى: والهوى مثل الشهوة، وإن كان أبعد منها عن المنهج السوي، وعن الفطرة السليمة.

جاء في لسان العرب في معنى الهوى:(...قال اللغويون: الهوى محبةُ الإنسان الشيء وغَلَبَتهُ على قلبه. قال اللهﷻ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾. معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي اللهﷻ..)[2]. والجمع:(الأهوية، وأهل الأهواء واحدها هوىً)[3]. ويقال:(هَوى بالفتح يَهْوي هُويًا، أي سقط إلى أسفل..)[4]. ومنه قوله تعالى:﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾[الأنعام/71].

---

[1]: الشوكاني: فتح القدير، 59/3.

[2]: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة"هوا"، 371/15.

[3]: المصدر نفسه.

[4]: الجوهري: الصحاح في اللغة، مادة "هوى"، 260/2.

والهوى في الاصطلاح هو:(ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)[1].

وقيل:(سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية)[2].

وممَّا يُلحظ أنّ لفظ الهوى في استعماله الشرعي متى ذُكر لا يكون إلا مذمومًا، فهو دافع قوي داخل النفس يدفعها لفعل المنكر ويحثها عليه، وكثير من أعمال السوء التي يقترفها الإنسان منطلقها من الهوى وحده.

ولذلك يدعو الله تعالى إلى نهي النفس عن إتباع أوامر الهوى، قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[النازعات/40].

إنّ الهوى تبعٌ للشهوة متولدٌ عنها، فيه انحرفت الغرائز وطَغَتْ، فتجاوزت حدَّها الطبيعي إلى أن أصبحت شهوة تزايدت في جبروتها فصارت هوىً، آذَتْ صاحبها ومَن حوله.

فالهوى هو:(نوعٌ متطرف من الشهوة، تمامًا كما الشهوة نوع متطرف من الغريزة، لكنّ الشهوة نوع سلبي من الغريزة التي خُلقت أصلاً إيجابية. أمّا الهوى فهو نوع متطرف سلبي من الشهوة التي هي أصلاً سلبية)[3]. وهذا هو أساس الفرق بين الغريزة والهوى.

الفرع الثاني: ما له صلة باستعمال علماء النفس .

من المصطلحات التي تداخلت مع لفظ الغريزة في علم النفس الحديث نجد:

1- الباعث: يطلق الباعث ويراد به:(بعض المواقف التي تنشط الدافع وترضيه في آن واحد كرؤية الطعام أو وجود جائزة أو مكافأة أو منافسة أو ارتفاع في الأجر، أو غير ذلك مما يطمح الفرد إلى الظفر به. ويطلق أيضا على المعايير والقوانين والزواجر الاجتماعية التي تحمل الفرد على تعديل سلوكه وتكييفه وفقًا لمطالب المجتمع، وبالتالي مصلحة الفرد.)[4]. وهكذا يكون مصدر الباعث دائما خارجيًا، لا ينبعث من داخل الفرد، وهو يعمل على إثارة الغريزة في الإنسان عند رؤيتها لما يثيرها. فيلعب بذلك الباعث دور المحفز والمثير للغريزة والمقوي لها.

---

[1]: الجرجاني: التعريفات، ص: 224.

[2]: أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، 548/1.

[3]: مروان إبراهيم القيسي: المدخل إلى علم النفس الإسلام، ص:102.

[4]: محمد مصطفى زيدان: الدوافع والانفعالات،ط1، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية،1404هـ-1984م، ص:38. ينظر: محمد مصطفى زيدان: نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص:42.

2- **الحاجة**: والحاجة في مفهوم علماء النفس هي:(مفهوم فرضي يدل على حالة من عدم الاتزان الداخلي – بسبب نقص شيء مادي أو معنوي- تؤدي إلى توتر وإثارة الكائن الحي، وتدفعه إلى النشاط والاستمرار فيه حتى يحصل على ما ينقصه ويشبع حاجته فيعود إليه توازنه.)[1].

وعند النظر إلى هذا التعريف قد يحدث خلط في المفهوم بينها وبين الغريزة. والواقع أنّ هناك فرقًا بينهما. فالغريزة تختص بـ:(...الإثارة التي يكون عليها الكائن عند حصول خلل فسيولوجي أو نفسي، بينما الحاجة هي نفس ذلك الخلل أو ذلك النقص...)[2].

وتكون بذلك الغريزة هي: الأكل أو الشرب أو الجنس، ويكون النقص الحاصل في الجسم من الغذاء أو الماء وحدوث التنبيه الفيزيولوجي من تقلصات المعدة أو الشعور بالعطش، إعلان عن حاجة للجسم لابدّ من تغطيتها، وحدوث الإثارة الجسمية والنفسية والعمل على البحث عن الطعام لسدِّ تلك الحاجة لإعادة التوازن للجسم بفعل الثورة التي أحدثتها تلك الحاجة، وهذه الأخيرة هي التي تسمى غريزة أو دافع.

ونلاحظ من خلال ذلك أنّ الحاجة قد تسبق الغريزة أحيانًا من الناحية العملية، ولكن لا يمكن أن نقول إنّ ذلك يكون دائمًا، لأنّ الإنسان قد تثور غريزته دون حاجة، أي دون حدوث نقص أو خلل، فقد يرغب في الأكل ويشتهيه فقط لمجرد رؤيته له، أي عند حصول باعث على الأكل رغم أنه في حالة شبع، وقد يقصد الماء ليشرب ودافعه لذلك العطش، والعطش حالة تولدت عن نقص فيزيولوجي للماء تسمى حاجة، ولكنه أحيانا يشرب دون حاجة فقط لمجرد رؤيته للماء أو لأي مشروب آخر.

وعليه فإنّ هناك صلة وثيقة بين الغرائز والحاجات والبواعث، وأنّ كلاً منها يخدم الأخر وفي حاجة إليه.

3- **الدوافع**: لغةً من:(الدَّفْعَةُ...والجمع الدَّوَافِعُ...قال الأصمعي: الدَّوافع: مدافع الماء إلى الميثِ، والميثُ تَدْفعُ في الوادي الأعظم...)[3]، فيكون مشتق الدوافع بذلك من عملية الدفع.

وفي الاصطلاح: الدوافع هي:(الطاقات التي ترسم للكائن الحي أهدافه وغاياته لتحقق التوازن الداخلي أو

---

[1]: محمد عز الدين توفيق: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ط2، دار السلام، القاهرة- مصر، 1423هـ- 2002م، ص:494.

[2]: المرجع نفسه. ينظر: فاخر عاقل: دراسة التكييف البشري، ص:176. طارق كمال: أساسيات في علم النفس التربوي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص:83. مروان إبراهيم القيسي: المدخل إلى علم النفس في الإسلام، ص:90.

[3]: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة" دفع"، 554/20. ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين،ت:مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة"دفع"، 45/2.

تهيئ له أحسن تكيف ممكن من البيئة الخارجية.)[1].

ويكون بذلك معنى الدافع يتمخض في القوى والطاقات الكامنة في الكائن الحي التي ترسم له أهدافًا، وتدفعه للقيام بسلوك يحقق به تلك الأهداف.والدوافع قسمان:دوافع فطرية أولية،ودوافع مكتسبة ثانوية.

فالدوافع الفطرية هي سلوكات مغروسة في كل فرد يجدها داخله، ولا يكتسبها من البيئة المحيطة به بالتعلم أو الاعتياد أو التدريب، فالإنسان يولد وهو مزود بها، ودليله أنّ الطفل الرضيع إذا ما جاع بكى فإذا ما شبع سكت، لأنّ غريزته قد لُبِّيَ طلبها وهذا السلوك منه لم يتعلمه من بيئته[2].

أما الدوافع المكتسبة، فهي دوافع متعلمة يتعلمها الفرد من البيئة والمجتمع، ولا يولد مزودًا بها.

والدوافع الفطرية هي التي يراد بها الغرائز فهي تشترك معها في صفاتها وطبيعتها، إلا أنّ بعض علماء النفس المحدَثين، يفضلون إطلاق اسم الدوافع الفيزيولوجية الفطرية بدلاً من الغرائز لعدة اعتبارات منها ما يعود إلى اشتراك الإنسان مع الحيوان في الغرائز، وتمييز الإنسان عنه بالإطلاق الاصطلاحي. ومنها ما يعود إلى الحركة الدافعة في الإنسان نحو هدف فطري ما بسبب القوى الكامنة فيه. فبسبب الدفع الحاصل يُفضل إطلاق اصطلاح الدوافع بدل الغرائز لأنه الأقرب إلى حقيقة الفعل الفيزيولوجي الفطري. ومما قيل في هذه المسألة:(الدوافع سميت المحركات النفسية للسلوك البشري بالغرائز تارةً، وبالميول تارة أخرى، ويُفضل علماء النفس اليوم أن يطلقوا عليها اسم الدوافع، إذا راقبنا سلوك الناس نجد وراء كل سلوك أو عمل دافعًا يدفع إليه، فالذي يقصد الماء ليشرب يدفعه العطش والذي يجتمع في نادي، أو مقهى دافعه الاجتماع ...)[3].

ولذلك:(يفضل علماء النفس المحدثون الحديث عن الدوافع والحوافز والرغبات والميول والحاجات أكثر من الحديث عن الغرائز. كل هذه المصطلحات تحمل معنى الدفع والتحريك، وأصبح من المصطلح عليه أنّ مصطلح الدافع هو الشائع استعماله الآن...)[4].

وعليه فإنّ المسألة لا تعدو أن تكون خلافًا اصطلاحيًا، ولا مشاحَّة في الاصطلاح، فليس هناك خلاف جوهري. والأمر عائد إلى الاصطلاح الأقرب منهما إلى عملية الدفع.

ولو دققنا في التعاريف التي قُدِّمت في الغريزة، لوجدناها لا تخلو في معظمها من استعمال مصطلح

---

[1]: محمد مصطفى زيدان – نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ط1، دار الشروق، جدة، 1400هـ- 1980م، ص:72.

[2]: ينظر: معروف زريق: علم النفس الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1408هـ- 1989م، ص:30.

[3]:أنس شكشك:علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك،ط1،دار النهج،حلب،1429-2009،ص:61

[4]: حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، ص:104.

الدفع والتحريك لتعريفها به. ومنها:(إنّ الغريزة هي قوة **دافعة** ومحفزة وباعثة **لدفع** الإنسان لأداء المهمة المكلف بها. وهي...إعمار الكون، العبادة، الابتلاء...)[1].

وهذا التعريف عرّف الغريزة بكونها هي الدافع والباعث والحافز، وهو قد جمع هذه المصطلحات الثلاثة ليدل على عدم التفريق بينها، فيكون لنا أن نسميها دوافع فطرية أو غرائز أو بواعث أو ميول، كلها على السواء في الفعل الفيزيولوجي الفطري، (وقد يختلف العلماء فيما بينهم فيما يطلقونه من أسماء على هذه الدوافع التي تدفع الإنسان والحيوان إلى أنماط السلوك المختلفة، إلا أنهم جميعا يؤمنون أنّ هناك ما يدفع الإنسان والحيوان إلى السلوك، وهذه هي الدوافع أو النزاعات أو الرغبات أو الغرائز أو الحاجات، كما يطلق عليها علماء النفس.)[2].

المطلب الرابع: خصائص الغرائز وعملها في النفس الإنسانية.

لوحظ من طرف علماء النفس في الغريزة والسلوك الغريزي عدّة خصائص تتبع هذا النمط، تختلف باختلاف الجهة المنظور من خلالها للغريزة. ومن ذلك أنها:

- **فطرية**: فالإنسان مفطور على الغريزة مطبوعة فيه، أي أنه يولد مزودًا بها، والسلوك الغريزي يتميز بفطريته، فهو سلوك غير متعلم من المحيط الاجتماعي[3]. فهذه الخاصية تعد أصيلة في الغريزة.

- **عامة على جميع أفراد النوع**: فكما أنها فطرية فهي أيضا موجودة عند جميع الناس، وكلهم مزودون بغرائز واحدة لا تنقص غريزة عن غيرها عند فرد أو جماعة ما. فلا يمكن القول أنّ الغرائز موجودة عند فردٍ دون آخر، فجميع الناس مزودون بها.

- **عنصر أولي**:(...يضيف فرويد خاصية...للغريزة وهي أنها عنصر أولي لا يمكن تحليله إلى ما هو أبسط منه، فالغريزة إذن عبارة عن محركات أولية للسلوك...)[4].

- **تفاوت الناس في درجات التعامل معها**: فمع أنّ الغريزة عامة ومشتركة بين جميع أفراد النوع الواحد إلاّ أنها من حيث شدتها وقوتها تختلف من فرد إلى آخر[5]. قال الغزالي: (...فمن أنكر تفاوت الناس في هذه

---

[1]: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية: حجة..ومرجعية، ص:57.

[2]: محمد مصطفى زيدان - نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:66.

[3]: ينظر: عبد الرحمن محمد العيسوي:علم النفس الفسيولوجي دراسة في تفسير السلوك الإنساني،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،ص:107

[4]: عبد الرحمن محمد العيسوي: علم النفس الفسيولوجي دراسة في تفسير السلوك الإنساني، ص:107.

[5]: ينظر: محمد محمود بني يونس: سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط1، دار المسيرة، عمان- الأردن، 1427هـ-2007م، ص:23

الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل.)[1]. فحظوظ الناس في الطبائع الغريزية متفاوتة (...فنجد مثلا الخوف الفطري عند بعض الناس أشدّ منه عند فريق آخر، ونجد الطمع الفطري عند بعض الناس أشدّ منه عند فريق آخر، ونجد فريقًا من الناس مفطورًا على سرعة الغضب، بينما نجد فريقًا آخر مفطورٌ على نسبة ما من الحِلْم والأناة وبطء الغضب...، هذه المتفاوتات نلاحظها حتى في الأطفال الصغار الذين لم تؤثر البيئة في تكوينهم النفسي بعد.)[2]. ثم إنّ الغرائز في حاجاتها وسلوكاتها لا تظهر جميعًا دفعة واحدة منذ الولادة بل تظهر بالتدريج.

ثم إنّ الغريزة في حدّ ذاتها تتفاوت فاعليةً في نفس الفرد بين أنواعها جميعًا، فنجد فردًا يتفاعل مع غريزة وتؤثر فيه أكثر من غريزة أخرى. فيحب الأكل والنوم مثلاً ويتأثر لمجرد رؤيته لفرد أتى بهما أمامه، ولكنّه لا يأبه مثلاً للعب أو الاستطلاع. فليست كل الغرائز تكون فعالة بنفس المستوى داخل النفس[3]

- **الغرضية**: أي أنّ للغرائز غاية وغرض تهدف إليه.(...حيث أنّ إشباع الدافع يُنهِي التوتر وعدم الاتزان الناشئة عن هذا الدافع)[4]. ومن ذلك مثلا عندما يصاب الإنسان بحالة جوع شديد فإنّ أكثر ما يهمه حال ذلك هو البحث عن الطعام، وأكثر ما يجذبه هو صورُ الطعام وأسماؤه والحديث عنه. فهو يتوجه بفكره وإحساسه إلى الطعام أساسًا في حالة الجوع الشديد.

- **التلقائية**: أي أنّ للإنسان(...القدرة على أن يحرك نفسه حركة ذاتية تلقائية)[5]. وهذا ما يسمى بالمنعكس الفطري في الإنسان لأنه يعتمد الحركة التلقائية التي لا ترتكز على الأمر العقلي، فالإنسان إذا ما جاع مثلا وكان الطعام أمامه فإنه يأكل دون انتظار لأمر العقل، وإذا ما أرعبه شيء وأفزعه فإنه يهرب مباشرة دون انتظار لأمر عقلي.

- **الاستمرارية**: أو تسمى:"السعي نحو الهدف"[6]. حيث يستمر سعي الفرد حتى يحقق غرض الغريزة ويُلبي حاجتها. أما في حالة عدم إشباعه لرغباتها فإنه يسلك أحد سبيلين: الأول: أن(يبحث عن أساليب

---

[1]: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، مراجعة: صدقي محمد جميل العطار،ط1، دار الفكر،بيروت- لبنان، 1423هـ - 2003م، 83/1.

[2]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 178/1.

[3]: ينظر: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية: حجة..ومرجعية، ص:43

[4]: محمد مصطفى زيدان: نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ص:44.

[5]: المرجع نفسه .

[6]: إبراهيم الدر: الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان، 1415هـ- 1994م، ص:60.

ووسائل أخرى في محاولة منه لإشباع الدوافع، والتخلص من حالة التوتر وعدم الاتزان المصاحبة لعدم الإشباع أو الفشل في الإشباع)[1]. والثاني:(قد يلجأ الإنسان إذا فشل في إيجاد وسائل أو أساليب أخرى أو في الحصول على أهداف أخرى إلى تأجيل الإشباع إلى حين.)[2]، وهذا ما يعطي للغريزة صفة القوة في المجاهدة لتحقيق الهدف.

فهي(...من دون العقل الإيماني حمقاء رعناء جاهلة تندفع اندفاعًا بهيميًا أعشى، وهي في أغلب حالاتها تميل إلى اغتنام اللذات العاجلة، ولو كان من ورائها مضار وآلام كثيرة آجلة،...فمن طبع أهواء النفس أنها تؤثر العاجلة وتذر الآخرة.)[3].

- **التفاعل الكلي للجسد معها**: فهي غريزة عمياء رهيبة في طبيعتها، تسعى لتحقيق هدفها بقوة وتستمر في طلبه إلى أن تلقاه، وذلك بتضافر جميع أجزاء الكائن، فإنّ تحقيق الغرض الغريزي(...لا يتطلب من الكائن الحي تحريك جزء صغير من جسمه فحسب، وإنما يتطلب تكيفا كليًا عامًا، فكلما ازدادت حيوية الغرض، وكلما ازدادت قوة الدافع وإلحاحه، كلما زادت الحاجة إلى التكيف الكلي)[4].

- **إثارة أكثر من غريزة بسبب مثير واحد**: فقد يؤدي (الدافع إلى ضروب مختلفة من السلوك لدى الفرد نفسه، وذلك تبعًا لوجهة نظره وإدراكه للموقف الخارجي...)[5]، ومن ذلك مثلا إذا وقع الفرد في موقف خطر يجد فيه نفسه بين أمرين إما المواجهة بدافع المقاتلة وإما الفرار منه بدافع الهروب[6]، وقد تؤدي هذه الإثارة المشتركة للغرائز إلى تضارب السلوك الظاهري للفرد فتجده يقبل حين ويدبر حينًا آخر، وهكذا الحال عنده مع باقي الغرائز، وهذا ما يسمى بالصراع بين الغرائز داخل الفرد الواحد.

- **قابلية الغرائز للتهذيب**: فعلى الرغم من كونها عمياء وتلقائية إلا أنه يمكن التعالي بالغرائز والتسامي بها عن السلوك التلقائي الفج وتكتسب سلوكات أكثر تهذيبا وهي تحاول إشباع حاجاتها الغريزية، بجملة من الطرق المشروعة الجائزة في تلبية رغباتها، وبجملة من الآداب التي تحيط سلوكها بها[7].

---

[1]: السيد محمد عبد المجيد عبد العال: السلوك الإنساني في الإسلام، ط1، دار المسيرة، عمان- الأردن، 1427هـ- 2007، ص:175.

[2]: المرجع نفسه.

[3]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 781/1.

[4]: محمد مصطفى زيدان: المرجع السابق .

[5]: محمد محمود بني يونس: سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ص:23.

[6]: ينظر: عبد الرحمن العيسوي: علم النفس الفسيولوجي، ص:111.

[7]: المرجع نفسه، ص:110.

المبحث الثاني: أهمية الغرائز وأنواعها والفرق فيها بين الإنسان والحيوان.

وفي هذا بيان لأهمية الغرائز في حياة الإنسان ووظيفتها، وكذا أنواعها وأقسامها التي تتفرع عنها، وأيضا مدى الفرق فيها بين الإنسان والحيوان، هل لهما غريزة واحدة أم هناك اختلافات جوهرية؟.

المطلب الأول: أهمية الغرائز في النفس الإنسانية.

إنّ للغرائز أهمية كبرى في حياة الإنسان عامة، فهي جوهر استمراره في الحياة على الأرض، وهي جزء من كيانه، وعنصر من عناصر تركيبته التي لا يمكنه الانفصال عنها، أو تهميشها أو التخلي عنها.

والإنسان قد غرزت فيه غرائز عدة،كل واحدة منها تعمل في إطار معين ونظام محدد، لتحقيق هدف وغاية ما، تفيد وتخدم الإنسان في مجالها. فهي بذلك ضرورية ولازمة لحياته .

إنّ الغرائز:(...تساعد الإنسان على الحياة وتمكنه من التكييف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية...)[1] والغرائز تتدخل بقدر معين في سلوك الإنسان الذي يتوقف عليه الثواب أو العقاب في الدنيا والآخرة. ولأجل ذلك فقط لا يمكن إهمالها وطمسها.(..فتلبية الغرائز سيترتب عليها أمور، ستعد خيرًا أو شرًا، أو تعد صوابًا أو خطأً، سواءٌ بالنسبة للإنسان ذاته أو بالنسبة لغيره، فإذا تمت تلبية الغريزة بطريقة منضبطة من خلال الفطرة، والعقل، والعلم، والعقيدة الصحيحة، أصبحت الأمور خيرًا لصاحبها وخيرًا لكل ما حوله، وإذا لُبِيَت الغريزة بغير انضباط أي من خلال الهوى، أصبحت النتائج شرًا وضررًا لصاحبها ولما حوله)[2].

إنّ الغرائز الإنسانية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بكل مناحي الحياة، فلها اتصال بالناحية النفسية والدينية والجسمية، وكذا الاقتصادية والثقافية والترفيهية وغيرها، فنجد الغرائز على تنوعها مرتبطة كل واحدة أو مجموعة منها بمجال ما.

إنّ الغرائز التي هي دوافع فطرية للسلوك والفعل والحركة في الإنسان:(تحرك وتنشط الطاقات داخل الإنسان من أجل الوصول إلى الهدف، ولذا أثبت علماء النفس أن هناك علاقة طردية بين قوة الدافع والطاقة التي يبذلها الإنسان في السلوك...كما أنها تزيد من إصرار الفرد على الوصول إلى الهدف متحديًا الصعاب والعراقيل...)[3].

---

[1]: محمد مصطفى زيدان – نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص: 66.

[2]: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية حجة..ومرجعية، ص:43

[3]: السيد محمد عبد المجيد عبد العال: السلوك الإنساني في الإسلام، ص:177.

والغرائز تتفاوت من حيث الأهمية فيما بينها ودرجة ارتباط الإنسان بها، فهناك غرائز يتعامل معها الإنسان يوميا، تسمى غرائز حفظ الذات أو قد نسميها غرائز الحياة، كغريزة الأكل والشرب والنوم، وغريزة الجنس فهذه أكثر وجودا وتفاعلا في حياة الإنسان من غيرها من الغرائز، والتي قد لا يثور بعضها إلا مرات داخل النفس، كغريزة حب الاستطلاع والعدوان، والتملك وغيرها.

ورغم ذلك فإنّه لا يمكن إغفال أهميتها ودورها في سلوك الفرد، كما لا يمكن أيضا تجاهل خطورتها عند ثورة أي واحدة منها، ثورة قد تكون كبيرة تُعمي بصيرة الإنسان عن رؤية الخطر المحتمل وقوعه من سعيه خلف هدف الغريزة، أو المبالغة في تلبية رغباتها. ومن ذلك حدوث التخمة والأمراض المِعِدِيَّة من المبالغة في الأكل والشرب، أو الإصابة بالأمراض الجنسية كالزهري والايدز، جرّاء الممارسات اللاشرعية للجنس، والوقوع في المشاكل والمهاوي من الاستسلام لغريزة حب الاستطلاع ونحو ذلك.

وعليه فإنّ كل غريزة لها من الأهمية والضرورة في حياة الإنسان مالا يمكن بها الاستغناء عنها أو إهمالها. فلها جميعًا فاعليةٌ كبرى في حياة الإنسان.حتى أنّ الكثير من علماء النفس لما أرادوا معرفة أسرار السلوك الإنساني، وجدوا أنفسهم أمام ضرورة دراسة الغرائز أولا، لأنها منطلق السلوك الإنساني في جملته.

المطلب الثاني: أنواع الغرائز وأقسامها.

للغرائز أنواع كثيرة وعديدة تتفاوت في درجة أهميتها ومستوى تأثيرها في الإنسان، وأيضا في مدى ارتباطها به، وحاجته إليها، ومنها:

(غريزة المحافظة على الذات، غريزة إعادة النوع أو المحافظة على النوع، غريزة رعاية الصغار،...غريزة بناء السكن، الغريزة الجنسية، غريزة الرضاع، غريزة اللعب، غريزة المحبة، غريزة حب الاستطلاع)[1].

وأيضا:(غريزة الخلاص،...غريزة النفور،...غريزة حب السيطرة،...غريزة التجمع،...غريزة التملك،... غريزة الدفاع عن النفس...)[2].

وعند النظر إلى هذه الاعتبارات الدقيقة من سلوك الإنسان، واعتبار كل واحدة منها غريزة منفصلة بذاتها، نجد أنّ عدد الغرائز قد يفوق الخمسين غريزة أو أكثر.

---

[1]: عبد العلي الجسماني: علم النفس الغرضي، ص:249، ينظر: إبراهيم الدر: الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ص:63.

[2]: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان: مشكلات تربوية تواجه الناشئة والتعليم والمجتمع، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، 1420هـ - 1999م، ص:22.

ومن أشهر التصنيفات المقدمة في أنواع الغرائز، تصنيف مكدوجل والأنواع الأربعة عشر التي ذكرها والانفعالات التي تصحبها، وهي:(الوالدية وانفعالها الحنو، المقاتلة وانفعالها الغضب، الاستطلاع وانفعالها التعجب، الهرب وانفعالها الخوف، البحث عن الطعام وانفعالها الجوع، النفور وانفعالها الاشمئزاز، الاستغاثة وانفعالها العجز والضعف، الجنسية وانفعالها الشهوة الجنسية، الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص، السيطرة وانفعالها الزهو، الحل والتركيب وانفعالها حب العمل والنشاط، التملك وانفعالها حب التملك، الاجتماعية وانفعالها الشعور بالوحدة، غريزة الضحك وانفعالها التسلية.)[1].

وقد قدمت في الغرائز تقسيمات عدة، قد لا تختلف كثيرا في المقياس المعتمد لها في التقسيم.

والغرائز التي يصطلح عليها أيضا بـ "الدوافع الفطرية"، هي في أصلها فرع من الدوافع –عموما–، ويقابل الدوافع الفطرية "الدوافع المكتسبة" وهي على فروع عديدة، وسميت مكتسبة لأنها حاجات يتعلمها الإنسان من البيئة والمجتمع، ليس لها أساس بيولوجي فطري [2].

وتسمى الغرائز أيضا بالدوافع الفسيولوجية لارتباطها بالغدد الصماء والهرمونات التي تفرزها، وأيضا ببعض التفاعلات الحيوية التي تحدث في الجسم. ونذكر فيما يأتي الأقسام المتفرعة عن الغرائز، والأنواع التي تلحق بها:

قُسمت الغرائز حسب ما يحفظ الفرد أو النوع إلى:

(دوافع حفظ الفرد: كالجوع والعطش والتنفس والألم والتعب والخوف ، ودوافع حفظ النوع: كدوافع الجنس والأمومة، والدوافع النفسية: كدافع التدين والتملك والعدوان)[3]، وهذا التقسيم اعتمد عامل الأهمية والأكثر ضرورة للإنسان. وقريب من هذا التقسيم، تقسيمها إلى:

(1- الدوافع التي لا غنى عنها للكائن الحي، أي الدوافع التي تمكن الكائن الحي من الاستمرار في الحياة، وهذه الدوافع تشمل الجوع والعطش والنوم وغيرها.

2- دوافع تحفظ النوع مثل الدوافع الجنسية ودوافع الأمومة.

3- دوافع الخطورة مثل دافع القتال ودوافع الهرب.

---

[1]: محمد مصطفى زيدان و نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:67.

[2]: يُنظر : محمد عز الدين توفيق: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص:513.

[3]: محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث،ط3،دار السلام، القاهرة،1424هـ-2004م،ص:435، (رسالة ماجستير مطبوعة). ينظر: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1407هـ-1987م، 112/1. محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، ص:20

4- دوافع التعرف على البيئة مثل دوافع الاستطلاع ودوافع اللعب)[1]، وهذا التقسيم الأخير يخالف الأول فقط في القسم الثالث منه، المسمى بـ: الدوافع النفسية، حيث فرّعه إلى قسمين: دوافع الخطورة، ودوافع التعرف على البيئة.

ومن التقسيمات التي أُعطيت للغرائز أيضا، تقسيمها إلى:

(أ- الدوافع الفطرية الحيوية العضوية: وهي الدافع للطعام والشراب، والدافع للراحة والنوم، والدافع للإخراج.

ب- الدوافع الفطرية النفسية: وهي الدافع للتدين والدافع الجنسي، والدافع للاعتماد على النفس، ودافع حب الاستطلاع، والدافع للسكن للجنس الآخر، ودافع الأمومة، ودافع الأبوة، والدافع للأمن، والدافع للتملك.

ج- الدوافع الفطرية الاجتماعية: وهي الدافع إلى الحب، والدافع إلى التقدير والاستحسان، والدافع إلى إثبات الذات، والدافع إلى الانتماء...)[2]. وهذا التقسيم لم يعتمد جانب الأهمية في أنواع الغرائز والأكثر حاجة عند الإنسان، أو عامل الفردية والجماعية، بل قسم الغرائز حسب مجالها الذي تنتمي إليه، فما كان له صلة بالعضوية أدرجها في القسم الأول وما كان ذا صلة بالحالة النفسية أدرجه في القسم الثاني الخاص بها، ونفس الشيء بالنسبة للقسم الثالث الخاص بالجانب الاجتماعي. وهذا التقسيم الأخير للغرائز يجعله بعض العلماء الغربيون في قسمين فقط، فالقسم الأول منه يسمى بالدوافع الأولية، والقسمين الأخيرين يدرجان في قسم واحد يسمى بالدوافع الثانوية[3]. وهناك من صنف الغرائز إلى قسمين أيضًا، وسماهما:غرائز رئيسية، وغرائز ثانوية [4]. وتقسيم آخر لها قسمت فيه حسب المرتبة: فاعتبر المرتبة الأولى تحتوي على دافع الأمومة والجوع والعطش والجنس، والمرتبة الثانية على دافع الراحة، والرياضة، وتجنب الألم الجسمي، ودافع تجنب الحر والبرد، ودافع الإخراج[5].

وكل هذه التقسيمات قد تتباين في عدد الفروع التي وُزعت عليها الغرائز، وفي تسمياتها. ولكننا نلحظ تقاربها في المحتوى، أي في طبيعة الغرائز التي ضمّتها هذه الأقسام.

---

[1]: طارق كمال: أساسيات في علم النفس التربوي، ص:84.

[2]: مروان إبراهيم القيسي: المدخل إلى علم النفس في الإسلام، ص:95.

[3]: ينظر: المرجع نفسه، ص: 95.

[4]: ينظر: عبد العلي الجسماني: علم النفس الغرضي، ص: 238.

[5]: يُنظر: محمد مصطفى زيدان: نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ص:45. محمد مصطفى زيدان: الدوافع والانفعالات، ص: 40.

وهناك تقسيم آخر للغرائز لم يعتمد ذات المقاييس السابقة، فقسم الغرائز حسب ارتباطها بالجانب العقدي للإنسان أو بالأحرى حسب مهمتها في الوجود. ويتضمن ثلاثة أقسام أو محاور كبرى وهي:

أولاً: مهمة إعمار الكون، وتنقسم إلى:

(أ- حفظ الحياة: أي حفظ حياته من الهلاك، وهذا يتم من خلال هذه الغرائز: الجوع، العطش، الحاجة للتنفس، النعاس، الجبن والخوف، والهلع، الحذر.

ب- الاستمرار في الحياة: ليبقى البشر جميعا يخلف بعضهم بعضًا، ويتم ذلك من خلال هذه الغرائز: الجنس، حب الأولاد، الحرص.

ج- بناء الحياة (عمارة الأرض): وهذا يتم من خلال هذه الغرائز: الفضول،..حب المزيد،..حب التميز ..حب التملك،..حب السيطرة،..الاستعلاء،..الميل الاجتماعي،..الانتماء،..العجلة،..الظلم، ..الغيرة،.. الاستمتاع..)[1].

ثانيًا: العبادة. ويتفرد القسم بالعبادة وحدها التي يعبر عنها بغريزة التدين ففي الإنسان ما يدفعه إلى البحث عن خالقه ومُسَيِّر شُؤونه وشؤون هذا الكون كله. فالعبادة تعدُّ مظاهراً غريزة التدين ومحور تجسيدها.

وأما **القسم الثالث**، فهو:(اجتياز الابتلاء: أي الامتحان والاختبار...فإن الغريزة كشيء واجب التلبية داخل النفس، تعدُّ ابتلاءً للإنسان -صاحب الإرادة، والفعل-، كما تعدُّ ابتلاء لغيره - المنتفع أو المتضرر من أفعال الآخرين-)[2]. وكأنّه جعل الصبر على البلاء وقوة الإرادة غريزة في الإنسان بها يواجه بلاء الغرائز ذاتها. وعليه فإنّ الغرائز أنواع كثيرة ومتعددة تباينت في تعدادها من غريزتين [3]. إلى ما يزيد عن خمسين غريزة، وذلك ناتج عن سعة المجالات التي يمكن أن تمسها الغريزة من حياة الإنسان.

وفي التقسيمات التي قدمت فيها فإنَّ الملاحظ على هذه التقسيمات عمومًا أنها متقاربة وغير متباينة تباينًا شاسعًا، فهي متقاربة من حيث عدد التقسيمات والفروع التي وزعت عليها الغرائز، وأيضا من حيث المحتوى التوزيعي للغرائز فنجدها جميعا تضع غريزة الأكل والشرب والنوم، مثلا في القسم الأول وهكذا.

---

[1]: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية: حجة..ومرجعية، ص: 37.

[2]: المرجع نفسه، ص:43.

[3]: هو ما ذهب إليه " سيجمون فرويد" في الغرائز أنها اثنان فقط: غريزة الحياة التي هي الغريزة الجنسية، وغريزة الموت وهي غريزة العدوان والتدمير.

المطلب الثالث: الفرق بين الإنسان والحيوان في الغريزة .

يشترك الإنسان مع الحيوان في احتواء كلٌ منهما في تركيبته البيولوجية الجسمية على غرائز تعمل عند كليهما على تحقيق إشباعات معينة، والوصول إلى أهداف مرسومة لكل غريزة.

والحيوانات جميعها وكافة المخلوقات الحية على وجه الأرض تعمل وتعيش في إطار نظام مرسوم لها من عند الخالق سبحانه، هي تسيير على منهج مفطورةٍ عليه، يُعد وحيًا إلهيًا لها، يسمى"الإلهام الغريزي". قال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل/68].

فالحيوان يسير وفق منهج الغريزة التي غُرزت فيه، لا يستطيع أن يحيد عنه. به يأكل ويشرب ويتكاثر، وبه يحمي نفسه من المخاطر، وبه يُؤَمِّنُ لنفسه المسكن المناسب، وبه يتنقل على الأرض...الخ.

لا يملك الحيوان في داخله جهازًا آخر يوجهه وينظم سلوكه غير الغريزة. فنجد الحيوان ليس بإمكانه مثلاً أن يَسْكُن في غير ما هو مجهز للسكن فيه في طبيعته، ولا أن يأكل ما لم يجهز في طبيعته لأكله، كأن يكون حيوانًا عشبيًا لا يمكنه أن يأكل اللحم ويعيش عليه والعكس من ذلك، لأن الطبيعة الفسيولوجية له تأبى ذلك، وهو بغريزته لا يأكل ولا يتعامل مع ما لم يبرمج على أكله أو التعامل معه، حتى ولو وجد مالا يحتاج إليه فقط محيطٌ به، وهو في أشدِّ الحاجة لسدِّ حاجة غريزته.

وهذا ما يميز غريزة الإنسان عن غريزة الحيوان، فالحيوان لا يعمل على إيجاد البديل عند فَقْد ما يُعدُّ من مقومات حياته، لا يمكنه التأقلم مع البدائل للحفاظ عليها، على غرار الإنسان الذي يتعامل مع الموجودات المحيطة به وفق ما تطلبه غريزته، ولكنه عند فَقْدِ عناصره الأساسية التي يريدها، فإنّه لا يقف مكتوف اليدين، بل يعمل على إيجاد بدائل يقيم بها صلبه، ويحمي بها نفسه، ويحفظ بها حياته، فقد يأكل أوراق الشجر مثلاً إنْ لم يجد طعامًا، رغم أنّ ذلك بعيد عن طبعه في الحالة الطبيعية، فإنّ الإنسان له القدرة على التحايل مع متطلبات الغريزة للحفاظ على حياته، وهذا مما يميز الإنسان عن الحيوان من ناحية الغريزة ذاتها.

ثم إنّ الإنسان:(...متفرد حتى في هذه الدوافع المشتركة، فهي لا تكون دوافع فطرية محضة إلا لفترة قصيرة من الطفولة المبكرة، ثم تتدخل التربية بالتعديل، فتصير دوافع اجتماعية من الدرجة الأولى...)[1]. على عكس الحيوان الذي لا يتدخل شيء آخر في سلوكه غير الغريزة – في وضعه العام –.

---

[1]: محمد عز الدين توفيق: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص:512.

وأيضا من أبرز الفوارق الجوهرية بين الإنسان والحيوان في الغريزة أنّ الحيوان عندما تظهر له حاجة ويحتاج إلى إشباعها، فإنّه عند ذلك لا يؤجل البحث عن طلباته، ولا يمدد الوقت إلى حين إشباعها وتنفيذ طلبها، فالغريزة عند الحيوان لا تنتظر ولا تستطيع الصبر وليس لديها صوت آخر تسمعه غير ندائها، تبادر في البحث عن هدفها من حين ظهور الحاجة فيها إلى أن تصيب هدفها وتشبع رغبتها.

أما الإنسان في إشباعه لغرائزه، فإنّه يُخْضِعُ هذه الرغبات لقانون ونظام يُلبي في إطاره هذه الرغبات والحاجات. فقد يجوع الإنسان في فترات من النهار خارج الوجبات الرسمية، إلا أنّه يحتمل الصبر والجوع إلى حين موعد الوجبة التالية، وهذا ما هو مفقود في منهج الحيوان في إشباع غرائزه.

هذا فوق أنَّ الغريزة عند الحيوان يخضع بعض منها إلى مواسم من السنة إمّا إنها تنشط فيها وإمّا أنها تأخذ فيها راحة وسكون إلى نهاية الموسم. فمثلاً بعض الحيوانات تأخذ سباتًا شتويًا فتنقطع فيها عن الأكل طيلة فترة السبات، وكثير من الحيوانات لا تمارس غريزتها الجنسية إلاَّ في فترة محددة من السنة. على غرار الإنسان الذي يحمل في تكوينه استعدادًا غريزيًا للنشاط في أي حين، وحسب حاجته إليها.[1]

ومما يُعدّ أيضا فارقًا في الغريزة بين الإنسان والحيوان هو عامل الأخلاق. فالإنسان مفطورٌ على جملة آداب وأخلاق يمزجها بسلوكه عامة، وفي إطار مبادئها يلبي حاجاته الغريزية فـ:(...بدون الأخلاق التي تعتبر الضوابط النفسية والاجتماعية للفرد والمجتمع، لا يتميز المجتمع الإنساني عن المجتمع الحيواني في شيء يُذكر)[2]. إلاّ أنّه وفوق كل ذلك يبقى جوهر الفرق بين الإنسان والحيوان في الغريزة إنما هو "العقل".

إنّ العقل به يوجه الإنسان سلوكه علاوةً على الغريزة، ويُخْضِعُ حاجاتها لقانون ونظام في تلبية أهدافها.

إنّ العقل الإنساني قد أوتي قدرةً على الفهم والمعرفة تزيده قوةً في السيطرة على سلوكه والتحكم بميوله الغريزي على عكس الحيوان. إنّ العقل الذي نال به الإنسان الكرامة العليا، هو أعظم وأكبر ما يميز الإنسان عن الحيوان،قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء/70]

يقول أبو حامد الغزالي:(...الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه، فإنّ الجَمَلَ أقوى منه، ولا بِعِظَمه فإنّ الفيل أعظم منه، ولا

---

[1]: ينظر: عمارة نجيب: الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، ط2، مكتبة المعارف، الرياض، 1406هـ- 1986م، ص:15.

[2]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، باتنة - الجزائر، ص:67.

بشجاعته فإنّ السبع أشجع منه، ولا بأكله فإنّ الثور أوسع بطنًا منه، ولا ليجامع فإنّ أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم)[1].

وهذا ما يجعل الإنسان يعلو عن سائر المخلوقات فالإنسان يسير ويحيا بغريزته وعقله، لا بغريزته وحدها. فالغريزة ضرورية لحياة الإنسان وعنصر استمراره، والعقل سلاحه وأداته في توجيه هذه الغريزة والتحكم بها. إنَّ(...البهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل. إنّ أعظم البهائم بدنًا وأشدّها ضراوةً وأقواها سطوةً إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما حضّ به من إدراك الحيل.)[2].

والعقل يفيد الإنسان في النظر إلى عواقب الأمور والأفعال التي تمليها الغريزة عليه، فالعقل يمنع الإنسان من الاندفاع في تلبية رغباتها، بل يزنها بالنظر العقلي. ويمحص في صحتها وسلامتها له وعدم إضرارها به ثم بعد ذلك يمضي على فعلها والإقدام عليها.

إنّ قوة العقل تكمن في معرفة الإنسان لـ:(...عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث إنّ إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة...)[3]. وهو أيضا مما يميز الإنسان عن الحيوان.

وعليه فإنّ كلاً من الإنسان والحيوان قد غرزت فيهما غرائز ضرورية لحياتهما ولكن زاد اللهﷻ أن أعطى وميَّز الإنسان عن الحيوان بِعدَّة كرامات، أعلاها وأرفعها درجة وأعظمها: تكريمه بالعقل. الذي إلى جانب أنّه يتدخل في السلوك الإنساني وإحداثه كما الغريزة، فإنّه أيضًا يسيطر على هذه الغريزة وينظمها ويوجهها إلى صلاح الإنسان فيكون لها كالنور الذي يزيح الظلام، فيمنع العقل والعلم ثورتها واندفاعها الأعمى نحو إشباع حاجاتها وهذا ما يفقده الحيوان، وما لم يُطبع به على غرار الإنسان.

وفي ذلك كله ردٌ على من اعتبر أنّ الغريزة كمصطلح وطبيعة عائدةٌ للحيوان، وأنّ الذي يليق بالإنسان ويطلق على غرائزه هو مصطلح "دوافع"، لا"غرائز"[4].

---

[1]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 14/1.

[2]: المصدر نفسه، 78/1.

[3]: المصدر نفسه، 81/1

[4]: يُنظر: حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، ص:105. فاخر عاقل: دراسة التكييف البشري، ص:174.

المبحث الثالث: واقع الغرائز عبر العصور.

إنّ(المدارس الفكرية والفلسفية عند الأمم والشعوب في قديم العصور وحديثها...نظرت لسعادة الإنسان نظرات تختلف عن نظرة الإسلام لها...فمنهم من تصور هذه السعادة في الكمالات الروحية على حساب الغرائز الجسدية...ومنهم من تصور سعادة الإنسان في المال واللذة والشهوات على حساب الجانب المعنوي...وكل هؤلاء تنكبوا الطريق الصحيح...)[1]. وتفصيل بعضٍ من ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: الغرائز في العصور القديمة.

كان على رأس الشعوب في العصور القديمة وأبرزها: اليونان والرومان، وقد كان لكليهما توجه خاص في التعامل مع الغرائز، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الغرائز عند اليونان.

دعت الفلسفة اليونانية في تعاليمها إلى الأخلاق والفضائل الرفيعة، وذمّت كل ما يهددها من غرائز وشهوات، فهي تعتبرها عراقيل في طريق تطوير وإعلاء الأخلاق. فالتعامل مع الغرائز ومتطلباتها صفة تختص بالعبيد والبهائم. وهذا النوع من الحياة هو ما يسمى "بحياة اللذة".

واللذة عندهم ليست مرفوضة رفضًا مطلقًا، فاللذة التي تجلب الخير للإنسان غير مذمومة، ولكن المرفوضة منها هي اللذة الحسية التي تُطلب لذاتها، وتكون لوحدها هدف السلوك الإنساني[2].

وبالعودة إلى الفلسفة اليونانية القديمة نجد من بين مفكريها" بارمنيدس"، الذي(كان يرى أنّ الغريزة الجنسية هي النقطة المركزية غير المنظورة لكل فعل وسلوك، وهي تطل برأسها في كل مكان بالرغم من جميع الأقنعة التي يغلفونها بها، وهي سبب الحرب ونهاية السلام)[3].

ونجد سقراط قد ذم الشهوات بقوله:(الملك الأعظم هو أن يغلب الإنسان شهواته)[4]. ذلك أنّ الشهوات في نظره:(...تفتح الطريق للحس والغرائز مما يدخل الإنسان في تحاسد وصراع مع غيره، وفي حالة

---

[1]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006م، ص:42.

[2]: ينظر: محمد علي أبو ريان - حربي عباس عطيتو: دراسات في الفلسفة اليونانية (أرسطو والمدارس الفلسفية المتأخرة)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م، ص:177.

[3]: سعد الدين السيد صالح: نظرية التحليل النفسي عند فرويد..في ميزان الإسلام، ط1، مكتبة الصحابة، جدة- الشرفية، 1414هـ - 1993م، ص:63.

[4]: أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط3، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1426هـ- 2005م، ص:71.

اقتتال على تحصيل المطالب الجسدية...)[1]. ولعلّ هذا التشديد على الغرائز لصالح الأخلاق لدى سقراط هو ما سمح للأفكار الأيونية التي دخلت أثينا، والتي تدعو إلى تحطيم الأخلاق القديمة أن تجد لنفسها مكانًا فيها مما أدّى إلى الاستهتار والانحلال[2].

أما أرسطو وهو صاحب أقدم نظرية أخلاقية في الفكر الفلسفي، يَعتَبر الأخلاق نتاج الغرائز فالفضائل الأربعة (الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة) هي نتاج الغرائز الأربع التي هي: العقل والغضب والشهوة والوهم[3]. وأمّا أفلاطون فيرى أنّه من واجب الإنسان أن يترفع عن مطالب الجسد ونوازع الشهوات ولا يرضى منها إلاّ القدر الذي يحقق استمرار حياته. فالإنسان عليه أن يقمع هذه المطالب ويتجاوزها كي يحيا حياة فاضلة [4].

إذن الفلسفة اليونانية تقمع الغرائز وتدعو إلى السيطرة عليها، وتعتبرها عامل هدم لفضيلة الإنسان وسعادته وأخلاقه، ينبغي التخلص منها بتوجيه سلوك الإنسان بعيدا عنها.

الفرع الثاني: الغرائز عند الرومان.

تعامل الرومان مع الغرائز بصورة مختلفة عما كان عليه اليونان، فالرومان قد أطلقوا العنان للغرائز وملاذ الحياة من مأكل ومشرب وغيرها(فاجتمعت عليهم الرذائل وتركوا أنفسهم لأهوائهم حتى صاروا عبيدا لملذاتهم وشهواتهم...)[5]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الرومان قد استعملوا الغرائز من غريزة الأكل والشرب والمرح كوسيلة لجلب الجماهير إلى حلبات المبارزة والقتال، وهذه الأخيرة التي تعدُّ بدورها وجهاً من وجوه الغريزة العدوانية أو غريزة البقاء، تُلَبي رغباتها عندهم بهذه الصورة العامة.[6]

ونجد الرومان في الصفات التي أطلقوها على عدد من الآلهة التي يعبدونها، أسماء وصفات ترتبط بشكل كبير مع غريزة من الغرائز. فغريزة العيش في أمن وسلام مثلا تتجسد في ("الإله مارس" الذي كان في الأصل إلهًا يعطي الحياة للنباتات في الربيع. أصبح إلهًا للحرب مهمته أن يُسيِّر الأمور لصالح روما في المعارك

---

[1]:أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص:71.

[2]: ينظر: محمود السيد: التاريخ اليوناني والروماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م، ص:78.

[3]: ينظر: عبد الهادي الفضلي: من موقع: www.fajrweb.net

[4]: ينظر: أسعد السحمراني: المرجع السابق، ص:74.

[5]: محمود السيد: المرجع السابق، ص:103.

[6]: ينظر: المرجع نفسه، ص:107

التي تشترك فيها، وكذلك نجد "الإله يانوس" يحرس أبواب المدينة ضد أي مهاجم أو مغير)[1]. إلى جانب الإله "جوبيتر" الذي كان إلهًا يتحكم في الشمس والمطر ثم تحولت وظيفته ليصبح إلهًا يهتم بتأمين الرخاء لروما واستقرارها[2]. وهذا التحول في وظائف الآلهة إلى توفير الأمن في روما هو ما يفسره القلق الكبير على الوضع السياسي للبلاد مع الدول الأخرى.

وغريزة الأكل والشرب التي يمثلها(..."الإله ساتورنوس" إله الزرع أحد أقدم الآلهة عند الرومان الذي علَّم السكان الزراعة...)[3]. وآلهة أخرى لها ارتبطت وظائفها بالغرائز مثل("باليس" و"فروس" حَاميَا القطعان، و"جونو" آلهة السماء و"فينوس" إلهة الحب والجمال...)[4]. وعليه فإنَّا نلحظ أنّ الرومان لم يتركوا إلهًا ولم ينسبوا له العناية بغريزة من الغرائز، ثم إنّ إحاطة الغرائز بالعناية الإلهية لديهم يعطيها جانب القداسة في حياتهم، وأيضا يبعث في نفوسهم الراحة والطمأنينة في عدم ضياع هذه الغرائز وتضييعها مادامت الآلهة هي المتكفلة بها، في نظرهم.

المطلب الثاني: الغرائز عند أهل الكتاب.

كان لكل من اليهود والنصارى أسلوب ومنهج خاص في التعامل مع الغرائز، وبيان ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الغرائز عند اليهود.

عند الكلام على الغرائز لدى اليهود نجد أن الباب كبيرٌ والمجال فيه واسع. فاليهود الذين عُرفوا عبر التاريخ البشري بالمكر والخداع والخيانة والوهن والكذب وغيرها من الأخلاق الذميمة، عُرفوا أيضا بتعامل مع الغرائز مغاير لغيرهم من الشعوب. فإنّ إشباعهم للغرائز جميعًا يكون بشتى ألوان الفحش الخلقي والطرق المتعددة والحيل المختارة. وكلها من نسج خيالهم الممزوجة مع تشريعاتهم للإيهام على أنها أحكام ربانية، ليتمكنوا من إرواء غرائزهم بالطرق التي يريدون. ومن ذلك مثلاً ما يتعلق بالغريزة الجنسية، وهي أكثر الغرائز فاعليةً في نفس الفرد وأكثرها انتقاء لتحقيق المكر لديهم.

ففي العقيدة اليهودية يجوز الزنا بغير المرأة اليهودية، ولا يترتب العقاب على ذلك، لأنّ المرأة التي ليست

---

[1]: لطفي عبد الوهاب يحي: تاريخ اليونان والرومان موضوعات مختارة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2007م، ص:221.

[2]: ينظر: المرجع نفسه.

[3]: محمود شاكر: موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، ط1، دار أسامة، عمان- الأردن، 2002م، 360/1.

[4]: المرجع نفسه.

من سلالة اليهود تعد في نظرهم كالبهيمة التي لا يقع عقد النكاح معها[1].

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل أباحوا الفاحشة على نطاقها الواسع. ومن ذلك ما دعت إليه رئيسة المجموعة البرلمانية لحزب العمال في إسرائيل حيث:(...قدمت إلى الكنيست مشروع قانون بإباحة الدعارة في إسرائيل وقالت إنّ الهدف من ذلك المحافظة على صحة السيدات اللائي يمارسن أقدم مهنة في التاريخ.)[2]. وإذا كان الأمر كذلك فلا عجب إذا أن نستنتج العلاقة بين نظرية الليبيدو لصاحبها اليهودي "فرويد"، وبين هذه المعتقدات لديهم.

جاء في أحد التقارير اليهودية:(...إنّ نجاح دارون وماركس ونيتشه. قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي(غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا على التأكيد...)[3]. إلى جانب ما صرّح به كبار فلاسفتهم أمثال "دوركايم" الذي أعلن صراحة أنّه(...يحترم الزنا ويعتبره شيئًا سويًا عاديًا. وأنّ الزواج ليس من الفطرة)[4]. وأسوأ من ذلك أنهم نسبوا هذه الجريمة الشنعاء والأسلوب غير السوي في تغذية الغريزة الجنسية إلى الأنبياء والمرسلين الأطهار الذين اصطفاهم الله من بين خلقه لتبليغ شرعه، واصطفائهم يعني عُلو ذَواتهم ونزاهتها عن مثل هذه الرذائل.

ومن ذلك: اتهام لوط عليه السلام بالزنا بابنتيه وإنجابه منهما[5]، واتهام إبراهيم عليه السلام بالدياثة، حيث زعموا أنّه أهدى زوجه(سارة) إلى الملك[6]. والنبي داود عليه السلام بالزنا، حيث زعموا أنّه اغتصب زوجة أحد جنوده المجاهدين في سبيل الله حتى حملت منه سفاحًا بالنبي الكريم سليمان عليه السلام[7].

ومن أحكامهم الأسرية(لا يحق للمرأة اليهودية أن تشكوا زوجها إذا زنا على فراش الزوجية...)[8]. وأيضا:(من حلم من اليهود أنّه جامع والدته يؤتى الحكمة...ومن رأى أنّه جامع أخته فمن نصيبه نور

---

(1): ينظر: سعد الدين السيد صالح: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسان،مكتبة الصحابة-مكتبة التابعين، الإمارات-القاهرة، ص:175

(2): عماد علي عبد السميع حسن: الإسلام واليهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويّين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1425هـ- 2004م، ص:420.

(3): الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار التنوير، الجزائر، 2004، ص:144.

(4): عماد علي عبد السميع: المرجع السابق.

(5): ينظر: محمد بيومي: جرائم اليهود مع الأنبياء: سلسلة الثقافة عبر التاريخ، ص:14.

(6): ينظر: المرجع نفسه.

(7): ينظر: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ- 1998م، 626/3.

(8): فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي: حقيقة اليهود، دار الشهاب، باتنة، ص:19.

العقل.)[1] ؟!!.

وهم أيضا يستعملون الغرائز للوصول إلى أغراضهم السياسية والاقتصادية والثقافية..ومن ذلك: قصة "أستير"، التي استعملها اليهود للوصول إلى السلطة في دولة الفرس، عن طريق إغوائها للملك وزواجها به[2]

واليهود اليوم يعملون على(...جرف الفن- بكافة ألوانه- في طريق الانحراف الخلقي...عبر وسائل الإعلام المختلفة من حيث الأغاني الماجنة، الصور الفاتنة العارية...المراقص الخليعة...التمثيليات الهابطة ...(المسرح، السينما، التلفزيون، الفيديو)...)[3].

إلى جانب الإطلاق في غريزة الأكل والشرب بجميع الملاذ وعلى رأسها الخمر بأخبث أنواعها. ودعوتهم إلى العنف واستخدامهم إيَّاه للسيطرة على العالم. وبناءًا على ذلك فاليهود منذ القديم إلى يومنا لم يألوا جهدًا في استخدام الغرائز جميعًا لانحطاط الأمم ونشر الفساد فيها.

الفرع الثاني: الغرائز عند النصارى.

عند النظر إلى حال النصارى مع الغرائز نجد الكثير من التضارب في تعاملهم معها، بين واقع مغرق في تلبية رغباته وشهواته، وإباحية مطلقة في ممارسة الفواحش من الزنا وشرب الخمر والعدوان والسرقة وغيرها، وبين تناقضات عدة في كتابهم المحرَّف، من نصوص تحث على ترك الشهوات وملذات الدنيا إلى نصوص تضم أحكامًا مبناها منطلقات شهوانية، ومنها:

رسالة "بولس" إلى "أهل غلاطية" تقول:(وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكلموا شهوة الجسد.)[4].

ورسالة يوحنا الأولى:(لا تحبوا العالم ولا الأشياء المحيطة بالعالم التي في العالم إن أحبَّ أحد العالم فليس فيه محبة الأب. لأنّ كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الأب بل من العالم، والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد.)[5].

هذه التعاليم في مجملها التي تدعو إلى الروحانية الإلهية والعيش للآخرة لا نجد لها أثرًا في واقع الحياة النصرانية حتى عند أغلب رجال الدين فيها، هذه الفئة الأخيرة التي باتت تتزعم أخبار الفحش والفساد

---

[1]: فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي: حقيقة اليهود، دار الشهاب، باتنة، ص:19.

[2]: ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني: مكايد يهودية عبر التاريخ، ط7، دار القلم، دمشق، 1423هـ- 2002م، ص:197.

[3]: أحمد الزغبي: العنصرية اليهودية وآثارها، ص:634.

[4]: موسوعة الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، 463/4.

[5]: المرجع نفسه، 25/5.

الخلقي والممارسات اللاشرعية، فهم يدَّعُون ترك الدنيا وملاذها لله تعالى ولكنهم غير ذلك، يلبون رغباتهم الغريزية بطرق خفية وغير سوية، بل وحتى بعيدةٍ عن الإنسانية، من مثل اللواط والاغتصاب.

إنّ الكثير من الأحكام المسطرة في كتابهم لا يوجد لها مسوغ عقلي، ومن ذلك تحريمهم لتعدد الزوجات والطلاق في مقابل جواز اتخاذ الخليلات، فقد جاء في إنجيل لوقا:(كل من يُطلق زوجته ويتزوج بأخرى يرتكب الزنى، وكل من يتزوج بمطلقة من زوجها يرتكب الزنى.)[1]!!!. إنّ كل هذا التناقض نابع عن الهوى في أصله، وإلاّ لما بادروا أول مرة إلى تحريف دينهم، كغيرهم من أهل الكتاب.

المطلب الثالث: النظريات الحديثة في دراسة الغرائز.

ظهرت في العصر الحديث عدّة نظريات تُقدم دراسات متفاوتة لموضوع الغرائز ومن بينها:

الفرع الأول: النظرية القصدية.

واضع هذه النظرية هو عالم النفس الاجتماعي "وليام مكدوجال"[2] في كتابه "مقدمة في علم النفس الاجتماعي"، الذي يعتبر واضعاً لنظرية الغرائز في علم النفس الغربي، ويعتبر الغرائز هي المحركات الأولى والأساسية للسلوك الإنساني، وهي في نظره عبارة عن استعدادات فطرية موروثة تحمل الكائن وتوجهه نحو تحقيق مقاصد وأغراض معينة[3]. وهو بذلك يرى أنّ الإنسان(...يستجيب وفقًا لمبدأ تحقيق اللذة وتجنب الألم، ويعتبر أنّ كافة أشكال السلوك الإنساني لها جذورها الغريزية.)[4].

وقد قسم مكدوجال الغرائز إلى قسمين: غرائز فردية، وغرائز اجتماعية، حيث أنّ لكل واحدة منها مظهر انفعالي. فالأولى تتلخص مثلا: في غريزة البحث عن الطعام وانفعالها الجوع، وغريزة التملك وانفعالها لذة التملك، وغريزة الهرب وانفعالها الخوف، وغريزة الضحك وانفعالها الشعور بالمرح. والثانية منها: الغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة، وغريزة الوالدية وانفعالها الحنو، وغريزة السيطرة وانفعالها الزهو، وغريزة المقاتلة وانفعالها الغضب[5].

---

[1]: قراءة توضيحية في الإنجيل كما أوحى به الله إلى القديس لوقا، 2002، ص:75.

[2]: سبقت ترجمته، ينظر ص: 06.

[3]: ينظر: محمد محمود بني يونس: سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ص: 109

[4] : المرجع نفسه. ينظر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، ط2، أمريكا،1994م، ص:285

[5]: ينظر: حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، ص:102. عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1371هـ- 1952م، ص:63. عبد الرحمن العيسوي: علم النفس الفسيولوجي، ص:108.

ويرى أنّ الغرائز(لا تظهر كلها بدرجة واحدة عند الأجناس المختلفة، كما أن العوامل الاجتماعية والظروف المادية التي يعيش في وسطها الكائن الحي تؤثر في نمو هذه الغرائز وفي اتجاهها. ومع ذلك فإنّ السلوك الغريزي يوصف بأنّه سلوك تلقائي يأتي دون تعلم أو اكتساب.)[1]. ويرى أيضا أنّ المثير لكل غريزة يتغير بتغير الواقع والمحيط لكل فرد فما يثير غريزة ما عند شخص لا يثيرها عند آخر، والمثيرات قد تختلف أيضا من حيث القوة للغريزة الواحدة عند الشخص الواحد، فقد يثير الظلم وهضم الحق غريزة الغضب، ما لا يثيرها غير ذلك من الأعمال[2].

الفرع الثاني: نظرية سيجموند فرويد[3].

علَّق فرويد كلَّ تصرفات الإنسان بجانب واحد، لا يعدو أن يكون عنصرًا من العناصر المكونة لشخصية الفرد، فكان منه الإفراط في تقديس هذا الجانب والتفريط فيما سواه.

فألغى كل الغرائز التي تجول في النفس الإنسانية وأرجعها جميعًا إلى غريزتين أساسيتين فقط، وهو يعبر عن نظريته بقوله:(...وقد استقر رأينا بعد مدة طويلة من الشك والتردد على أنّ نفترض وجود غريزتين أساسيتين فقط هما: "إيروس"، و"غريزة الهدم"...وإنّ هدف أولى هاتين الغريزتين الأساسيتين...هو تأليف الأشياء بعضها إلى بعض. وهدف الغريزة الثانية هو...تفكيك الارتباطات، ومن ثمة هدم الأشياء...ولهذا السبب فنحن نسميها أيضا "غريزة الموت".)[4]، فالغريزة الأولى هي الغريزة الجنسية، والغريزة الثانية عي غريزة الموت.

وفي الغريزة الجنسية وحدها سطَّر فرويد اكتشافات كثيرة نسب لنفسه الأسبقية فيها وأعلنها رسمية للعالم على أنها أسس نظريته "الليبيدو"، وأول هذه الاكتشافات التي ذكرها:

(1- لا تبدأ الحياة الجنسية عند البلوغ فقط بل هي تبدأ عقب الولادة مباشرة في شكل واضح.

2- من الظروري أن نميز تمييزا دقيقًا بين مفهوم "جنسي" ومفهوم "تناسلي". والمفهوم الأول هو الأعم،

---

[1]: عبد الرحمن العيسوي: علم النفس الفسيولوجي، ص:110.

[2]: ينظر: المرجع نفسه.

[3]: فرويد سيجموند:(1856- 1939)، طبيب نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي، أثارت نظريته في تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة الأولى وفي عقد أوديب سخط أطباء الأمراض العقلية وعدد ممن كانوا قد انظموا إلى حركته. ومن أهم كتبه:"تفسير الأحلام"، "مدخل إلى التحليل النفسي"، "الذات والغرائز"، "معالم التحليل النفسي".حاول فرويد تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها. ينظر: ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 6/ 2580.

[4]:سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1408هـ- 1998، ص:50.

وهو يتضمن أعمالاً كثيرةً ليست لها أي صلة بالأعضاء التناسلية[1].

3- تشتمل الحياة الجنسية على الوظيفة الخاصة بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن، وتدخل هذه الوظيفة فيما بعد في خدمة الوظيفة التناسلية...)[2].

وفي كلامه عن الشكل الواضح الذي تظهر به الحياة الجنسية لدى الطفل يقول:(...فإنّ إصرار الطفل بعناد على الرضاعة ليدل دلالة واضحة في هذه المرحلة المبكرة على وجود حاجة إلى الحصول على اللذة، ومع أنّ هذه الحاجة تنشأ في الأصل وتَستمد قوتها من تناول الغذاء إلا أنها ومع ذلك تسعى وراء اللذة...)[3]، والطفل بهذا الشعور باللذة يرغب في تملك أمه لكنه يجد أباه عائقا في طريقه فتتكون لديه عقدة "أوديب"، ومثله للبنت نحو أبيها، ورفضا لعلاقته بأمها تنشأ لديها عقدة "ألكترا".

ويصطدم فرويد مع بعض تصرفات الحب من الطفل نحو أبيه، فيبحث لها عن تفسير لا ينفي به ما سبق توصله إليه يقول:(...فليس للولد مجرد اتجاه تكافؤ الضد نحو أبيه وموضوع علاقة عاطفية نحو أمه، إلا أنّه في نفس الوقت يسلك أيضا كفتاة، ويتخذ ميلاً نسويًا عاطفيًا نحو أبيه..وهذا العنصر المعقد الذي يأتي به ازدواج الناحية الجنسية هو الذي يجعل من الصعب أن نحصل على فكرة واضحة عن الحقائق... بل إنّ من الممكن أنّ هذا التكافؤ القائم في العلاقات مع الأبوين ينبغي أن يعزى بأسره إلى الثنائية في الجنس...)[4]، ففرويد يبحث عن فكرة واضحة للحقائق بعد خلطه لكل الحقائق. وأفكاره هذه تعبر عن امتداد الفكر اليهودي في شخصيته، وهو ما يعطي تفسيرًا عقليًا لنظرية الجنس الفرويدية.

الفرع الثالث: نظرية دارون[5].

تعتبر دراسات "تشارلس دارون" من أهم الأعمال الغربية في ميدان الغريزة، فقد أولاها اهتمامًا بالغًا في

---

[1]: هو يعمم مصطلح"جنسي" لأنه يرى أنه لا يراد منه دائما التناسل، ولا يرتبط الجنس دائما بالأعضاء التناسلية، بل الجسم كله في رأي فرويد مجند للذة الجنسية.

[2]: سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ص: 50.

[3]: المصدر نفسه، ص:57.

[4]: عبد الرحمن العيسوي: موسوعة علم النفس للتربية والتعليم، بيروت- لبنان، ص:30. ينظر: إبراهيم الدر: الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ص:62. السيد محمد عبد المجيد عبد العال: السلوك الإنساني في الإسلام، ص:71.

[5]: دارون: تشارلس روبرت (1809- 1882)، عالم طبيعي انجليزي، درس الطب بأدنبرة، وبدأ يدرس العلوم في كيمبردج، وكان شغفه بالتاريخ الطبيعي.من كتبه: " أصل الأنواع"، " أصل الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس"،" تنوع النباتات والحيوانات تحت الاستئناس". ينظر: ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 4/ 1647.

كتاباته، وجعلها حجر الأساس في نظريته "النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي"، والتي افترض فيها أنّ الإنسان ارتقى بنفسه وتطور من حيوان- قرد الشمبانزي- إلى إنسان، هذا الارتقاء الذي ارتكز عليه دارون لتفسير سلوك الإنسان ربطًا له بسلوك الحيوان استنادًا إلى الغريزة وحدها التي تعد العامل الرئيسي في بقاء الكائن وارتقائه. الأمر الذي دفعهم إلى اعتماد ذات المبادئ التي يستخدمونها في تفسير سلوك الإنسان بناءًا على أنّ الإنسان كان في أصله حيوانا[1].

ويرى دارون أنّ هناك ارتباط قويم بين الغريزة ونظريته انطلاقا من جانبين مهمين في الغريزة هما:

(1- احتمال تحوير الغريزة وتكيفها، مسايرةً للظروف البيئية وهذا يتساوق ونظرية النشوء.

2- الانسجام والتماسك المتضمن في مفهومي الغريزة ونظرية الانتخاب الطبيعي، بوصفها عاملين متوافقين في حياة أي كائن حي)[2]، ومثال ذلك أن تدفع الغريزة أحد الحيوانات إلى الهجوم على حيوان آخر بينما يسعى الآخر إلى الهرب بدافع حب البقاء.

وقد اعتبر دارون الغرائز على قسمين: غرائز متكيفة، وغرائز طبيعية.

فالنوع الأول يتسم بالمرونة باعتبار قابليته للتكيف على غرار النوع الثاني. وهذا الأخير الذي بصلابته استطاع التغلب على قانون الانتخاب الطبيعي ليتم توريثه وانتقاله بين الأجيال بصورة سريعة.

وهناك غرائز في نظر دارون قد نشأت عند بعض الأفراد بصورة مفاجئة، ثم انتقلت إلى الأجيال بعيدًا عن قانون الانتخاب الطبيعي[3].

وإذا أردنا أن نوجه بعض النقد لهذا الاتجاه، فإنّه لابدّ أن ننطلق من نظرية "النشوء والارتقاء" التي لا يزال العالم الغربي يتردّد بين قبولها أو رفضها، على غرار العالم الإسلامي الذي لا يسلم بمثل هذه النظريات، ويؤكد بطلانها اعتمادًا على الآيات القرآنية التي تثبت أصل الإنسان من فرد واحد هو آدم عليه السلام.

ثم لا يمكن الجمع بين الغريزة الحيوانية والإنسانية ليتم تفسير السلوك الإنساني انطلاقا منها، ذلك أنّ الغريزة الإنسانية قابلة للتهذيب والتوجيه والإعلاء عن طريق العقل الذي هو أحد الغرائز في الإنسان وعن طريق عوامل أخرى.

---

[1]: ينظر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، 288/3. ينظر: عبد الرحمن العيسوي: علم النفس الفسيولوجي، ص:108.

[2]: عبد العلي الجسماني: علم النفس الغرضي، ص:233.

[3]: المرجع نفسه.

الفصل الثاني

أسباب انحراف الغرائز والعوامل المتحكمة بها .

المبحث الأول: انحراف الغرائز أسبابه ونتائجه.

المبحث الثاني: عوامل التحكم بالغرائز.

تقود إلى انحراف الغرائز عدّة أسباب وعوامل منها ما ينبعث من داخل الفرد وكثير منها خارجية أي من محيطه ومجتمعه، ولذلك كان لابدّ من التحكم بها ضمن جملة ضوابط وبمساعدة عدّة عوامل تضمن حسن سيرها في طريقها المخلوقة لأجله.

المبحث الأول: انحراف الغرائز أسبابه ونتائجه

كيف تنحرف الغرائز، وما مظاهر انحرافها، وما الذي يؤدي إلى ذلك؟. وهل من عوامل تعيدها إلى استقامتها؟.

المطلب الأول: مفهوم انحراف الغرائز.

الانحراف في اللغة هو الميل أو العدول عن الشيء فَ(إذا مال إنسان عن الشيء قيل تحرف وانحرف واحْرَوْرَفَ. والإنسان على حرف من أمره أي على انحراف)[1].

وفي الاصطلاح: يطلق (...في العلوم على انحراف إحدى الظواهر عن قانونها العام. أما في علم النفس فالانحراف هو تحوّل إحدى الوظائف عن غايتها الطبيعية، كالشذوذ الجنسي أو الاضطراب الذهني الذي يوقع في الخطأ و التناقض أو النسيان، وبصورة عامة إن الانحراف هو الخلل الذي يصيب بعض الوظائف العضوية أو النفسية فيعوقها عن بلوغ غايتها الطبيعية.)[2].

والانحراف الغريزي يقع عندما يسمح الفرد للدوافع الفطرية بالسيطرة عليه، غندما يرخي لها الحبل فتصبح تتصرف لوحدها دون موجه وقائد، فبدل من أن يتصرف هو بعقله وإرادته بها، تصبح هي المتحكمة به المسيرة لفكره وسلوكه فيعجز بعد ذلك على إدارة الدفة لحكمه.[3]

إنَّ رغبات الغَرائز المنبعثة من هوى النفس قد انطبعت بطابعه واكتست صفاته. فالهوى في النفس هو (...شعور يميل بها إلى ما تُحِبُ من مطالب وحاجات، أو متع ولذات وشهوات، أو عواطف وانفعالات وقد يكون ما تهواه شرًا لها أو أذىً أو ضرًا...)[4].

ولذلك فإرخاء الحبل للغرائز هو جوهر انحرافها.عندما تأخذ تطيش بالإنسان بين رغباتها اللامتناهية.

---

[1]: الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، مادة"حرف"، 221/1.

[2]: سميح عاطف الزين: علم النفس مجمع البيان الحديث، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- لبنان، 1411هـ-1991م، ص: 129.

[3]: ينظر: المرجع نفسه، ص:130.

[4]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 236/2.

يقول محمد قطب:(الدوافع الفطرية هي خلاصة ذلك المزيج الكامن في بنية الجسم وبنية النفس، إنها رغائب يَحُفُّ بها الألم واللذة. أحدهما يدفع بها، والأخرى تحدوها لتنطلق إلى الأمام. وإذا عرفنا ذلك أدركنا مكمن الخطر في هذه الرغائب. إنها ضرورية لبقاء الحياة واستمرارها، ولكنها في الوقت نفسه مُعرَّضة للانطلاق العنيف. وكيف لا تنطلق – إذا تركتها وشأنها- وفي طبيعتها. كل ذلك الدفع وكل ذلك الحداء ؟، وحين تنطلق -كالمطية الفارهة – فإنها تعرض راكبها للعطب والهلاك)[1].

إنَّ الحرية التي تُعطى للغرائز في التصرف دون قمعها أو توجيهها. من شأنها أن تعتاد هذه الحرية فيعسر عليه بعد ذلك التحكم فيها. فهي لا تشبع أبدًا من طلباتها وتظل في إلحاح متزايد حتى تفقد عنصر اللذة منها، ولكنها رغم ذلك لا تنفك تطلب وتُلح على حاجاتها.

إنَّه(حين تطغى على الإنسان شهوة من شهواته: شهوة مال، أو شهوة جنس، أو شهوة قوة، أو شهوة سلطان..فذلك اختلاف في باطن نفسه لا يسعده في الحقيقة، وإن بَدَا له في أول الأمر أنه مستمتع وراضٍ وسعيد. إنما هو في الواقع من شقوةٍ دائمة لأنه قَلِق على ما عنده وراغب في المزيد... فكل شهوة زائدة عن الحدّ لا تجرف صاحبها وحده، وإنما تصيب غيره من الناس...تصيبهم بعدوان يقع عليهم.)[2].

ولذلك فالحرية التي ينبغي أن تعطى للغرائز كي لا تنحرف بها عن جادة الصواب هي الحرية الملتزمة المقيدة بالضوابط الشرعية. هي التي من شأنها أن ترفع بالغرائز الإنسانية إلى مستوى الإشباع المنظم، لا الحرية التي تحط بها إلى مستوى الإشباع الحيواني الشهواني[3].

فالإنسان في استجابته لكل طلبات الغريزة. لا يختلف حين ذلك عن الحيوان في سلوكه. لأنّ الحيوانات تعيش بناءً على الوحي الغريزي الذي فطرها الله عليه. ولذلك ف:(...الإنسان المحروم من التمدن تظهر غرائزه في سلوكه على نحو لافت، لأنه قريب في وضعيته العامة من الحيوان...، أما الإنسان المتمدن فإنه ينظم غرائزه ويُظهر براعةً في السيطرة عليها، وبذلك يتحرر من سلطانها، ويخضع لسلطان العقل والحكمة. وبما أنّ الغرائز تلح دائمًا على الإرواء المباشر دون أي اعتبار، فإن التمدن الحقيقي يتجلى في اهتمام الإنسان بالآجل والتضحية بالعاجل للفوز به...)[4].

---

[1]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 108/1.

[2]: المصدر نفسه، 29/1.

[3]: ينظر: عبد الحليم عويس: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر،ط1، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ- 2005م، 421/2.

[4]: عبد الكريم بكار: بناء الأجيال، ص:25.

المطلب الثاني: ضعف التربية الأسرية والتعليمية.

التربية الأسرية والتعليمية يُعدَّان من أكبر الأسباب التي تسهم في انحراف الغرائز وميلها عن صراطها المستقيم. فما العلاقة بينهما وبين الغريزة وما مدى تأثيرهما عليها ليكونا من أكبر الأسباب في انحرافها؟.

الفرع الأول: ضعف التربية الأسرية.

تعدّ الأسرة الحضن الأول والمنطلق الأساسي الذي يتزود منه الطفل بكل التعاليم التي تهمه في حياته. وهي الركيزة الأساسية لمبادئه وأخلاقه وسلوكه.

والأسرة في اللغة هي بمعنى:(الدِّرْعُ الحَصِينَةُ...والأُسْرَةُ مِن الرَّجُل: الرَّهْطُ الأَدْنَوْنَ وعَشِيرَتُه لأَنَّه يتقوَّى بهم...وأقاربُ الرَّجلِ من قِبَلِ أبيه...وعشيرة الرجل وأَهل بيته.)[1]. فالأسرة بهذا المعنى هي الدرع الحصينة التي يتحصن بها الفرد من كل ما يحتاج إلى التحصن منه، ومن ذلك الأخلاق المنحرفة.

إنّ الأسرة هي منطلق البناء والتأسيس في جميع المجالات لشخصية الطفل. فمن الأسرة يبدأ البناء العقدي في تذكير الوالدين للطفل بالله وربطه شعوريًا به، وإشعاره بمراقبته له. ومنها يبدأ البناء العبادي في تعليمه الصلاة وحثه على الحفاظ عليها، وكذا باقي العبادات. وهكذا بقية الأبنية التي تلزم الفرد في حياته.

ولأنّ الأسرة تقدم دورًا هامًا في حياة الفرد، فإنّ الإسلام قد عني بها أيَّما عناية وأولاها اهتماما بالغا، ومن ذلك ما جاء في تشريعاته الخاصة بها، من أحكام النكاح والطلاق والعدّة والنفقة والحضانة، وحقوق الزوجين وواجباتهم وغيرها.

إنّ أول قدوة يتخذها الطفل في حياته هما والداه، ولذلك ينبغي أن يكونا حذرين في تصرفاتهما. وانطلاقًا من ذلك كان الدور الملقى عليهما في التربية كبيرًا. ولذلك قيل: لا بدّ للوالدين أو من يتولى شأن طفل ما أن يعوده منذ نعومة أضفره على احترام الآداب الاجتماعية الفاضلة وكذا الالتزام بها، حتى يربو عليها وتنغرس في سلوكه وحتى لا يطعن في شخصه من مجتمعه إذا كَبُر جَانحًا عنها[2]. وينبغي عليه أيضا:(...صيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعيم، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيُضَيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد...)[3].

---

[1]: ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة" أسر"، 19/4. المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة" أسر"، 51/10.

[2]: ينظر: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006م، (رسالة ماجستير مطبوعة)، ص: 213.

[3]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 64/3.

وقد حثّ النبيﷺ في عدد من الأحاديث على حسن تربية الأولاد وتأديبهم. ومن ذلك: قولهﷺ: «**ما نحل والد ولدا من نحْلٍ أفضل من أدبٍ حسن**»[1].

وكثير من الانحرافات التي تظهر على سلوك الفرد يكون سببها عوامل تربوية أسرية، إذ (...يخبرنا الواقع ويؤكد لنا علماء الاجتماع والنفس أن وراء معظم المجرمين والمنحرفين والفاشلين ومرتكبي جرائم الأحداث يقف الانهيار الأسري، والصراع العائلي واللامبالاة، والاستهتار اللذان قد يُصاب بهما الأب أو الأم فيدفع الأبناء ثمن هذا التصدع في كيان الأسرة.)[2]. وهناك من قدَّم إحصائيات في ذلك تخبر أنّ (العوامل الأسرية تؤدي إلى76% من حالات الانحراف)[3]. فبعض الأسر لا يكون الهدف من تكوينها لدى الزوجين غير البناء الشكلي، دون التفكير والتخطيط المشترك لمقاصد الأسرة وتنشئة أولاد صالحين.

وقد يكون سبب الانحراف في بعض الأحيان سُوء اختيار الأسلوب المناسب الذي يتطلبه الموقف الحاصل، أو عدم فهم الطفل فهمًا صحيحًا لمراده وسلوكه. وفي هذا يقول مصطفى محمد الطحان:(في مراحله المبكرة يمر الطفل بسلوكيات غريبة...تنظر إليها الأسرة بعدم ارتياح...وهي في الواقع تطور طبيعي ينسجم مع تطور البناء الجسماني والنفسي للطفل...فمن العناد وعدم الطاعة...إلى الشقاوة...إلى السرقة التي تحدث نتيجة عدم وضوح مفهوم الملكية عند الطفل..إلى السلوك العدواني ضد الأطفال الآخرين..)[4]

كل هذه السلوكات وغيرها إنما هي طبيعية، نجدها عند أغلب الأطفال ذوو الفئة العمرية الواحدة، وهي في مجملها تحتاج إلى الكثير من الدراية والفهم من طرف الوالدين والمربين ليحسنوا التصرف معها، ويتمكنوا من توجيهها التوجيه الصحيح، وفي المقابل لابدّ من الحذر من الانفعال العشوائي ضدها لئلا: (..يتحول هذا السلوك الطبيعي إلى عدوانية حقيقية وانحراف سلوكي إذا أساءت الأسرة إلى الطفل.)[5].

---

[1]: الترمذي: السنن، البر والصلة، أدب الولد، ح(1952)، 338/4.

أحمد: المسند، بقية حديث جد أيوب بن موسى...،ح(16717)، 274/.27

الحاكم: المستدرك، الأدب، ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن،ح(7697)،263/4. الترمذي:(هذا حديث غريب لا نعرف إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز..وهذا عندي حديث مرسل). وقال الحاكم:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (ضعيف). ينظر: السلسة الضعيفة، 249/3.

[2]: عبد الحليم عويس: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، 415/2.

[3]: عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية لإسلام، ط1، الدار المصرية للكتاب، 1410هـ- 1990م، 406/1.

[4]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:267.

[5]: المرجع نفسه.

وهو ما أجمله ابن مسكويه الرازي في قوله:(...وذلك أنّ الصبي في ابتداء نشوئه يكون على الأكثر قبيح الأفعال...ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجارب حتى يتنقل في أحوالٍ. فلذلك ينبغي أن يؤاخذ مادام طفلاً بما ذكرناه...)[1].

والطفل في هذه السلوكات الأولية لا يدرك حيلاً أو أفكارًا يهدفها من وراء أعماله، وإنما هي سلوكات فطرية غريزية، ورغم ذلك فهي تحتاج إلى توجيه دقيق كي لا تنحرف بالطفل إلى التمسك بها فتصير طبعًا فيه يعسر التراجع عنه.

يقول ابن القيم في ذلك:(ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه فإنه ينشأ عما عوَّده المربي في صغره من حردٍ، ومن غضب ولجاج، وعجلة. وخفة مع هواه،وطيش وحدة، وجشع. فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك. وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولابدّ يومًا ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها.)[2].

ومن عوامل التربية التي حث عليها الإسلام وجعلها أساسية للبناء السليم، والتي يجب على الوالدين أن يحرصا على مراعاتها، والاحتراز فيها، هي: قضية العدل بين الأولاد في الأمور المادية، أو في إظهار العاطفة نحوهم. وإن كان هذا الأمر في الغالب والظاهر يندرج في باب حقوق الأبناء، إلا أنه في خلفياته ينطوي على كثير من التأثير النفسي على الطفل مما يكون سببًا في انحرافه سلوكيًا، فلا بدّ من إظهار العدل بين الأولاد لأنّ التفرقة كفيلة بتوليد حب الأنانية فيهم وتأجج مشاعر الغضب والكراهية، وكذا الرغبة في السيطرة والتملك لكل ما يرغب فيه ومالا يرغب فيه، تعويضا لنفسه عمّا فقده. سواء كان معنويًا بفرض وجوده وإثبات ذاته كفرد من الأسرة، أو ماديًا بأخذ ما يريد دون انتظار أمر أحد أو مراجعة منه. وقد يؤدي به أمرٌ كهذا إلى السرقة قصد التملك من داخل الأسرة أو من خارجها، ممن يرى أنهم هُم من سلبوه حقوقه كإخوته وهو الغالب، أو من غيرهم.

كما ينتج عن التفرقة انحرافات أخرى كثيرة كالعدوانية والنفور نحو أفراد الأسرة جميعًا، والرغبة في خلق المشكلات لفتًا لانتباه الوالدين له، أو إثباتا لوجوده، وكذلك يولد لديه الرغبة من ناحية أخرى في تغذية

---

[1]: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي، المعروف بـ" ابن مسكويه": تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ت: نواف الجرّاح، ط1، دار صادر، بيروت، 1427هـ- 2006م، ص:46.

[2]: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ت: فواز أحمد زمرلي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1423هـ- 2003م، ص:200.

جانبه العاطفي المفتقر وقد يكون ذلك بطرق غير شرعية. فيحاول استشعار العطف عند أيٍّ كان، عند الخليلة أو رفاق السوء أو المجرمين وبائعي الذمم.(...ويبحث بعضهم عن الاتصال الجنسي للحاجة إلى العطف، ولذا نرى مع بعض الحالات أنّ تفكك روابط الأسرة عامل أساسي يتبعه أحيانا فقد الطفل لعطف أسرته. ويقع كثير من الفتيات في حبائل الشبان...إذ أنّ نفورهن من الجو الجاف أو القاسي يسهل لهن الوقوع في جو آخر يبدو أكثر عطفا وأكثر حنوا..)[1].

ومن الأحاديث التي حثّ فيها النبيﷺ على العدل بين الأبناء. حديث النعمان بن بشير(رضي الله عنهما) حين أعطاه والده عطية دون إخوته. فعن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) وهو على المنبر يقول:« **أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول اللهﷺ فأتى رسول اللهﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال: فرجع فرد عطيته** »[2]. وقال رسول اللهﷺ:« **اعدلوا بين أولادكم اعدلوا بين أبنائكم** »[3].

ونموذج آخر مخالف تُصوره السنة النبوية عن العدل بين الأولاد. فعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت:« **دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبيﷺ علينا فأخبرته فقال من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار** »[4]. فالشاهد في هذه القصة أن هذه المرأة قد عدلت في تمرة واحدة لا تسمن ولا تغني من جوع. شَطَرَتْهَا نصفين لابنتيها.

إنّ الكثير من الانحرافات لدى الناشئة تكون بدايتها في المراحل المبكرة، حين يفقد الناشئ تلبية حاجاته المادية من قبل الوالدين. قالﷺ:«**كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته** »[5]. وكلمة القوت يراد

---

[1]: عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، ص:471.

[2]: البخاري: الصحيح، الهبة وفضلها، الإشهاد في الهبة، ح(2587)، 158/3.

[3]: أبو داود: السنن، الإجارة، في الرجل يفضل بعض ولده في النحل، ح(3546)، 317/3.
النسائي: السنن، النحل، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين، ح(3687)، 262/6.
أحمد: المسند، حديث النعمان بن بشير، ح(18420)،372/30.قال الألباني:(حسن)،ينظر:السلسلة الصحيحة،ح(1240)،314/3

[4]: البخاري: الصحيح، الزكاة، اتقوا النار ولو بشق تمرة، ح(1418)، 110/2.
مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الإحسان على البنات، ح(2629)، 2027/4.

[5]: مسلم: الصحيح، الزكاة، فضل النفقة على العيال والمملوك..،ح(996)، 692/2.

بها ما يحتاج إليه الفرد من مطعم ومشرب، ويمكن أن نقول إنها كلمة تشمل كل ما يُغذي الطفل من أخلاق عالية وتربية حسنة، وتوجيه صحيح في التعامل حتى مع غرائزه، ولذلك ينبغي على الوالدين أن يحرصا على تعليم ولدهما محاسن الأخلاق وفضائل الآداب كما يحرصان على إطعامه وكسوته.

ولذلك فدور الأسرة في التربية يبدأ منذ اللحظات الأولى للولادة إلى أن يشب ويستقيم سلوكه. وعينها عليه في هذه الفترة لا تغفل عن مراقبة أفعاله والمتغيرات من سلوكه.

إنّ:(دور الأسرة لا ينتهي مع دخول الطالب المدرسة..بل يزداد، فالطفل الذي كان تحت أعين الأم أصبح الآن في عالم آخر ومجتمع آخر، ومؤثرات أخرى مما يزيد من مسؤولية الأسرة في إبعاد الآثار السلبية عنه وتقوية الأمور الإيجابية فيه)[1]. ومما يدخل في مسؤولية الأسرة في هذه الحالة مراقبة رفاقه، واختيار الصديق الصالح الخلوق، إذ لهم من التأثير في شخصيته ما لا يستطيع الوالدان صده عنه إذا ما تغلغلت أفكارهم في فكره وسلوكه. قال رسول اللهﷺ:«**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[2]

إنّ الملاحظ اليوم في كثير من الوالدين هو بعدهم عن تتبع أحوال أولادهم الخاصة ومراقبتها عن كثبٍ. وذلك عائد عند كثير منهم إلى انشغال الأب والأم كليهما عن أولادهم فـ (إذا قصَّرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها، لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها، وخروجها من بيتها، وإذا أهمل الأب مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولاده، لانصرافه وقت الفراغ إلى اللهو وارتياد القهوات مع الأصحاب والخلان...فلا شك أنَّ الأبناء سينشئون نشأة اليتامى، ويعيشون عيشة المشردين...)[3].

ويركز أبو حامد الغزالي في عملية التربية حتى على ما يفعله الطفل خفية، يقول:(...وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا ترك تعود فعل القبيح...)[4].

---

[1]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:285.

[2]: أبو داود: السنن، الأدب، من يؤمر أن يجالس، ح(4835)، 407/4.

الترمذي: السنن، الزهد، ما جاء في أخذ المال بحقه، ح(2378)، 589/4.

أحمد: المسند، مسند أبي هريرة، ح(8417)، 142/14.

الحاكم: المستدرك، البر والصلة، وأما حديث عبد الله بن عمرو، ح(7319)، 171/4. قال:(صحيح إن شاء الله تعالى ولم يخرجاه) وقال الترمذي:(حديث حسن غريب)، وقال الزركشي:(وأخطأ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات والقول ما قال الترمذي)، ينظر: اللآلي المنثورة، 89/1. وقال الألباني:(حسن)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(927)، 597/2.

[3]: عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ط31، دار السلام، القاهرة، 1418هـ-1997م. 106/1.

[4]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 65/3.

ومن أهم أسباب الانحراف الأسري التي تحدَّث عنها المربون هو: الفقر، والترف على السواء. فالفقر كما سبق وأشرنا له آثار سلبية كثيرة على نفسية الطفل ثم على سلوكه. والترف في المقابل مُوازٍ له في الخطورة. ذلك أنّ كثرة المال تُطغي، كما حدث مع قارون وفرعون. والترف المادي كما هو معلوم باب للهو والمرح والطغيان والتجبر، وباب لكثير من الشرور.

ومن الأسباب أيضا نجد الطلاق وتشرد الأولاد بعده، بين أب وأم منفصلين كلٌ منهما في جهة، لا يجد الأولاد في ظلِّ جوٍ كهذا إلا أن يختاروا لأنفسهم توجهًا آخراً منفصلاً.

ويبقى أنّ الأسرة مَردُّ كثيرٍ من السلوكات المنحرفة التي تُلقي بالفرد إلى مهاوي اللذات والشهوات والغرائز المنحرفة الثائرة. فإمَّا أن يستمر به الحال كذلك فيصير هو ديدنه وعهده، ويتحول من كونه ضحية اللامبالاة والاهتمام إلى داعية للمنكر زعيمٌ له.

الفرع الثاني: ضعف التربية التعليمية.

لا تَقِلُّ التربية التعليمية أهمية عن التربية الأسرية فلكل منهما دور هام في تكوين الفرد وتوجيه سلوكه. فالأسرة التي أدرك سن طفلها الدخول المدرسي تبدأ في تجهيزه لتزفه إلى عالم آخر غريب عنه بادئ الأمر سرعان ما يتأقلم معه ليمضي أكثر وقته فيه. وقد تصبح علاقته بها أوثق من علاقته بأسرته. ليتخرج من جميع مراحله وقد أخذ منها جزءًا كبيرًا من معالم شخصيته.

والتعلم عند علماء النفس والتربية هو:(عبارة عن عملية اكتساب الطرق التي تجعل الإنسان يشبع دوافعه، أو يصل إلى تحقيق أهدافه.)[1]. وقيل التعلم هو:(...نشاط ذاتي يقوم به الفرد لمجابهة مشاكل الحياة من خلال الحصول على استجابات ومواقف مناسبة بالطرق التربوية التي تستثير فاعلية المتعلم.)[2].

من خلال النظر إلى تعريفها قد يتبادر إلى الذهن أنّ العملية التعليمية تقوم على نشاط المتعلم وحده تنجح بقوته وتفشل بضعفه، ولكنها في الحقيقة تنشطر على عدّة جهات، فـ:(...إذا كان التعلم نشاط ذاتي فهذا يعني أنّ العنصر الفاعل هو المتعلم...أما إذا كان التعلم تعديلا في السلوك فالذي يقوم بعملية التغير والتعديل هو المعلم وهو العنصر الفاعل...)[3].

---

[1]: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان: مشكلات تربوية تواجه الناشئة والتعليم والمجتمع، ص:19.

[2]: أنس شكشك: علم النفس العام، ص:44.

[3]: المرجع نفسه.

والذي نريد التركيز عليه ليس هو دور المتعلم، وإنما دور الجهات الأخرى في العملية التعليمية ومدى إسهامها في توجيه غرائز المتعلم، وبما تحمله من مضامين ومناهج قد تسهم في انحرافها، ومدى تأثير شخصية المعلم على المتعلمين. والواقع أنّ التعلم اليوم في البلاد الإسلامية في صورته العامة يشهد تراجعًا من عدّة جهات سواء من حيث مضمونه أو من حيث نتائجه التعليمية والتربوية.

ولأنّ التربية التعليمية ليست أمرًا هينا يمكن تجاوزه:(لأنّ هذا البناء يُعد من أهم ما يُكون الطفل، لأنه بناء العقل...)[1]. والعقل أحد الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها، وهو مناط التكليف فإذا صلح العقل صلح بناء الفرد والعكس.

وإذا كان النشاط التعلمي في عصر الأوائل يعود في جملته إلى اختيار الوالدين والطفل لمَدرِسِهِ وتخصصه، يتبحر فيه كيفما شاء ومتى شاء، فإن وجد اعوجاجًا أو سوءًا في مُدرس غيَّر متى شاء. فإنّ الأمر اليوم يعود في رمته إلى القائمين عليه والمسئولين. سواء في وضع مواد التعلم ومناهجه، أو في اختيار المدرسين. ولا قدرة للتلميذ على التغيير غير الخضوع والإتباع.

والعملية التعليمية اليوم تقوم على ركائز أساسية أربع هي: المدرسة، المنهاج المدرسي، المعلم،التلميذ. والذي نبدأ الكلام به من بين هذه الأربع هو **المنهاج**:

لأنّ المنهاج هو الذي يحمل المادة التعليمية التي ستؤسس لفكر الناشئ وشخصيته وفهمه للحياة ومنهجه في التفكير، وغيرها. كما أنه هو الذي سيكون منطلق المعلم وركيزته في توجيه التلاميذ. فأحيانا يكون نتيجة تقيد المعلمين بالمنهاج وضرورة إتمامه خلال سنة،لا يجد المعلم فسحةً لتحقيق أهدافه وتوجيه رسالته. خاصة إذا كانت طبيعة المنهاج ومادته لا تسمح بذلك في جملته أو في بعض عناصره.

ولذلك:(...يلتقيْ رأي الجميع بأنّ المنهج الدراسي هو النقطة الحيوية التي تصل الطفل بالعالم المحيط به، والوسيلة التي تصل بها المجتمع إلى ما يبتغيه من أهداف وآمال. فإذا كان فساد التربية والتعليم أساسه المنهج عجزت عن إصلاحه أمهر طرق التربية والتدريس. والمنهج كما أجمع المربون هو الأساس الذي يرتكز عليه بناء التربية والتعليم...)[2]. ولأنه أيضا يحدد الهدف من العملية التربوية من خلال مادته:(فإذا كان الهدف من التربية ينحصر في جانب محدد من جوانب الشخصية كالجانب المعرفي والعقلي مثلاً، يصبح المنهاج

---

[1]: محمد نور عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1430هـ- 2009م، 542/2.

[2]: محمد بن عبد العزيز الفوزان: مشكلات تربوية...، ص:31.

عبارة عن وعاء للمعلومات والمعارف النظرية التي يختارها المدرس ليملأ بها عقول تلاميذه عن طريق الإملاء والحفظ والتكرار.وبهذا ينحصر عمل المدرس في تلقين التلاميذ وحشو أذهانهم بأكبر قدر ممكن من هذه المعلومات دون الأخذ بعين الاعتبار متطلبات الحياة أو قدرات التلاميذ وميولهم.)[1].

وإن كانت هذه المناهج الحديثة في الدول العربية بعد الإصلاحات التي مستها تسعى لتحقيق هذا الهدف – أي لجعل المنهاج يمسّ كل جوانب حياة الفرد–، إلا أننا لا نسلم دائمًا أنه مادام هناك إصلاح فإنه يعني أنّ هناك تحسن وتقدم، بل قد يكون هذا الإصلاح في حدّ ذاته يحتاج إلى إصلاح أكبر منه. ولربما إذا نظرنا وجدنا أنّ المنهاج القديم كان أكثر رساليةً ونفعًا من الحديث. خاصة وأنّا نلحظ زيادة في بُعدِ المناهج التعليمية عن التعاليم الإسلامية وتقدمها نحو العلمانية ومزاحمة مواد العلوم الكفائية– الفلسفة، العلوم الطبيعية، الفيزياء، الرياضيات...– لمادة العلوم الإسلامية. التي لم تحض إلا بحصة أو حصتين أسبوعيا، رغم أنها المادة التي تحمل في نصوصها ومضامينها المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية والتوجيه الصحيح والسليم لدوافع المتعلم وغرائزه وسلوكه عامة.

(والحق يقال، إنّ من أول الأمور التي تحتاج إلى مراجعة حين تصاب الأمة بالنكبات، أو حين تكثر في طريق تقدمها العقبات العثرات، نظامها التربوي والتعليمي...)[2].

إننا عند المقارنة نجد أنّ(مدرسة اليوم تقوم مقام المسجد سابقًا، حيث كانت تعقد الدروس وتجري المناظرات وتناقش العلوم المختلفة...وحلّت مكانه المدرسة العصرية التي تدرس البرامج العملية بروح غربية علمانية، وأصبحت مادة التربية الإسلامية مجرد درس في المنهاج وفي كثير من البلاد لا يحاسب عليها الطالب دَرَسهَا أم أَهْمَلهَا...)[3]. بل أصبح الهمُّ الوحيد في التعليم هو مواكبة الغرب في مناهجه وأفكاره وعدم الاعتراف بالقديم فيها حتى ولو كان هذا القديم هو عنوان التطور الحقيقي لنا. خاصة وأن التباين بيننا وبين الغرب واضح في جميع المجالات، خاصة الدينية والعرفية منها. فأصبحت بذلك البرامج: (...برامج الغرب بكل ما تحويه من فكر معاد للدين بعامة وللإسلام على وجه الخصوص)[4].

وقد يكون الأصل في هذا البعد عن المنهج الإسلامي في أغلب الدول الإسلامية إن لم نقل جميعها، هو

---

[1]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:32.

[2]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص: 12.

[3]: مصطفى محمد الطحان: المرجع السابق، ص:284.

[4]: المرجع نفسه، ص:285.

الاستعمار وما خلّفه من آثار وسلبيات، يقول أحد المستشرقين:(لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين – ولو من غير وعي منهم– أثرًا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حدٍّ بعيد...ولا ريب أنّ ذلك خاصة هو اللبّ المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار...)[1].

ولذلك فعدم الاستناد على المعدن الأصيل في عملية التربية والتعليم. وعدم تضمين المناهج التربوية مادة دسمة تعمد إلى تغذية فكر المتعلم وروحه بالمبادئ الأصيلة في توجيه سلوكه وفكره، ورسم طريق سوية في تعامله مع غرائزه ورغباته بما يتوافق مع الدين الإسلامي وعرف المسلمين العام. فإنّ ذلك يؤثر سلبًا على عملية التربية ويؤدي إلى انحراف المتعلمين وهروبهم من المؤسسات التعليمية كما هو حاصل اليوم.

والعمدة الثانية في العملية التعليمية هي: المعلم. والمعلم في حقيقته هو:(...بمنزلة الوالد، فما يفعله الوالد في عقاب ابنه وتربيته يفعله المعلم، اقتداءً بقول رسول اللهﷺ:« **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم...**»[2]. بل بات دور المعلم وتأثيره على الطفل أكبر من الوالد، ذلك أنه يقضي معه في المدرسة من الوقت أكبر مما يقضيه مع والده بكثير. ولذلك ينبغي أن يتحلى المعلم بأخلاق وآداب جمة حتى يحسن الأولاد الإقتداء به، فينبغي أن يكون:(...عاقل ذو دين، بصير برياضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وقور، رزين بعيد عن الخفة والسخط، قليل التبذل والاسترسال في حضرة الصبي...)[3].

قال عكرمة:(إنّ لهذا العلم ثمنًا. قيل: وما هو؟. قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.)[4].

وللمدرس في الإسلام مكانة عظيمة، وهذه المكانة لم يستقيها من فراغ بل من دوره الفعال في تربية النشء وتكوينهم ليشبوا صالحين واعين فعّالين. والأصل أنّ دور المدرس اليوم لا ينحصر في مجرد تقديم مادة المنهاج تقديمًا آليًا أجوف، بل في خِضَمِّهَا يوجه ويربي كل ما يصدر من الطفل من سلوكات صحيحة أو خاطئة. فعملية التربية تسبق عملية التعليم ومن ذلك كانت تسمية الوزارة القائمة على ذلك بـ" التربية والتعليم".

---

[1]: أحمد خالد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص: 248.

[2]: النسائي: السنن، الطهارة، النهي عن الاستطابة بالروث، ح(40)، 38/1.

ابن ماجه: السنن، الطهارة، الاستنجاء بالحجارة والنهي، ح(313)، 114/1.

أحمد: المسند، مسند أبي هريرة، ح(7409)، 372/12. قال الألباني:(حسن)، ينظر: مشكاة المصابيح، ح(347)، 75/1.

[3]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ص: 556.

[4]: أبو القاسم بن عساكر الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، ت: محب الدين أبي سعيد العميري، دار الفكر، بيروت، 1995م، 100/41.

يجب على المربي أن:(...يسعى إلى تهذيب أخلاقهم وتدريبهم على كسب مهارات نافعة وتهذيب أذواقهم.)[1].

هذا فيما ينبغي أن يكون من صورة للمعلم في البلاد الإسلامية، ولكن الواقع غير ذلك عند الكثير من المدرسين:(...فالمعلم بصورته الحالية لم يعد ليكون معلمًا في مجتمع مسلم يعتز بفكره التربوي وتراثه الإسلامي إنما يعد ليكون عبدًا مردداً للفكر الوافد...)[2]. هذا من جهة ومن جهة نجد الكثير منهم قد استسلم لظروف الحياة ومتطلباتها فنجده يسعى لتوفيرها فملئت عقله وقلبه وَعَمَتْهُ عن رسالته التربوية. ومنهم من بات يرى الكلمات التربوية التي تدعو المعلم للتنبه للتلاميذ في شعورهم وآدابهم وتغير سلوكهم، كلام قديم لا جدوى منه، يجب ترك مسؤوليته للوالدين. فليس غيرهما في نظرهم مسئول عن ذلك. وهكذا يحدث الهروب من المسؤولية من جميع الأطراف.

(يقول رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية: إنه من خلال بحث بالتعاون مع الأمم المتحدة للوقاية من المخدرات والعنف في المدارس المصرية ظهر غياب الدور النفسي والاجتماعي للمدرس، وأنّ هناك نقصًا شديدًا في قدرات المدرس التربوية وقدراته على التعامل مع الأزمات...)[3].

والأدهى والأمر من ذلك كله أن نجد البعض ممن نعتبرهم معلمي الناس الخير، من يعمل على تحقيق شهواته وغرائزه استغلالاً لهذا العمل الرفيع، فنجدهم مرضى نفسانيين ينشرون أفكارهم العليلة للطلبة ويشجعون عليها، كما كان الحال عند كثير ممن اعتبرهم العالم علماء نفسانيين، ولربما أثار في التلاميذ الرغبة في التصريح عما يختلجهم من شهوات ورغبات فيتشجعون على تحصيلها بأي طريقة، خاصة في المرحلة الإكمالية والثانوية، حيث تتوافق مع ثورة الغرائز ونشاطها في نفس المتعلم.

إنّ كل الصورٌ والأحداث التي نسمعها ونراها عن تصرفات شهوانية من بعض المعلمين، لتعيدنا إلى قول الأوائل:(...لما كثرت البدع والأهواء، بدأ العلماء يحذرون طلبة العلم بقولهم: إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، قالها عبد الله بن المبارك وغيره...)[4]، وإن كان هذا القول كما ذكرنا سابقًا لا ينطبق على زماننا لاستحالة الاختيار والتغيير.

---

[1]: محمد بن أحمد الفوزان: مشكلات تربوية تواجه الناشئة والتعليم والمجتمع، ص:24.

[2]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:285.

[3]: المرجع نفسه.

[4]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ص:554.

(..إنّ الاعتداء الجنسي على الأطفال لا يحدث فقط من قبل الغرباء عندما يفتقد الأطفال الرعاية الواجبة لهم، بل كثيرًا ما يقع هذا العدوان من قبل من يفترض أنهم مؤتمنون على هؤلاء الأطفال أي في نطاق الأسرة من قبل المحارم الأكبر سنًا، أو في المدرسة من قبل المدرسين أو العاملين في المدرسة أو الزملاء.)[1]

هذا و هناك عوامل أخرى تسهم في العملية التربوية، لها تأثير بالغ في تكوين سلوك المتعلم وتوجيهه لا يمكن إغفالها، وهي ساحة المؤسسة التربوية في ظل غياب الرقابة الإدارية، وأعني بها ما تضمه من طلبة وطالبات، وما يحدث بينهم من احتكاك تتباين نتائجه وآثاره حسب طبيعة الصحبة المنتقاة منهم، فنجد المؤسسات التربوية قد باتت تضم المتعاطي للتبغ والتدخين والمخدرات، ونجد من المتعلمين من يدفع زميله أو تدفع زميلتها إلى اقتناء خليل، والحجة في ذلك أنّ التطور الاجتماعي يرفض الانغلاق الجنسي، والعفة والحياء، وأنّ عدم مصاحبة الخلان والخليلات نوع من العُقَدِ التي ينبغي التخلص منها، وهو ما ينتج بعد ذلك التسرب المدرسي، تزداد حدته هروبًا إلى الأماكن التي يمكن أن تلبى فيها الغرائز المتهيجة في ستر وأمان دون أن تشعر السلطة العائلية بذلك، أو تتابعه الإدارة المدرسية – في كثيرٍ من الحالات– .

ومنهم من لا يغادر المؤسسة فيحقق شهواته داخلها، سواء في وقت الاستراحة أو عند غياب أستاذ ما، فيبحث عن أماكن خفية داخلها لتحقيق حاجته الغريزية المنحرفة، وهذا ما يعيدنا إلى كلام الغزالي سابق الذكر في أنّ الطفل لا يأتي بشيء في الخفاء إلاّ وهو يعلم سوءه ورفض غيره له، ولذلك فالأمر يحتاج إلى تعليم بنّاء وتوجيه سليم ورقابة دائمة من جميع الأطراف التي تسهم في التربية والتعليم، إلى أن يستقيم سلوكه وتظهر معالم شخصيته المتزنة السوية.

المطلب الثالث: غياب الوازع الديني والصحبة السيئة.

الدين بتعاليمه وآدابه ذو علاقة وطيدة بحياة الإنسان، لذلك فغيابه له تأثير كبير عليها. والصحبة السيئة كذلك من أكبر العوامل التي تسهم في بناء شخصية الفرد. وعلى الغريزة يُسهم كل منهما في عملية التأثير حسب درجة ارتباط الفرد بهما.

الفرع الأول: غياب الوازع الديني.

الدين كما سبق بيانه، يعدّ أهم بناءٍ تبنى عليه شخصية الإنسان المسلم وأولها، وهو أساس الكيان

---

[1]: جامعة الأزهر بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة(يونيسف): الأطفال في الإسلام:رعايتهم ونموهم وحمايتهم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2005م، ص:55.

الإنساني، به ترقى إنسانيته، وبعدمه تنحط إلى أدنى المستويات. إلى الحيوانية المغرقة في الشهوات.

والدِّين هو أيضا أهم العوامل والقوى التي توجه الغرائز وتتحكم بها، فتمنعها من الانحراف والزيغ الذي تصير به إلى الإفراط الماجن أو التفريط القاتل، فهو الذي يعمل على ضبط سلوك الإنسان وفق أحكامه وتشريعاته التي تتوافق وطبيعة الفطرة الإنسانية. فما الذي يمكن أن يحصل للإنسان لو غاب الدين الصحيح من وجوده؟، وماذا يحصل له لو فقد في نفسه الوازع للدين والخضوع لأوامره ونواهيه؟.

إنّ الإنسان حينما وَجدَ نفسه(تتأجج برغبات هائلة من حب التملك، والسيطرة والاستعلاء، والاستمتاع بضروب اللذائذ من طعام وشراب، ورياش، ونساء، الخ. مضى بكل قوته ليحقق رغباته، وقام حينئذ المنهاج الإلهي بأصوله وفروعه ليكون دليله الهادي، وميزانه القيم فاعتدل الميزان. ثم حين أعطته مناهج الجاهلية بدائلها المظلمة تلاشت روابط الطبع، وسلامة الفطرة...)[1].

إنّ الناظر إلى دول الغرب على اختلاف توجهها الديني، وحالها مع الشهوات واللذات يجد لها إذعانًا للغرائز وإقرارًا بالمنكرات وهي تمارس فيها علنًا منذ فجر التاريخ، إنّ هذا الإقرار بالمنكرات في دساتيرهم وقوانينهم، والتمادي في الممارسات اللاأخلاقية جاء رغم الثورة العلمية، والإدراك التام لخطر هذه الممارسات، ورغم وجود جمعيات تدَّعي الإنسانية والدفاع عنها، ولربما هي في حقيقتها تدافع عن الحيوانية ضد الإنسانية، ولكنها فقط تكسوها بردائها أمام أصحاب الضمائر والعقول الحية.

إنَّ وفرة العلم مع قوة السلطان والهيمنة العالمية لم تغني دول الكفر شيئًا، فبقيت سجينة ملذاتها ومجونها. هذا السجن الذي عُنْوِنَ عليه باسم "الحرية الشخصية"، وسُطِّرَ حقًا من حقوق الإنسانية، إنَّ علمهم بضرورة محاربة الأمراض الخبيثة الفتاكة، وتسخير كل ما يلزم من إمكانيات ووسائل مادية وبشرية لأجل ذلك، لم يقدهم إلى ضرورة محاربة جذور هذه الأمراض واستئصال أسبابها.

إنَّ هذه الحيوانية الشهوانية المسيطرة في البلاد الكافرة سببها غياب الدين الصحيح من نفوس أصحابها وأفكارهم وأعمالهم وقوانينهم التي يعيشون وفقها.

والمسلم البعيد عن دينه الذي ضعف في نفسه الإيمان والوازع الديني، نجده(لا يرتكب هذه المنكرات والفواحش إلا بعد أن يخلو داخله من الرادع الذاتي وينشأ في ضميره دافع التمرد على الله ورسوله وعدم المبالاة باليوم الآخر الذي يُحاسب فيه عن أقواله وأفعاله كبيرها وصغيرها، ولا يقف عند انتهاك حرمة واحدة

---

[1]: علي محمد الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم، ط1، دار النفائس- دار البيارق، عمان- الأردن، 1419هـ- 1999م،ص:569.

من حرمات الإسلام بل يتجاوز ذلك إلى انتهاك جميع الحرمات، ونقص جميع الالتزامات، حتى يأتي عليه وقت لا يبقى في نظره أمرٌ من أمور الإسلام يستحق التقديس والاحترام...)[1].

وذلك أنّ(الرذيلة أماتت قلبه وأفسدت ضميره، فأصبح يرى المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والباطل حقًا، والحق باطلاً، والإصلاح فسادًا، والفساد إصلاحًا.)[2].

فإذا كانت أمم الكفر من قديم الزمان إلى يومنا منحرفة وضالة في سلوكها الغريزي الأخلاقي بسبب بعدها عن الدين الصحيح، فإنّ أمة الإسلام تشهد ضعفًا وتدهورًا بسبب ضعف تطبيقها لتعاليم الإسلام. الأمر الذي عَظَّمَ في نظرها كل فكر غربي، وكل ما هو آتٍ منهم. وهَوَّنَ الأحكام الشرعية والحدود والأخلاق الإسلامية، فبات بعض المقلدين للفكر الغربي ينظرون إلى التعاليم الإسلامية على أنها فكرٌ متحجرٌ لا يتواكب مع العصرنة والتطور الحضاري، ينبغي التحرر منه، أو تكييفه بما يتماشى مع الواقع بطرح ما يتعارض معه، وتشييد ما يتوافق وإيَّاه. فكان نتيجة ذلك أن تراجعت قوة الإيمان في قلوبهم، وضعفت نفوسهم أمام الواقع الصارخ بالغرائز والشهوات المتراكمة والمتصارعة داخل النفوس.

(...فمن طَبْعِ أهواء النفوس أنها تُؤْثِرُ العاجلة وتَذَرُ الآخرة، ما لم يضبطها ضابط من العقل الصحيح الراجح، المقرون بالإرادة الحازمة، أو ضابط من الإيمان الراسخ والدين المهيمن على النفس، والمتغلغل في أعماق القلب والوجدان.)[3].

إنّ منهج التشريع الإسلامي يعمد إلى أن(يربي وجدان الإنسان وانفعالاته وعواطفه عن طريق عقد الصلة الدائمة بينها وبين الله في كل عمل أو فكر أو شعور...)[4]. وإذا انقطعت الصلة بالله تدهورت وانحرفت كل الجوانب التي كان للدين أن يكون حاضرًا فيها. وليس هناك من جانب لا ينبغي للدين أن يكون حاضرًا فيه، فدين الإسلام شمل في تعاليمه كل صغيرة وكبيرة. قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة /04]. وليس أدلَّ على ضرورة الدين للحياة وهلاكها بضياعه من قولهﷺ في خطبة حجة الوداع التي ترك فيها جملة وصايا ختمها بوصية تعمها

---

[1]: أحمد زكي تفاحة: الإسلام عقيدة وشريعة، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة، 1983م، ص:285.

[2]: المرجع نفسه، ص:286.

[3]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 781/1.

[4]: علي أحمد مدكور: منهج التربية الإسلامية: أصوله وقواعده، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت،1407هـ-1987م، ص:216.

جميعًا. قالﷺ:«...**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله..**»[1]

إنّ الإنسان(لما أعرض عن أمر ربه أبقى الطبع وأضاع الشرع،واستبدل به شرائع وضعية قاصرة وناقصة، فانهارت الموازنة الفذّة لعجز هذه الشرائع عن معادلة الطبع الإنساني،أو التعامل معه على أسس سَليمة)[2]

وقد أخبر النبيﷺ في أحاديث كثيرة عن بعد الناس عن الدين وضعفهم دونه. وأخبر عن الفتن التي تقع فيها الأمة الإسلامية آخر الزمان ومَرَدُّهَا إلى اللذات والغرائز.

عن هند بنت الحارث الفارسية: أنّ أم سلمة زوج النبيﷺ قالت:« **استيقظ رسول اللهﷺ ليلةً فزعًا يقول سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يُصَلِّينَ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** »[3]، فالنبيﷺ لم يلجأ لغير العبادة عندما فَزِع، ولم يأمر نساءه بغيرها، ولم يوقظهم لغيرها. وهذا دلالة على أنه لا يُتَمَسكُ بغير الدين زمن الفتن. قد عنون البخاري هذا الحديث بقوله:"لا يأتي زمان إلاَّ الذي بعده شرٌ منه"

وعن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطْرِ يفرُّ بدينه من الفتن** »[4]. وهذا لمن خاف على دينه فيفر به لقوة إيمانه داخل نفسه، فهو محافظ على دينه داخل نفسه ويسعي للحفاظ عليه من الفتن. ولكن ما الذي يفعله من ضَعُف في نفسه الوازع لدينه، ولم يحافظ عليه داخل نفسه، غير الاستسلام والخضوع للفتن.

قال ابن حجر في شرح حديث أبي سعيدرضي الله عنه:(..والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه.)[5]. وقالﷺ:« **العبادة في الهرجِ كهجرة إليَّ.**»[6]. قال النووي في شرحه:(المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أنَّ الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد)[7]. هذاً هو غياب الوازع الديني وضعف الصلة بالله في زمن الفتن، وكثرة الشهوات وسيطرة الغرائز الذي أخبر عنه رسول اللهﷺ.

---

[1]: مسلم: الصحيح، الحج، حجة النبيﷺ، ح(1218)، 890/2.

[2]: علي محمد الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم، ص: 568.

[3]: البخاري: الصحيح، الفتن، لا يأتي زمان إلا الذي بعده خير منه، ح(7069)، 49/9.

[4]: البخاري: الصحيح، الفتن، من الدين الفرار من الفتن، ح(18)، 13/1.

[5]: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، 54/13.

[6]: مسلم: الصحيح، الفتن وأشراط الساعة، فضل العبادة في الهرج، ح(2948)، 2268/4.

[7]: محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر، 247/9.

والذي جعلهم يتخذون إلها آخر يعبدونه من دون الله، هو عبودية مصالحهم الدنيوية، بمعنى آخر عبودية شهواتهم، وتلبية رغبات دوافعهم الفطرية، وقد قال ﷻ محذرًا من ذلك: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[الإسراء/22]، فبدل التوجه لعبادة الله عبدوا الشهوات، والذي جعلهم يتركون الدين الصحيح إلى غيره، هو بحثهم عن دين لا يأمرهم ولا ينهاهم، يبحثون عن دين يترك لهم المجال واسعًا لفعل أي شيء، لفعل ما تأمر به الغرائز دون قيد أو شرط، ومثال ذلك ثورة أوربا على القوانين الكنسية زمن النهضة والدعوة إلى فصل الكنيسة عن أمور الحكم وحياة الناس.

وإذا كان الناس في أوربا وغيرها شهدوا لأنفسهم تطورًا بعد ذلك، فإنّ دولة الإسلام شهدت لنفسها ضعفًا وانكسارًا بعد بعدها عن تعاليم دينها، وتأثرها بالتيار الغربي، رغم أنها تملك الدستور الإلهي الصحيح الذي يضمن لها حياة هانئة وطيبة في الدارين.

إنّ الغرائز بما تحمله من خصائص هي مدخل الشيطان لكل الناس وهي النقطة التي يستغلها إبليس عند ضعف الإيمان في النفوس، فيستعملها كسلاح لمحاربة الجميع على اختلاف درجاتهم الإيمانية والعلمية، فلكل درجةٍ أسلوب خاص، ومدخل خاص من أنواع الغرائز.

وقد حذّر الله تعالى من تضييع الدين، لأنَّ في ذلك فسح للمجال أمام الشهوات. قال ﷻ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف/٢٨]، وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم/59].

إنّ غياب الدين من حياة الناس، أو ضعفه في النفوس يفسح المجال أمام قوى الشر التي (لا تلوي على شيء، تثير الغرائز..وتكتسح كل عائق في طريقها، وتجعله خادمًا لها، ليحقق للشهوات أقصى غايتها...التي لا تمل في طلب المزيد والتجديد، حتى تصبح الحياة الإنسانية صورة مشينة موغلة في بهيمة شهوانية...)[1].

إنّ ضعف الوازع الديني في النفوس المؤمنة يأتي من عدة عوامل وأسباب، تبدأ بترك النوافل شيئًا فشيئًا، ثم التهاون في الفرائض من حيث أداؤها على الوجه التام، وتأخير وقتها، وعدم استحضار الشعور الإيماني

[1]: علي محمد الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم، ص: 569.

السعيد في أدائها، وقد تُؤَدَّى بصورة العادة لا العبادة كما هو الحال مع فريضة الصيام اليوم.

إنّ ضعف الحصانة الدينية الذي سمح للغرائز أن تجد لنفسها طريقاً خالياً من الضوابط والقوانين، جاء بعد تغييب دور أماكن العبادة وأماكن الوعي الديني السليم، وأقصد بذلك المسجد.

وجاء أيضا بعد التضييق على علماء الدين من ممارسة نشاطهم على نطاقٍ واسع كما كان الحال في الأزمنة الزاهرة للدولة الإسلامية، وأيضا بعد تخويف الناس من الالتزام بالدين ونعتهم بالإرهاب بسببه!!.

إنّ غياب الإحساس بدور الإمام وبوظيفة المسجد من أهم الأسباب التي تزرع الوهن في النفوس، فالمسجد هو مكان العالمين، يجتمع فيه الناس خمس مرات في اليوم، وأكثر من تلك المرات، ببقائه مفتوحا ليلاً نهارًا يأتيه كل ضال وعابر سبيل ومذنب يبكي ذنبه ومتعب يبتغي الراحة فيه، ومسكين لا يملك ملجأ، وسائل حاجة، ومستفتٍ، وغيرهم. كما كان الحال في زمن النبيﷺ ومن بعده من العصور الأولى، وفي المسجد كانت تقام الدروس الشرعية ويحضرها القاصي والداني، فيرتفع إيمان الناس، ويخرج منهم ضعيف الإيمان قويًا، والذي كانت له في نفسه رغبة لشهوة بطريقة منكرة، يخرج مُقلعًا عنها.

إنَّ(دُورَ العبادة في المجتمعات الإسلامية، وبخاصة المساجد، هي الأمكنة الوحيدة المتوفرة بشكل واضح منتظم، على نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة: وهي من الوسائل الفعالة في هذا المجال، لأنها ترغب وترهب عن طريق العقيدة والعاطفة الدينية..ومكانٌ للتربية العملية على الخير بما يُقام فيها من صلاة شُرِّعت لتنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي المساجد يغرس كثير من الفضائل الخلقية الشخصية والاجتماعية..إنّ القاعدة الدينية هي أقوى القواعد في تربية النشء وأرسخها، والمساجد مثابة لتقوية هذه القاعدة والحفاظ عليها..)[1].

قالﷺ:« **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان** »[2].

إنّ المسجد سابقًا كان يؤدي أدوارًا عدة وبأسلوب فعال مؤثر. ولكنَّ دوره اليوم يقتصر على أداء الصلاة في أوقاتها الرسمية بصورة غالبة.

---

[1]: عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ط1، 373/4.

[2]: الترمذي: السنن، تفسير القرآن، سورة التوبة، ح(3093)، 277/5.

ابن ماجه: السنن، المساجد والجماعات، لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ح(802)، 263/1.

أحمد: المسند، مسند أبي سعيد الخدري، ح(11651)، 194/18.

الحاكم: المستدرك، الصلاة، إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، ح(770)، 212/1. قال الترمذي:(غريب حسن). (قال السخاوي: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي..عن أبي سعيد مرفوعا..وصححه ابنا خزيمة وحبان والحاكم، وفي لفظ له:إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فلا تحرجوا أن تشهدوا له أنه مؤمن)، ينظر: كشف الخفاء، ح(235)، 90/1.

إنّ هذا الضعف الديني في النفوس يحتاج إلى تغيير داخلي، لتسترد قواها في مواجهة المغريات والتحديات. إنّ صاحب الوازع الديني الضعيف يسهل عليه التخلي عن أحكام الدين، و تأخير الفرائض عن موعدها، أو أدائها مرة وتركها مرات. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾[الماعون/4-5]. ولكن لن يكون بإمكانه تأجيل رغبة غريزة جامحة، أو رفض طلبها الملح. فيصبح هينًا على نفسه بُعْدَه عن ربه وعِصْيَانه لأوامره، وضعف علاقته به. ولا يهون عليه أن يغيب لغرائزه وما تجلب له من لذائذ عاجلة.

إنّ الذين هاجموا الدين من مفكري الغرب كأمثال"سيجموند فرويد" وحاصروه بتُهمهم، ورفضوا وجوده في حياة الناس هم أكثر الناس انغماسًا في الشهوات، وأكبر من صرخ بإفساح المجال للغرائز.

إنهم في الحقيقة هم المرضى الحقيقيون الذين أمرضتهم غرائزهم المتلاطمة غير المنظمة، واتخاذهم لأنفسهم أطباء أو علماء نفسانيين، وهذا زيف واضح لا ريب فيه، ولا علاج لمرضهم ولا طبيب له، سوى التشريع الإلهي الذي نظم أحكامه وفق الطبيعة الإنسانية، الذي عمدوا إلى دحضه وادعوا بطلانه.

فليس كالدِّين الإسلامي مُنظمًا لحياة الناس: سلوكًا وغريزةً، وليس غيره راعى هذه الدوافع فيهم، وليس غيره من أعطاها حقها بما يلزمها دون زيادةٍ أو نقصان، فسلامة سيرها وعملها بإتباعها توجيهات الدين الصحيح وضياعها بانفصالها عنه، واستمداد أحكامها من تشريعات أخرى دونه.

الفرع الثاني: الصحبة السيئة.

يطلق لفظ الصحبة، ويراد به: الزمالة والصداقة والرفقة في الاصطلاح العام.

ومعناه لغة:(صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة بالضم وصَحابة بالفتح وصاحبه عاشره والصَّحْب جمع الصاحب... والجمع أَصحاب وأَصاحيبُ وصُحْبان...واسْتَصْحَبَ الرجُلَ دَعاه إلى الصُّحْبة. وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه...قال أَبو عبيد: صحِبْتُ الرجُلَ من الصُّحْبة وأَصْحَبْتُ أَي انْقَدتُ له...)[1]. فيكون بذلك معناها من المعاشرة والملازمة والانقياد.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه لا يستغني عن مخالطة الناس، ولذلك فهو محتاج إلى من يأنس به، ويتقرب إليه، ويستشيره، ويُسر إليه أخباره، ويستعين به في أموره، ونحو ذلك، والناس ليسوا جميعًا على تركيب واحد من الأخلاق والدين، فهمٌ متباينون فيهما، فمنهم المتمسك بدينه المتخلق، ومنهم دون ذلك،

[1]: ابن منظور: لسان العرب، مادة "صحب"، 519/1.

ومنهم من جهر بالمعصية وتجرأ على الله، وما بين الحالتين درجات متمايزة كثيرة، ولذلك فاختيار الصديق يحتاج إلى تثبت وطول نظر في أحواله جميعًا. وإنَّ ما يلاحظ في الواقع يُثْبِتُ أنّ الاختيار السيئ للصاحب يجرّ أضرارًا كبيرة على الفرد في مبادئه، ودينه، وأخلاقه وسلوكه.

إنّ البحث عن اللذات وتحقيق الرغبات من الغرائز والشهوات بطريقة آنية وسريعة هو أكبر ما يجر الفرد إلى اختيار صديق السوء. وإن كان في بعض الحالات – أو كثير منها خاصة في زماننا – يأتي اختيار الصديق أمرًا لا إراديًا، فيتدرج صاحب السوء في حياته شيئًا فشيئًا حتى يتمكن منه.

ويكون ما يبحث عنه الفرد مع صحبته السيئة في الحالات العامة، هو المال والمتاع، أو البعد عن المشكلات وطلب الحرية الشخصية. ليجد نفسه قد لجأ إلى التدخين وتعاطي المخدرات وشرب الكحول، أو إلى السرقة والزنا، أو التجبر والثورة على سلطة الأسرة والمجتمع، أو إلى غير ذلك، وما الظنّ بإنسان انقلب بفعله المنكر وتفكيره فيه ودعوته إليه، إلى مجرم منحرف يستبيح كل عمل في سبيل تلبية وشهواته، ولذلك فملازمة صحبة السوء أيًّا كان مستوى انحرافها، تبقى خطرًا على سلوك الفرد، وإلى جانب ذلك فإنها تعطي انطباعًا عليه، فاختيار الصاحب يُعدّ أحد المرَايَا التي تعكس شخصية الفرد، قال بعض الحكماء: "نبئني من تصاحب أنبئك من أنت"، وعليه فيجدر بالإنسان اختيار المرْآةُ الصحيحة التي تعكس شخصيته الحقيقية.

وقد نهى الله ﷻ عن مخالطة أصحاب السوء والجلوس في مجالسهم. قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام/68]. ودعاه ﷻ في مقابل ذلك إلى لزوم الصحبة الحسنة وإتباع سبيلها وعدم مفارقتها، قال الله تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف/28].

فإنه يكون من المنطق العقلي البُعد عنهم واجتناب سبيلهم وسبيل أفعالهم. وقد قال ﷺ:« **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »[1]. وهو حديث عظيم في الصحبة وجامع لها.

---

[1]: سبق تخريجه، ينظر:ص: 43.

فالأصل في الإنسان أن يكون نبيهًا في اختيار الأصحاب، فإن رآه ممن يرتادون المساجد، ويعملون الصالحات، ويُذْكَرُونَ بالخير عند الناس في دينه وأخلاقه، فله لزومه وصحابته؟!. وإن رآه من أصحاب السوء، وممن عُلِمَ خبرهم بين الناس في دينهم ودنياهم بفعلهم المنكر ورغبتهم فيه، فَعَلاَمَا تكون صحبته؟!.

ولننظر إلى رسولﷺ قدوة العالمين، ولندقق في أصحابهﷺ، هل نجد بينهم بعد إسلامهم مجاهرًا بالمعصية أو طالبًا للفواحش مصرًا عليها، هل نجد من بينهم شارب خمر بعد إسلامه مُدمنًا عليها، أو زانيًا أو سارقًا أو غير ذلك، لم يُحِط بالنبيﷺ من أصحابه وخاصةً المقربين منهم إلا من خِيَار المؤمنين .

فهذا رسول اللهﷺ الذي بتربية الله له، ما كان له أن يتأثر بأصحاب السوء. ورغم ذلك أحاطه الله بثلة مؤمنة مختارة، عنايةً بهﷺ وليقتدي الناس به في ذلك .

والصاحب يتأثر بصاحبه حتى وإن كان لا يرغب في ذلك، فعلامات التأثر تظهر فيه تدريجيًا، حتى يصبح يحاكيه في كثير من طبائعه وأفعاله وأقواله. فالصحبة(أشبه بعملية التلقيح بين الصديقين...)[1]. ويكون هذا التأثر كبيرًا إذا كان بين الأقران. فإنهم أسرع إلى التأثر ببعضهم بفعل التقارب في الفكر والسن والرغبات والحاجات والفهم، وذلك أنَّ(أهم الاختلافات بين تأثير الأقران وتأثير الكبار هو أنّ الأقران يتفاعلون معًا على قدم المساواة. فعندما يختلف طفلان مثلاً على ما هو الصحيح وما هو الخطأ في اللعب أو على ما يجب ومالا يجب في التعامل، فإنّ منظور كلٍّ من الطفلين في أحكامهم هذه يكون من نفس المستوى الاجتماعي والمعرفي تقريبا...)[2].

والطفل(يكسب من محاكاة الصغار أكثر مما يكسبه من محاكاة الكبار، وهذا ما يقصده ابن سينا من قوله: إنّ الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس...)[3]. ومثال ذلك ما قد تتعلمه(طفلة في سن السابعة من أبويها مثلاً أن تكون حريصة في لعبها حتى لا تقع أو تصاب بأذى. ولكن عندما تلقبها زميلاتها "بالخوَّافة" لأنها لا تريد أن تقفز من مكان عالٍ مثلاً...فإنها قد تعيد النظر، في هذه الحالة...)[4].

ومثاله أيضا اتهام البعض بعدم الرجولة لعدم تدخينهم أو حملهم للمال دائمًا معهم، أو عدم اتخاذهم الخليلة من الزميلات أو غيرهنَّ، أو تعاطيهم المخدرات وغيرها. وإغوائهم بوجود لذّة ومتعة عظيمة سَيُفَوِتُ

---

[1]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامّي والدراسات المعاصرة، 249.

[2]: محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد: الصبي والمراهق، ط1، دار القلم، الكويت،1409هـ-1989م،68/2.

[3]: محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتاب الحديث، الكويت، ص: 109.

[4]: محمد عماد الدين إسماعيل: المرجع السابق.

على نفسه فُرصَهَا، إن أبى الطاعة لهم، وطبعًا مقالهم هذا لا يأتي مرة ومرتين بل مرات عديدات.

وقد نبّه النبيﷺ إلى ضرورة اختيار الصاحب الحسن. ومن ذلك ما رُويَ عن أبي سعيد الخدريﷺ عن رسول اللهﷺ قال:« **لا تصاحب إلاّ مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلاّ تقي.**»[1].

ونهىﷺ من مجرد التقليد والإتباع للآخرين دون تحكيم للعقل في إصابتهم أو إساءتهم، عن حذيفةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ :« **لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطِّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا.**»[2].

وإنَّ من أدقِّ الأحاديث مثالاً في موضوع الصحبة وأوسعها بيانًا لصفاتها ومدى تأثيرها. ما رُويَ عن أبي موسى عن النبيﷺ قال:«**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحدَّاد لا يعدمك من صاحب المسك إمَّا تشتريه أو تجد ريحه وكير الحدَّاد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة** »[3]. وما دام اختيار الصاحب أمرًا مهمًا قد يجرُ إلى انعكاسات سلبية على سلوك الفرد، فقد نصح كثير من المشتغلين في حقل التربية بضرورة تدخل الوالدين لاختيار الصديق المناسب لابنهم، خاصة في الزمن الذي يقلُّ فيه الصالحون وتكثر فيه الفتن.

ونَصحَ الكثير منهم بضرورة اتخاذ الوالدين أنفسهم أصحابًا لأولادهم، والتقرُبِ منهم تَقرُبَ الأصحاب، فيكونون بذلك آباء أصدقاء لأبنائهم. فليس غير الوالدين من بين الناس أكثر حبًّا لهم ورغبةً في تحقيق مصالحهم، ورؤية صلاحهم ونجاحهم في الدنيا والآخرة.

جاء رجل إلى رسول اللهﷺ يسأله فقال:« **يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟. قال: أمك. قال:ثمَّ من؟ قال:ثمَّ أمك. قال:ثمَّ من؟ قال: ثمَّ أمك. قال: ثمَّ من؟ قال: ثمَّ أبوك** »[4]. فالنبيﷺ في

---

[1]: أبو داود: السنن، الأدب، من يؤمر أن يجالس، ح(4834)، 407/4.

الترمذي: السنن، الزهد، ما جاء في صحبة المؤمن، ح(2395)، 600/4.

ابن حبان: الصحيح، البر والإحسان، الصحبة والمجالسة، ح(554)، 314/2. قال الترمذي:(هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه). وقال الألباني:(حسن)،ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(13297)،1330/1.

[2]: الترمذي: السنن، البر والصلة، الإحسان والعفو،ح(2007)،364/4.وقال:(هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه). قال الألباني: (ضعيف)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته،ح(14418)،1442/1.

[3]: البخاري: الصحيح، البيوع، في العطار وبيع المسك، ح(2101)، 63/3.

مسلم: الصحيح، البر والصلة، استحباب مجالسة الصالحين...،ح(2628)، 2026/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الأدب، من أحق الناس بحسن الصحبة، ح(5971)، 2/8.

مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، بر الوالدين وأنهما أحق به، ح(2548)، 1974/4.

كل الأحاديث السابقة التي حضَّ فيها على اختيار الصاحب الحسن لخصها في هذا الحديث، فالنبيﷺ أخبر أنّ الذي يستحق الصحبة من الناس هما الوالدان أساسًا، وفي المقابل يتعين على الوالدين تجسيد النموذج الذي يجعل من الولد صاحبًا لهما، فيحاورانه ويناقشانه في الموضوعات التي يتوجب فيها النقاش.

وينبغي أن تطابق أقوالهما أفعالهما في كل أمر قدر الإمكان، فإنه إن لاحظ عليهما تناقض في ذلك خاصة مع كثرته وتكراره، فإنه يكون له سبيلاً للنفور منهما، وهذا الأمر يعيدنا إلى دور التربية الأسرية في المراحل العمرية للفرد، فهي تعد اللُّب والأساس للعملية التربوية.

وخلاصة الأمر أنّ اختيار الصاحب مادام أمرًا مهمًا وفطريًا. فإنه لا بدَّ من التحرز عند اختياره لما يشهده الواقع من إفلات كثير من الناشئة بسبب اختلاطهم بجلساء السوء من أصحاب الشهوات.

المطلب الرابع: العولمة ووسائل الإعلام المختلفة.

إذا نظرنا إلى العولمة ووسائل الإعلام المختلفة وجدنا أنها جميعها عوامل حديثة لم يمض على ظهورها الكثير، إلا أنّ تأثيرها فاق كل العوامل الأخرى، ولربما يمكن عدُّها لوحدها وسيلة قوية لتحريك الغرائز وجرها نحو الانحراف، ومنها:

الفرع الأول: العولمة.

تعدّ العولمة من أكبر القضايا التي شغلت الباحثين، والمثقفين والاقتصاديين، والسياسيين والاجتماعيين في العصر الحديث، ونالت حظًا كبيرًا من البحث والدراسة من جميع جوانبها، وايجابياتها وسلبياتها.

والعولمة في مدلولها تعني:(جعل الشيء المحلي عالميًا، وبمعنى آخر تعميم المحلي أو الوطني ليصبح حالة عالمية.)[1].

أما من الناحية الاصطلاحية فإنّ:(صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرًا إلى تعدد تعريفاتها، والتي تتأثر أساسًا بانحيازات الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضًا أو قبولاً.)[2]. إضافةً إلى أنّ تعدد تعريفاتها عائد إلى:(... اتساع نطاق الظاهرة وشمولها كافة الأنشطة الإنسانية تقريبًا، وتركيز بعض الباحثين على جانب معين أو جوانب معينة من تجلياتها المتعددة عند دراستها...)[3].

---

[1]: فتحي يكن- رامز طنبور:العولمة ومستقبل العالم العربي الإسلامي،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،1421هـ-2000م،ص:22. ينظر : Ar.Wikipedia.org يوم 24ماي 2014 الساعة 11:48، www.saaid.net يوم 24 ماي 2014 الساعة 11:58.

[2]:رحيمة الطيب عيساني:العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية،عالم الكتب الحديث،اربد-الأردن،2010م،ص20

[3]: المرجع نفسه .

ولأنّ المعنى الاصطلاحي بهذا التشعب والتعدد، فلا مجال هنا لذكرها وتتبعها، فقد كفت الكتب المختصة في مجالها وموضوعها بالخوض فيها وبيانها.

وللعولمة تأثيرات كبيرة على غرائز الإنسان، بإثارتها وتهييجها، واستغلالها للوصول إلى أهدافها. والقائمون على العولمة الذين يسعون لبسط نفوذهم على العالم لما أدركوا ما للغرائز من أثر وقوة في توجيه سلوك الإنسان، استغلوها لصالح أغراضهم. وأخذوا يعمدون إلى كل وسيلة تثير غريزة ما في الإنسان، وركزوا على أهم الغرائز وأكبرها تأثيرًا وفاعلية في نفس الإنسان. كغريزة الأكل والشرب والنوم والجنس والعدوان.

(والمنحرف عن الحق في التطبيقات السلوكية بغلبة الأهواء والشهوات ودوافع النفس، كثيرًا ما يكون صيدًا قريب المنال من أيدي المجرمين الشياطين، الذين يُزينون الباطل الخادم لأغراضهم فيوقعونه في شباكهم...)[1]

ومن وسائلها:(الحاسوب، الانترنت، الأقمار الصناعية والبث الفضائي، الصحافة الدولية، ومؤسسات النشر (المسموعة والمقروءة والمرئية)، السياحة والرياضة...السينما، المؤتمرات والندوات.)[2].

ومؤسسات العولمة اليوم هي:(...مؤسسات على مستوى العالم وتغطى كافة أرجائه: مؤسسات إعلامية، مؤسسات لغوية، مؤسسات سياحية، مؤسسات تعليمية...)[3].

فأصحابها والقائمون عليها يعمدون إلى بسط أيديهم على كل مجال وفكر ومكان وشعب. يعمدون إلى توجيه العالم إلى الوجهة التي يريدون، (إنَّ الأخبار والأحداث والموضة والرياضة والفن والعلوم، تصلنا جميعها بواسطة وكالات الأنباء العالمية التي يُهيمن الغرب – وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية – على ما يقرب 90% منها إضافة إلى صناعة السينما والمسلسلات والبرامج التلفزيونية التي بمجملها غربية المصدر...لقد استطاعت هذه السيطرة الإعلامية أن تساهم بشكل كبير في انقلابات اجتماعية وثقافية في معظم مناطق العالم، أصبح معها المظهر الغربي هو المحبب والمنشود...)[4].

إنّ العولمة بأساليبها ووسائلها، اكتسحت الجماعات والأفراد، المجتمعات والأسر، ودخلت البيوت عبر التلفاز والراديو، والانترنت والصحف والمجلات، فبات التأثر بها واضحًا في الأكل والشرب واللباس واللعب

---

[1]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسّلامية وأسسها، 710/1.

[2]: سامي محمد الدلال: الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني، ط1، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1425هـ- 2006م، ص:52.

[3]: فتحي يكن – رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم العربي الإسلامي ، ص: 49.

[4]: المرجع نفسه، ص:38.

والمشي، والجلوس وسنن المعيشة جميعها.

إنَّ العولمة الأمريكية اليوم (تهيمن على حركة المرور الكونية في مجال المعلومات والأفكار، فالموسيقى الأمريكية والأفلام الأمريكية، والبرامج التلفزيونية الأمريكية، وبرامج الحاسوب الأمريكية أصبحت شديدة الهيمنة ورائجة جدًا ومشاهدة جدًا، حتى إنها توجد اليوم في كل مكان على الأرض بالمعنى الحرفي للكلمة، وهي تؤثر فعليًا في أذواق كل الأمم وحياتها وتطلعاتها...)[1].

وإنَّ من أهم التقنيات التي يستخدمونها ضمن هذه الوسائل والمجالات للعولمة هو:(إقحام المرأة في كل المجالات دون استثناء، بقصد استغلالها باسم الثقافة والفن، لتكون أداة ميدانية لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية. ويتجسد ذلك أكثر ما يتجسد ببث ما يُسمى "بثقافة الجنس"!، والتي تتضمن استغلال صور امرأة، والحديث عن جسدها، وإبراز مفاتنها، سواء في الكتب أو الصحافة أو المجلات أو التلفزيون أو الإعلانات أو الندوات أو غيرها...)[2].

وثقافة الجنس هذه بات يُنادى لها اليوم من طرف الطبقة المثقفة خاصة،بدعوى ضرورة بيان مفاهيمها لدى الناشئة وطبقة الشباب، وتصحيح سلوكهم الجنسي الخاطئ، وكشف الستار عمّا هو غيبي في نظرهم بصورة صحيحة. ولكنَّ مَوجةَ الوقاية والتفقيه هذه أخذت منحًى آخر. فبات طبيعيًا في المجتمعات الإسلامية تكوين العلاقات الجنسية والخروج مع الخليل، والتعامل بالعيد الغربي المقيت – عيد الحب – .والاعتراف بهذه العلاقات من الشبان والشابات على السواء لدى العائلة والمجتمع.فضلاً على اللباس المكشوف والضيق، الذي هو في مجمله يحاكي النمط الغربي.على الرغم من أنّ العالم الإسلامي العربي في أحكامه الشرعية وأصل عاداته وتقاليده يمنع مثل هذه السلوكات ويمقتها، ويُعاقب عليها.

وإلى جانب عولمة اللباس، نجد عولمة بعض الأطعمة كالبيتزا والهمبرغر، وبعض الأشربة كالكولا والبيبسي التي هي(...فضلاً على أنها تقليد للغرب وتباهٍ به، إلاّ أنها تؤثر على التركيبة الأسرية في بلادنا، لأنها مأكولات سريعة يندفع إليها الشباب المقلد لتصبح أطعمته المفضلة، فيعتاد عليها يوميًا في المطاعم وعلى الطرقات بعيدًا عن تناول الطعام في جَوٍ أُسريٍ حميم..)[3]. وطبعًا في هذه السلوكات جميعًا انحراف للأداب

---

[1]: عمار جيدل – عبد المجيد الصلاحين – عبد الكريم وريكات: العولمة من منظور شرعي، ط1، دار ومكتبة الحامد ، عمان– الأردن، 2002م، ص:83.

[2]: سامي محمد صالح الدلال: الإسلام والعولمة...، ص: 63.

[3]: فتحي يكن – رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي...، ص:44.

والمبادئ التي تلبى بها هذه الغرائز. ففي الثقافة الغربية تعطى الحرية المطلقة للدوافع الفطرية، كما يُصرح ويدعو إليه مفكروهم وفلاسفتهم وعلماؤهم النفسانيون.

إنّ هذه السلوكات والأفكار الوافدة عن طريق وسائل العولمة المختلفة، تتجه بتأثيرها على فئة الشباب والمراهقين فهي أكثر الفئات العمرية قابلية للتأثر بالغزو الثقافي(...نتيجة للانفجار المعرفي الهائل، وتطور البث الفضائي المباشر. إذ تُركّز القنوات الأجنبية الوافدة خاصة الغربية منها على أفلام العنف والبرامج المثيرة للجنس، وضخ كمٍ هائلٍ من مخلفات الثقافة الغربية...فهي تساهم في الترويج لقيمٍ غير مرغوبٍ فيها، أو تنمية اتجاهات سلبية أو عادات سلوكية ضارة بالتنشئة الاجتماعية الصحيحة)[1].

ومتابعة(هذه القنوات التي تبث برامجها بأساليب الإثارة والتشويق بشكل مفرط، غالبًا ما تؤدي إلى إضعاف إرادة الأفراد، فهذه البرامج قد تمثل المتنفس للهروب والابتعاد من مشاكل الحياة وهمومها، ولكنها تخاطب مشاعر الحرمان عند كثيرٍ من الأفراد، مثل: أفلام الجنس والعنف، التي تتنافي مع القيم والمبادئ الأخلاقية لمجتمعاتنا)[2]. وهذا الذي يتوافق مع قول مالك بن نبي أنّ:(... العوامل الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية التي تتصل بالنزعة الاستعمارية اتصالاً تكوينيًا...أنّ هذه العوامل كلها تؤدى مفعولها، كأسباب في عقول مهيأة نفسيًا)[3].

فهذا التأثر بالغرب والتوجه الفكري نحوهم والتسليم بجودة ما يأتي منهم، بدأ بشكل كبير وواضح بعد الاستعمار الذي اكتسح أغلب الدول الإسلامية. وعاد ليظهر بصورة أخرى غير مباشرة تحت مسمى العولمة، ليجد كما قال مالك بن نبي العقول مهيأة نفسيًا.

وقد علّل ابن خلدون هذه التبعية والاقتداء بالغرب في قوله:(والسبب في ذلك أنّ النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وَقَر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أنّ انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب...فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء...ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحوالها...وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم...)[4].

---

[1]: رحيمة الطيب عيساني: العولمة الإعلامية وآثارها...، ص:113.

[2]: المرجع نفسه، ص: 114.

[3]: مالك بن نبي: مشكلات الحضارة: في مهب المعركة، ط7، دار الفكر، دمشق، 1427هـ-2006م، ص:19.

[4]: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1431هـ- 2010م، ص:121.

وتستهدف العولمة بجميع وسائلها بعد جعل العالم يحيا على نمط واحد، وهو أساسًا النمط الغربي، والأمريكي خاصة، هو نزع(الانتماء والهوية من سائر الأمم لتفرض عليهم نمط واحدًا يعبر عن هيمنة ثقافية متعددة الأطراف والجوانب، يفرضها الغرب من خلال قوته العسكرية والاقتصادية والتقنية والتكنولوجية، وتغيب عنها الندِّية والتبادل الثقافي، ليستعاض عنهما بغزو ثقافي يطلق عليه اسم العولمة الثقافية)[1]، فهم يعمدون إلى غسل عقول الناس من مبادئهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم وارتباطهم بدينهم، وانسلاخهم عن كل موروث ثقافي، لتصبح التبعية المطلقة للقطب الغربي، ويمسي الناس وكأنهم قطيعٌ يَتَّبعون طريق رُعَاتهُم. فكان من نتائج ذلك وآثاره على الأمة الإسلامية:

- (هدم الهوية الثقافية للأمة...ومحور خصوصيتها الثقافية وصولاً إلى طمس معالم الدين الإسلامي، من خلال تسخير التقنيات الحديثة في الإعلام لبث الشبهات والشهوات، وإشاعة أنماط سلوكية ومفاهيم دخيلة وغربية عن ثقافة الأمة وحضارتها)[2]. وقد عَلِمنا خطر تضييع الدين، وبُعدَ الناس عن تعاليمه وأحكامه على حياتهم جميعًا، في الدنيا والآخرة، ومن ذلك خطر ضياعه على سلوكهم وضبط غرائزهم.

كما أنّ تأثير العولمة على(الجوانب الأخلاقية يأتي في الدرجة الأولى، والتي تمثل أبرز مشكلاتها في الترويج للإباحية والاختلاط والقيم والمبادئ المخالفة للإسلام)[3].

وهذه الأعمال والأفكار اللاأخلاقية المنهالة على المجتمعات الإسلامية من طرق شتى ووسائل متنوعة، تغري كل طالب شهوة، وكل راغب في الانعتاق مما يراه قيودًا وضعها عليه الدِّين في أحكامه، أو المجتمع في عاداته. وهذا الذي يُحدث في المجتمع الإسلامي(صراع اجتماعي...نظرًا للهُوة السحيقة بين الواقع الاجتماعي المعاش، وبين ما يُصَوَّر عن الغرب كحُلم ونهاية تصل إليها السعادة الإنسانية)[4].

وهو ما جعلَ الناشئة يتطلعون إلى ظروف معيشية لا تتناسب وظروف أسرهم، وطبيعة مجتمعهم وتعاليم دينهم، وهذا الذي يسبب فيهم نفورًا منهم جميعًا، إلى ما يحقق غايتهم دون خضوع للضوابط والأحكام.

وإنّ هذا الواقع للأمة الإسلامية في تَبَعِيتها للأمة الغربية الكافرة وتقليدها إيَّاها، وسلوك مسلكها والسير حَذْوَ خُطاها. هو ما حذَّر منه النبيﷺ وأخبر عن وقوعه في عدد من الأحاديث، منها:

---

[1]: فتحي يكن - رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص:49.

[2]: عمار جيدل - عبد المجيد الصلاحين - عبد الكريم وريكات: العولمة من منظور شرعي، ص:53.

[3]: رحيمة الطيب عيساني: العولمة الإعلامية وآثارها...، ص:125.

[4]: فتحي يكن - رامز طنبور: المرجع السابق، ص:49.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:« **لتتبعنَّ سَنَنَ من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟** »[1].

وقال ﷺ:« **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل:ومن قلّة نحن يومئذ؟ قال:بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل:يا رسول الله وما الوهن؟ قال:حب الدنيا وكراهية الموت** »[2]. ومن هذا التداعي، التداعي عليها في عقيدتها وأخلاقها وتعاليمها وعاداتها. في محو ثقافتها واستبدالها ببضاعتهم الشهوانية الماجنة.

وفي حديثٍ عن عبد الله رضي الله عنه قال:« **خطَّ النبي ﷺ خطًا مربعًا وخطَّ خطًا في الوسط خارجا منه وخطَّ خُططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمَلُه وهذه الخُطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا** »[3].

ونهى النبي ﷺ في عدد من الأحاديث من التقليد للأمم الضالة. فعن عبد الله ابن عمرو(رضي الله عنهما)، أنّ رسول الله ﷺ قال:« **ليس منَّا من تشبَّه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى...**»[4].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:« **من تشبَّه بقوم فهو منهم** »[5].

وقال ﷺ:« **لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا** »[6].

فواجب على المسلم أن يحترس من العولمة، وأن يتعامل معها بكل حذرٍ، وأن يعرِضَ كل موضوعاتها على ميزان الدين والعقل والأخلاق، ولا يُسْلم لها فِكره وجَوارحه فتسلبه إرادته وتغمسه في غرائزه وشهواته.

---

[1]: البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(3456)، 169/4.

مسلم: الصحيح، العلم، إتباع سنن اليهود والنصارى، ح(2669)، 2054/4.

[2]: أبو داود: السنن، الملاحم، في تداعي الم على الإسلام، ح(4299)، 184/4.

أحمد: المسند،ومن حديث ثوبان رضي الله عنه،ح(22397)،82/37. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة،ح(958)،647/2

[3]: البخاري: الصحيح، الرقاق، في الأمل وطوله، ح(6417)، 89/8.

[4]: الترمذي: السنن، الاستئذان،ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام،ح(2695)،56/5. قال الترمذي:(هذا حديث إسناده ضعيف وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه). وقال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته،ح(9565)، 957/1.

[5]: أبو داود: السنن، اللباس، في لبس الشهرة، ح(4033)، 78/4.

أحمد:المسند،مسند عبد الله بن عمر،ح(5114)،126/9. قال السخاوي:(في سنده ضعف)،ينظر:المقاصد الحسنة،ح(1101)،639/1

[6]: سبق تخريجه، ينظر:ص:59.

الفرع الثاني: وسائل الإعلام المختلفة .

إنّ وسائل الإعلام المختلفة من مقروءة ومسموعة أضحت اليوم تحيط بالإنسان من كل جهة وجانب، وتشغله بنفسها وتفرض وجودها عليه بكل طريقة وأسلوب. يجدها في التلفاز من خلال الفضائيات المختلفة، والراديو، والانترنت، والمسرح، والمهرجانات الثقافية، والصحف، والجرائد اليومية، والكتب وغيرها، كلها تلعب اليوم دور المحرك لسلوكه وأفكاره ومعتقداته بالتأثير الذي تريده هي إمّا إلى الخير أو الشر، وإمّا إلى الايجابية أو السلبية في أمرٍ ما أو إلى زرع الثورة في النفس اتجاهه أو البَلاَدَةِ فيه.

فقد(وُجدت بُنَا أساسية عالمية تنتشر وكأنها نسيج عنكبوتي يمتد عبر العالم أجمع، مستفيدًا من التقدم الحاصل في تكنولوجيا الرقميات ومن التداخل بين جميع أنشطة الاتصال المترابطة، وتدعم هذه البُنا الأساسية ثلاثة قطاعات تكنولوجية هي الإعلامية والهاتفية، والتلفزية التي تتداخل الواحدة منها وتتأسس فوق قاعدة من وسائل الإعلام المتعددة.)[1].

إنّ كل هذه الوسائل الإعلامية تؤثر على سلوك الإنسان إلى الحدّ الذي قد لا تصل إلى إحداثه العديد من الخُطب والمواعظ، أو وسائل الإغراء الكلامية من رفاق السوء وغيرهم، فطبيعة التأثر ومستواه بها عائد أو متوقف على نوعية الاستعمال والاستفادة منها. وإن كان تأثيرها السلبي في الحقيقة عَايَنَه الصالح والطالح، والصغير والكبير، ولم تسلم منه جميع فئات المجتمع،خاصة الشباب والأطفال والمراهقين.

(إنّ فيض المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام يعطل تطور القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال، وأوضح التقرير أنّ الأطفال كانوا ضحية لبرامج التلفزيون والمجلات الهزلية، وذكر الآباء والمدرسون الذين شملهم الاستطلاع أنّ وسائل الإعلام أشدّ ضررًا بالنسبة للأطفال وخاصة البرامج الترفيهية الساقطة والمجلات الهزلية التي ترد إليهم.)[2].

إنّ وسائل الإعلام قد أحدثت من السلبيات ما لا يمكن إحصاؤه على عدد ما تنشره كل يوم، وتبثه من أفكار هدَّامة للمبادئ والأخلاق الحميدة، وتهييجاً للغرائز ونشرًا للانحرافات بطرق مباشرة أو إشارات وخلفيات مدروسة.

وإنّ الناشئة اليوم تجد في حافظتهم الكثير من أسماء المغنين والممثلين، العرب والغربيين، بل وحتى يعلم من

---

[1]: فتحي يكن – رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص:49.

[2]: منى حداد يكن: أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ- 1983م، ص:55.

خصوصيات حياتهم الكثير. وإذا طلبت منهم عدَّ ما يحفظونه من أسماء الأنبياء، أو الصحابة، أو علماء الإسلام أو أهل البطولات والفتوحات وغيرها، فإنّ العدَّ لن يتجاوز أصابع اليد عند الكثير منهم!!.

وهذا الذي أخبر به ابن القيّم ونَصَحَ باجتنابه وإبعاد النشء عنه، في قوله:(ويجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل، والغناء وسماع الفحش والبدع، ومنطق السوء، فإنه إذا عَلِقَ بسمعه عَسُرَ عليه مفارقته في الكبر، وعزَّ على وليه استنفاذه منه.)[1]. وهذا في الواقع(حقٌ. فإنّ الوقاية من شرور هذه المنكرات أفضل بكثير من معالجة الصبي بعد تعلقه وشغفه بها)[2]. حتى وإن كانت وقايته منها لا تكون كلية، فإدراك بعضه خير من ترك جلِّه.

ووسائل الإعلام تختلف في مستوى التأثير على الأفراد من حيث درجة التعامل معها فلا يشتري جميع الناس الصحف كل صباح، كما نجد من لا يتعامل مع الانترنت إلا قليلاً، بل حتى من لا يُجيد استعمالها رغم مرور سنوات على ظهورها، وكذا المجلات والكتب وغيرها.

ولكن بَقِيَ التلفاز الذي يستعمل من طرف أغلب الناس إن لم نقل جميعهم لاجتماع ما هو مسموع ومشاهد في حين واحد فيه، كما يُجيد كافة الناس اِستعماله والجلوس أمامه، وقد وُجد في إحدى الإحصائيات أنَّ(جميع الوسائل الإعلامية لا يتجاوز تأثيرها 30% من قوة تأثير التلفزيون والفيديو)[3].

ا- التلفاز والانترنت والسينما والمسرح.

1-التلفاز: يعتبر التلفاز من أوسع وسائل الإعلام نطاقًا وأكثرها استعمالاً، وهو أيضًا من أكثر الوسائل تأثيرًا على سلوكهم ودفعًا إلى الانحراف، وأكثرها إثارة للغرائز، وتوجيهًا لها، إنَّ مجرد الانتقال من قناة إلى أخرى يسمح للمشاهد أن يرى في خلال ذلك العديد من اللقطات المتنوعة، وقد تستوقفه إحداها أمام مشهد قتل، أو سرقة، أو ثورة غضب، أو مشهدٌ جنسي، يدفعه شيئًا فشيئًا إلى استكماله.

إنَّ سماع الأغاني والأفلام الفاحشة التي تنقل نبرة الحزن والأسى، أو الوِحْدَة، أو الظلم أو الشوق للحبيب، والرغبة في حُنوه عليه، كل ذلك الذي تنقله الأغاني في كليباتها، والأفلام والمسلسلات والإعلانات كلها تجعل المشاهد وخاصة الناشئة والشباب العاجز عن تحصين نفسه، المتعطش إلى ممارستها،

---

[1]: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،ت: عصام الدين الصَّبَابطي، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ- 2004م، ص:95.

[2]: بندر العبدلي: حماية الناشئة من الانحراف، دار الوطن، 1425هـ، ص:22.

[3]: سامي محمد صالح الدلال: الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية...، ص:65.

تجعله يعيش أحداثها في مخيلته، فيجعل نفسه طرفًا فيها ويختار لنفسه الدور الذي يعجبه ويتوافق معه، فتثار غريزته حسب الدور الذي اختاره، إما غضب فغضب، أو عطف جنسي أو غيره، هذا وقد تخزنُ ذاكرته منها بعض الصور والكلمات والحركات، التي يستشهد بها عند ثورة غريزته، فَيَنْجرُّ بها إلى فعل لا شرعي.

إنَّ الشريعة الإسلامية قد جعلت الاستئذان في الدخول على الآخرين لأجل أن لا تقع عينه على ما لا يجوز النظر إليه، من مثل خلوة الرجل مع أهله. قالﷺ:« **إنما جُعل الإذن من أجل البصر** »[1].

فكيف لما يراه في وسائل الإعلام من مشاهد، وماذا نقول إذن عن التلفاز الذي تعرض فيه آلاف الآلاف من المشاهد غير الشرعية في اليوم الواحد عبر أغلب الفضائيات.

(فإذا كان الأمر كذلك فجدير بالأبوين أن يحفَظَا أولادهما...من مشاهدة الأفلام السيئة التي تبثّ الفسق والرذيلة، بل وتنشر الفحشاء والمنكر وتهيج على الدعارة والفساد...)[2].

في دراسةٍ أُجْرِيَتْ على(مجموعة من الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالميًا، فَوُجِد أن:29,6% تتناول موضوعات جنسية،27,4% تتناول الجريمة،15% تدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف)[3]

وتشير بعض الدراسات التي أُجْريت على التلفزيون وآثاره على الفرد والمجتمع، إلى أنَّ(...التلفزيون مثله مثل المخدرات أو الكحول يتيح للمشاهد محو العالم الحقيقي، والدخول في حالة عقلية سارة وسلبية فصنوف القلق والهموم الواقعية تؤجل فعليًا عن طريق الاستغراق في برنامج تلفزيوني مثل ما يحدث عبر القيام برحلة تحت تأثير المخدرات أو الكحول)[4]. هذا وقد تتوافق هذه الهموم وصنوف القلق و الغضب مع ما يوافقها ويُشجعها من مشاهدات تزيدها قوة، وقد تختم لها بنتيجة وقرارٍ اتجاه أمره ذلك يعمل بها في واقعه المنافي والمغاير تمامًا لمشاهداته التلفزيونية.

وكل ما يُبث اليوم من أفلام ومسلسلات وإعلانات وغيرها، إنما هي جميعًا من قبيل التجارة التي تسعى للربح من خلال بثّ كل ما يشدّ الأنظار والأسماع من مَشاهد خليعة وكلمات محركة للغرائز، مما طبعـــها – عربية كانت أو غربية– بالتكرار والدوران حول موضوعات واحدة في جملتها.

---

[1]: البخاري: الصحيح، الديات، من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه، ح(6901)، 11/9.

مسلم: الصحيح، الآداب، تحريم النظر في بيت غيره، ح(2156)، 1698/3.

[2]: مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ط1، دار ماجد عسيري، 1419هـ- 1998م، ص:150.

[3]: سامي محمد صالح الدلال: الإسلام والعولمة..، ص:68.

[4]: رحيمة الطيب عيساني: العولمة الإعلامية وآثارها....، ص:119.

إنَّ(...قيم الجنس والإثارة (الخلاعة) في مقدمة القيم السلبية، فإن الملاحظة تؤكد فعلاً رواج هذه القيم في الأفلام الأجنبية سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة، فبعض المنتجين يسعون إلى ترويج الأعمال الشعبية التي تتسم بالإثارة والجنس والعنف والإسفاف، ولا يهتمون كثيرًا بالقيم الأخلاقية السامية في أعمالهم،وإنما يَنْصبِ اهتمامهم على جذب أكبر قدرٍ ممكن من الجمهور إلى الأفلام التي ينجزونها.ويؤدي -كما هو معروف- الجذب التجاري إلى قيادة ذوق برامج التلفزيون نحوِ ابتذال الحياة الإنسانية...)[1].

إنَّ أكثر الأفلام والمسلسلات والإعلانات وغيرها، التي تُبث في القنوات الفضائية العالمية هي من إنتاج غربي تُنقل فيها أفكارهم المتحررة من ضوابط الدين والأخلاق والعادات الحسنة.

إنَّ(...الانحراف والخروج على الأعراف الاجتماعية والأخلاقية مآثر دأبت السينما في هوليوود على تمجيدها، بما يفوق مجرد المعالجة والتطرق. بل باتت المواضيع السينمائية منصرفة بحماسة مروعة إلى كل ما لا يتجاوب ورغبات السواد الأعظم من الجمهور، كأنها تتحداه أو تستفزُ فيه أبسطِ اقتناعاته ورواسخ ذهنه)[2].

ولا تختلف القنوات الفضائية العربية عن الغربية كثيرًا بعد أن باتت قنوات علمانية خاضعة للعولمة اليهودية والنصرانية- عدَا بعض القنوات الإسلامية التي تعمل على نشر الوعي الديني والقنوات القرآنية- حيث لا نجد فيها أدنى مراعاة ولا اعتبار للقيم الأخلاقية الإسلامية، ولا للتعاليم الدينية من النواهي والمحرمات ومن ذلك الترويج للمنكرات ونشرها بين المؤمنين. والله تعالى يقول:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور/17].

وأيضًا لا نجد فيها اعتبارًا لما هو مقدسًا عند المسلمين كاحترام يوم الجمعة في نوعية البرامج التي تُبث فيه، وتخصيصه فيها، أو الأعياد الدينية، ولا لأوقات الصلوات الخمس، وشهر رمضان.

ومن ذلك أنّ كل من ينغمس في غمرتها وتتبع حلقاتها أكثر وقته، يجد في نفسه بُعدًا عن الشعور بالقرب من الله، أو الطمأنينة النفسية الإيمانية، ويصبح إنسانًا مشحونًا بشحنات متضاربة في بعضها نتاجها ثورة غرائز متعددة ثائرة بسبب الصور المختلفة، والمشاهد المتعددة التي تمر عليه في اليوم الواحد على عدد ما

---

[1]: نصير بوعلي: التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر: دراسة ميدانية، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ص:121.

[2]: أسامة ظافر كبارة: برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال،ط1،دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1424هـ-2003م، ص:244.

يشاهد من أفلام وفيديوهات أغاني ومسلسلات وإعلانات مختلفة. فينتقل بين هذه جميعها من فيلم حربي قتالي أثار الدافع للعدوان والغضب، إلى إعلان عن زجاجة عطر ممثلة في امرأة أثار غريزة الجنس، أو أثارها فيلم جنسي يصور حبيبين يكافحان من أجل تحقيق الوصال بينهما بأي طريقة، حتى ولو كانت لاَ أخلاقية وبعيدة عن التعاليم الإسلامية، ومنها إلى إعلان عن مأكل ومشرب إلى السياحة والاستطلاع، والقصور والأموال والأراضي، وخلق الرغبة في تملك الكثير منها، وتصوير الغني السعيد بماله وجاهه يمكنه به تخطي الصعوبات والعيش في رفاهٍ يتمناه كل الناس. في مقابل تصوير الفقير الذي يكافح في هذه الحياة ويضطر في كثير من الحالات إلى بيع ذمته وأخلاقه ومبادئه، ليقع في المحرمات مقابل الخروج من أزماته المادية.

إنَّ الإذعان للتلفزيون وما يبثه كل ساعة في اليوم والليلة يجعل غرائز الإنسان تموج وتضطرب عدة مرات. فهي تبثّ الكثير من الأفكار التي تنافي المبادئ والفطرة الإنسانية، مثل أنّ(الصلاح لا يؤدي بالضرورة إلى السعادة، وأنّ الأمور نادرًا ما تجري على منوالها الصحيح، وأنّ الغاية تبرر الوسيلة. وإلى جانب ذلك...قد يتعلم الطفل أنّ العنف يرتكبه أناسٌ طيبون...)[1].

إنَّ الكثير من الأفلام التي تُبث اليوم على قنواتنا العربية الإسلامية تُروج للانحلال الخلقي فهي: (...تظهر باستمرار دُوْرُ القِمَارِ والتهافت عليها،حانات المشروبات الكحولية، كما أنها تروج لطبيعة قيام علاقات جنسية بين الفتيات والفتيان، ولا شك أن كل هذه النواحي تعد ضارة بثقافة وسلوك الشباب،رغم أن هذه الظاهرة موجودة في مجتمعنا وبكثرة،خاصة في المدن الكبرى.)[2].

إنَّ غريزة الجنس والعدوان، والأكل والشرب، والسيطرة والتملك والاستطلاع، هي أكثر الغرائز إستغلالاً في البثّ التلفزيوني.(في فرنسا نشرت مجلة لوبوان الفرنسية إحصاءً، قامت به لمشاهد العنف خلال أسبوع واحد من شهر أكتوبر 1988، وكانت النتيجة كما يلي: 670 جريمة قتل، و 15 حالة اغتصاب، وَ 848 مشاجرة، وَ 419 تراشق بالرصاص أو انفجار، وَ 14 حالة خطف أو سرقة، وَ 32 حالة احتجاز رهائن، وَ 27 مشهد تعذيب.)[3].

إنّ الكثير من هذه الجرائم تلقى قبولاً في فكر الناشئة، قد تجرهم إلى تقليدها، حين لا يجدون الرادع الديني لضعفه في نفوسهم، أو الأسري والاجتماعي. بل هي بعد التسلية والترفيه وتمضية الوقت بمشاهدتها،

---

[1]: أسامة ظافر كبارة: برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، ص:242.

[2]: نصير بوعلي: التلفزيون الفضائي وأثره على السباب في الجزائر، ص:124.

[3]: أسامة ظافر كبارة: المرجع السابق، ص:268.

أو بالأحرى تضييعه، لا تَجُر إلاَّ إلى تقليدها وتِكرار مَشَاهِدها في الواقع.

ومن ذلك ما خلَّفه من آثار الفيلم الذي قامت الرقابة البريطانية بترخيصه بعنوان:"قتلة بالولادة"، هذا الفيلم(...قد احتوى على مئة جريمة. أبطالها مراهقان يجوبان أميركا، مسلحان بالبنادق، ويطلقان النار على الضحايا بلا دافع، سِوَى التسلية والعبث...واللافت أن هذان المراهقان يصيبان ثروة وشهرة لقاء ما ارتكباه من جرائم. وأفادت التقارير أنه بعد عرض الفيلم بشهرين، فإن ستة جرائم قتل وقعت في أميركا، وجاءت أحدها على يد فتى في الرابعة عشر من عمره، حين قطع رأس فتاة سعيًا للشهرة كما في الفيلم)[1]. والمسؤولية نحو ما يقع في الواقع من جرائم تعود بعد القائمين على البرمجة التلفزيونية، إلى أولياء الأمور والسلطات الحكومية وقطاعات التربية ودُوْرِ الوعظ والإرشاد. في غياب دورها الهدَّام لهذه الأفكار الواردة.

إنَّ الوالد أو الأم الذي يرى ابنه يقضي الساعات الطوال ليلاً ونهارًا أمام شاشة التلفاز، دون أن يحرك ساكنًا، مسئول عما يعتري ابنه من تغيرات سلوكية وفكرية، إنَّ قلبه العطوف الذي يثقل عليه إغضاب ولده بمنعه من مشاهدة الفضائيات الخليعة التي تبث المنكر، ولا يثقل على كاهله انحرافه وضياعه بسببها. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[التحريم/06].

(...ولذلك فالبعض ينتقد الإدارة التلفزيونية على تصوير الجريمة والعنف بصورة أكبر من حجمها في الحياة الطبيعية، وينتقد مَلء الأخبار للنشاط الإجرامي والعنف واستخدامه في المسرحيات والأفلام لأنه يفسد القيم التي يعتنقها الشباب ويشوه المعلومات عنها. ولذلك ربما يميل بعض الشباب إلى تجربتها..)[2]

إنَّ(بعض الباحثين يعتقدون أن بعض الأفلام تعمل على بث روح الجريمة حيث يُصوِّرُ المجرم بصورة بطولية بشكل يثير الإعجاب بشخصيته، أو الأفلام العاطفية التي تثير الغرائز وتسخر من بعض العادات والتقاليد والمثل العربية الأصيلة...)[3].

وختامًا فإنَّ(بعض البحوث دلَّت على اعتراف الأحداث الجانحين بالتأثير بما شاهدوه من أفلام على سلوكهم الإجرامي. إلاَّ أنَّ هناك بالطبع آلاف آخرون شاهدوا هذه الأفلام ولم يرتكبوا أيّ سلوك إجرامي...)[4]، ذلك أنّ المشاهدة تخضع لتوفر الاستعداد الأولي للتأثر بمحتواها حتى ولو كان بسيطا،

---

[1]: أسامة ظافر كبارة: برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، ص:239.

[2]: عبد الرحمن محمد العيسوي: اتجاهات جديدة في علم النفس الجنائي،ط1،منشورات الحلبي الحقوقية،لبنان-بيروت،2004م،ص:379

[3]: المرجع نفسه، ص:379.

[4]: المرجع نفسه، ص: 380.

خاصة إذا كان الجو العائلي والاجتماعي يسمح بذلك، أما إن كان غير ذلك فإنه سيكون حاجز عن ظهور ملامح التأثر في شكله السلوكي العملي. ويبقي للتلفزيون من التأثير في السلوك الغريزي داخل النفس ما يعرفه صاحبه بعد المشاهدة.

2-المسرح والسينما: وما قيل في التلفزيون يقال في المسرح والسينما، فإنّ المادة المعروضة تكاد تختلف كثيرًا في شكلها ومضمونها عن التي تعرض في التلفاز. ويتحد في المسرح والسينما كما في التلفاز العامل السمعي البصري مما يجعل التأثير على المشاهدين يكون أكبر.(ولها في العرض إخراج خاص وشخصيات نسائية مع الرجال قد تحكم الملابس عليهم أو لا تحكم. فيكشفنَ عن العورات ويتلفظنَ بكلمات ذات وقع غير لائق...مع المشاهدة الحسية لأشخاص الممثلين في المسارح، فالانتباه إليها أشد، والتأثر بها أوقع، وإذا كانت مادة الرواية غير طيبة تأثَّر بها المشاهدون بسرعة، وحاول النشء تقليدها في حياتهم العملية...إلى جانب أنّ في الاجتماع للمشاهدة لا تراعى الآداب، وبخاصة عند اختلاط الجنسين.)[1].

وكما في التلفزيون أصبح السواد الأعظم من المشتغلين في حقله يهمهم الربح المادي والشهرة ونيل الجوائز فقط. كذلك في دُور السينما والمسرح فإنّ المنتجين فيها يهتمون بالربح المادي السريع أكثر من الجودة العلمية الأدبية،(...فحاولوا إغراء الجمهور بتمثيل الأمور الغريبة، وعرض ما يمكن من الجوانب المحببة إلى النفوس في مجال الغريزة، وصارت هذه الدور- كما يقال- يقاس فيها نجاح الرواية أو الفيلم بمقدار ما يصرف من شباك التذاكر، فقد تحولت المهنة إلى تجارة أكثر منها ثقافة...)[2].

وعليه فيحدث التنافس فيمن يُقدِّم في أقوى غرائز الإنسان وأكثرها جذبًا له أحسن فيلم أو مسرح يمتاز بجودة التمثيل وقوة التأثير حتى لو وصلت إلى تصوير مالا يجب تصويره مما يستوجب الحياء. والداخلين إلى هذه الدور والمترددون عليها جميعهم مُعَرَّضُونَ للتأثر بها، الصغير والكبير، المرأة والرجل، الشاب والمراهق، ولكن تختلف درجة التأثر من حيث قوة الغرائز المتأججة داخل النفس،ومستوى التأثير ونوعه، الذي تعرضه أفلام السينما، والموضوع المطروح على المسرح.

3- الانترنت: تعدّ شبكة الانترنت التي لم تظهر إلاَّ حديثًا مع أوآخر التسعينيات مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى(أهم عناصر العولمة وأكثر أدواتها كفاءة في جمع المعلومات وتخزينها، ونقلها وتسويقها في أسواق

---

[1]: عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، 371/4.

[2]: المرجع نفسه، 372/4.

العالم المختلفة، إذْ قُدِّرَ عدد المواقع على شبكة الانترنت في بداية الألفية الثالثة بحوالي ثمانية ملايين موقع، تملكها شركات كبيرة وصغيرة عاملة في مجالات التصنيع والإنتاج.والتسويق والخدمات... أمّا عدد الشركات والمؤسسات والأفراد الذين يستخدمونها بشكل منتظم فيزيد على البليون...)[1].

وهي اليوم في كل مؤسسة تربوية وإدارية وفي كل شركة حكومية أو خاصة وفي كل محل وبيت، يتعامل معها كل فئات المجتمع وكثيرٌ منهم بَاتَ يتوقف نشاطهم وعملهم عليها.

إنَّ الانترنت(..جَعلت أدق المعلومات بين يدي كل من يطلبها بسرعة مذهلة وبتفاصيل استثنائية)[2] في كافة الموضوعات المجالات، إلا أنها وكبقية الوسائل الأخرى تحوي الغثّ والسمين، والحسن والقبيح وما هو نافع، وما لا يزيد الفرد إلاَّ هلاكًا وضياعًا وانحرافًا.

إنَّ صفحات الانترنت الخليعة تجد إقبالاً واسعًا من طرف طالبِيهَا، للبحث عمَّا يثير الغرائز وخاصة الكلام في العلاقات الجنسية والمحادثات الصوتية بين الجنسين، وكذا الصور العارية الفاضحة، وصور أبطال المسلسلات والأفلام الغربية والعربية الذين ينشرون الانحلال الخلقي في أفلامهم. ويسعون للبحث فيها عن حياتهم الخاصة وجديد أخبارهم وما شابه، والتي تُغني فيها رغباتهم وتشبعها المواقع الإباحية الخليعة.

(إنَّ بعض هذه المواقع الجذابة على شبكة الانترنت تحمل فنونًا ومواد مختلفة مغايرة لثقافتنا الإسلامية حيث الانحلال والعُري والممارسات المحرمة...)[3].

إنَّ شبكة الانترنت لا تخضع للرقابة في نوعية الموضوعات التي تطرح فيها في مدى ضررها على سلوكهم وخطرها على صلاحهم، الأمر الذي أتاح الفرص لأصحاب الأهواء ومتبعي الشهوات وناشري الفساد أن يبثوا فيها كل سمومهم. ويجد الشباب والناشئة الذين تغالبهم غرائزهم يجدون فيها بعض المتنفس لإفراغ بعض شحناتها، وإجابة فضولهم الغريزي.

ولا نتصور أنّ ضحايا الفساد الذي يُنْشَرُ عبر الانترنت إنما هم فقط ضِعاف النفوس نحو شهواتهم وغرائزهم، بل جَرَّتْ إليها حتى الذين تمنعوا من الدخول في هذه المواقع والجلوس إليها بطريقة ما.

إنَّ الباحث في شبكة الانترنت قد تفاجئه صورة عارية فاضحة وهو يبحث في موضوع فكري أو علمي أو أخلاقي بعيدٍ كل البعد عن موضوع تلك الصورة، وهذا هو الأسلوب المغري والمغوي المثير للشهوات

---

[1]: ضياء نمر العوايشة: التربية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة عبد الحميد شومان العامة، ص: 66.

[2]: سامي محمد صالح الدلال: الإسلام والعولمة: المنازل العالمية....، ص:69.

[3]: محمد الجوهري حمد الجوهري: العولمة والثقافة الإسلامية، دار الأمين، القاهرة، ص:37.

والذي يدسه أصحاب الشهوات في مثل هذه الصفحات، في حين يكون الباحث فيها بعيدًا كل البعد عن طلبات غرائزه وهو منغمسًا في بحثه. ذلك أنّ الكثير من المواقع اللأخلاقية تخفي نفسها خلف ستار علمي أو ديني أو فكري أو نحوها، وتنفث بذلك سمومها في كل فئات المجتمع، إضافة إلى خطر "الفيس بوك" و"التويتر" وغيرها التي بات الكثير من الناشئة لا يعرفون في الإنترنت سواها.

ولذلك يجب على كل مستعملي الشبكة(...أن يتنبهوا إلى الأهمية القصوى للترويض والترويح عن النفس والحياة الاجتماعية السليمة، والحياة الروحية والنفسية السليمة، وفروض الصلاة والعبادات والذكر.)[1]، بعيدًا عن تغليب الغرائز وتتبع طلباتها، بالانغماس في الانترنت وغيرها.

(وعلى الرغم من أنّ هذه الشبكة المعقدة قد غلّفت جميع أنحاء الكرة الأرضية، فإنّ حظ العالم الإسلامي في التعامل مع هذه المعلومات المتوفرة بسهولة عبرها لا يزال ضعيفًا...)[2]، مقارنة بغيره من دول العالم وخاصة الذين يحركون عجلة الإعلام فيه.

ورغم ذلك فإنّه يمكن القول أنّ التبعية من الدول العربية الإسلامية إلى الدول الغربية في أفكارهم عامة وطبائعهم تزداد حِدَّتها، دون وجود مقابل لها إسلامي يصدُّ عنها هذه الأفكار الشهوانية الوافدة.

ب – الصحف والمجلات والكتب.

إنّ الصحف والمجلات والكتب في زمن التلفاز والانترنت لم يعد لها الحظ الواسع كما كان لها سابقًا فما هو مقروء تراجع اليوم بفعل تأثر الناس وانصبابهم على ما هو سمعي بصري،لتقديمه لما هو أكثر تنوعًا وتشويقًا، وبصورة أفضل وأسرع مما هو مقروء.

ولكنّ هذا لا يعني أنّ دوره وتأثيره على الناس قد انعدم، فإنه لا يزال هناك من يشتغلون بجديدها ويتتبعون أخبارها ويعشقون شرائها كل صباح، ومع إصدار كل عدد.

ولكن الذي لا يمكن إغفاله هو ما ينشر فيها من موضوعات ومدى ارتباطها بالفكر والثقافة والعلم والدين والأخلاق، منها إلى الرذيلة والعُري والفساد وإثارة الشهوات والغرائز؟.

إنَّ الكثير من هذه الصحف والمجلات قد طغى عليها التقليد للغرب، والبحث عمّا يشد القارئ أكثر من مواضيع ساخنة تثير حفيظته وتدفعه إلى إكمال قراءة منشورها وتتبع أخباره، بما يغري النفس

---

[1]: محمد الجوهري حمد الجوهري: العولمة والثقافة الإسلامية، ص:37.

[2]: سامي محمد صالح الدلال: الإسلام والعولمة: المنازلة العلمية...،ص:69.

الشهوانية.(...وكثير من المشرفين عليها لا ينشرون إلا ما يوافق آراءهم في الجنس الذي يحدده ذوقهم وقوانينهم ولوائحهم التي تحكمهم وتوجههم،ولكثير منهم آراء تربوية وحضارية وأساليب نفّاذَةً لا تتصل بالدين ولا بالخلق، فليس للدّين عندهم القداسة الواجبة، وليس الخُلق إلا ما وضعوا قاعدته وحدّدوا مجاله بأنفسهم...ولأنها مُنحت حرية واسعة كانت سلاحًا خطيرًا...)[1]. ولأنهم دائما يطمحون للربح الوفير والشهرة والصيت فإنهم لا يتمنعون عن نشر ما يوافق الأهواء وما هو برَّاقٌ في أعين ضِعافِ الأنفس.

هذا ولو نظرنا إلى عدد الصفحات المخصصة للدين لوجدناها لا تتعدى صفحةً واحدةً وقد تتجاوز إلى الصفحتين في شهر رمضان، أما عن الموضوعات ذات الدعوة الأخلاقية، فإنّ الباحث عنها يكاد يبحث عنها بحثًا، وإن وجدها ففي صيغة المشكلات الاجتماعية التي تطغى عليها قصص الحبيبين والخطيبين الذين افترقا، والشاب الذي انتحر والآخر الذي زنى بزوجة أخيه، والذي قتل والديه بفعل المخدر أو الكحول ...وكلها تُذْكَر في صيغة إخبارية جافة، بعيدة عن التعقيب الموجّه بالمنطق الديني والأخلاقي للقارئ.

أما المجلات والجرائد المتخصصة في نشر الدعارة والعُري والكلام في الموضة وآخر صيحاتها، والدعوة إلى الشهوات وإثارة الغرائز، فإنها تنشر فسادها دون أيّمَا رادعٍ ومن دون أي ستار، وهي أيضًا تصطاد بشكل كبير فئة الشباب والمراهقين الذين تتأجج في صورهم غرائزهم ونزواتها.

أما المقروءات الأخرى، وأعني بذلك الكتب، فإنّ التوجه إليها بات قليلاً إلاّ من الطبقة المثقفة المشتغلة في المجالات العلمية – التعلمية والتعليمية–، رغم أنّ الناس في العصور الإسلامية الماضية كانوا يستقون منها معارفهم، إلاّ أنها اليوم مع وجود التلفزيون والانترنت، فقد وُجِدَ البديل عنها ذا الطابع التثقيفي الترفيهي في نفس الوقت، وضَعُفَ بذلك عنها الطلب.

ورغم ذلك فإنه جدير بالذكر أنّ بعض الكتب تعمد إلى خلق فجوة بين حياة الناس ودينهم وأخلاقياتهم، وفيها من تَدُسُ في طياتها دعوات غريزية شهوانية. ومنها الروايات العاطفية الخيالية.

---

[1]: عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ص:370.

المبحث الثاني: عوامل التحكم بالغرائز.

تساعد عدّة عوامل من داخل التركيب الجسماني الإنساني، ومن خارجه على تنظيم سلوك الغرائز، وتوجيه رغباتها بما يتوافق مع الشرع الإسلامي الذي فُطر عليه الإنسان. ويتباين مدى تأثير هذه العوامل بحسب قوتها في ذات الفرد.

(والسنة النبوية وإن كانت ترى أنّ الإنسان يولد على الفطرة طاهرًا بريئًا...في بداية نشأته. إلا أنها تؤكد أنّ اللهﷻ أنعم على الإنسان دون سائر خَلقه بالعقل وبالحواس التي تمكنه من التمييز والإدراك والتعلم والفهم...كما أنعم عليه بالإرادة وحرية الاختيار وهداه النجدين...، وهذا كله يحمل الإنسان مسؤولية التكاليف والواجبات الملقاة على عاتقه عندما يتكامل نضجه العقلي والنفسي والاجتماعي)[1].

المطلب الأول: عامل الدين .

يأتي مصطلح الدين بمعنى:(...(التوحيد)، والدين(اسم لما يتعبد الله ﷻ به)، والدين(الملّة). يُقال اعتبار بالطاعة والانقياد للشريعة قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾. وقال ابن الكمال: الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن الرسول وقال غيره: وضع إلهي سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات.)[2].

وقد جاء الدين الإسلامي لحفظ حياة الناس ورقيها ورفعها إلى درجات الإنسانية المثلى، بالترفع عن الدنايا من الأفعال والسلوكات.

والدين الإسلامي ضَبطَ في تعاليمه وتشريعاته كل ما يهم الإنسان في حياته من أمور، صغيرةٍ كانت أو كبيرة، شريفةٍ أو وضيعة، وفى جميع المجالات.

وذلك الذي أخبر به الله تعالى في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[الأنفال/24].

وفي إتباع الدين حياة للإنسان، وحياته في ترفعه عن مستوى الحيوانية الشهوانية المطلقة إلى الأخلاق الكريمة الفاضلة والوسطية السمحاء في تلبية الدوافع الفطرية وتسيير الأمور، اعتمادًا على التشريعات الإسلامية.

---

[1]: عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية،ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1993م، ص:670.

[2]: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة" دين"، 56/35.

إنّ الدِّين هو:(الطريق إلى بقاء ودوام القيم الأخلاقية التي تعتبر إطارًا مرجعيًا لسلوك الفرد وأسلوب حياته، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه التفاعل الاجتماعي السليم.)[1].

والدين الإسلامي في تشريعاته يعتمد عامل الفطرة في الإنسان بشكل أساسي، فهو يراعي فيها ما غرزه الله فيه من دوافع وميول.

(..إنّ الدستور الرباني قد راعى بحكمة عالية قوى الإنسان الروحية والمادية، فأحلّ له الطيبات وحرّم عليه الخبائث ومنحه، أو منعه على علمٍ شامل بفطرة الإنسان وخصائصه، والإنسان حين استخلفه الله في الأرض ركّب فيه غرائز وقوى لا تصلح حياته إلا بها، ووازنها في نفس الوقت بتعاليمه الهادية حتى لا تخرج بالإنسان عن المجرى السليم فتدمره وبذلك يتعادل "الشرع" مع "الطبع" ليحققا للإنسان أطيب حياة على الأرض، وليقوداه إلى سعادة الآخرة)[2].

وهذا التنسيق والتناسق بين التشريعات الإسلامية وطبيعة تكوين الإنسان ما يجعل الدين الإسلامي في الصدارة عن كل الأديان المحرّفة والباطلة، والتشريعات والدساتير البشرية. ولذلك فإنّ(تفاعل الدين مع الحياة سبب لإنقاذ الحياة الإنسانية. من التردي والفوضى والهمجية، فلا حياة بالمعنى الكريم من دون نظام، ولا نظام ما لم ينبع احترامه من النفس والاعتقاد والوجدان والضمير.)[3].

ولقد جاءت آياتٌ قرآنيةٌ كثيرة تدعو إلى التمسك بالدين الحنيف والعمل بما جاء به، وذم الهوى الذي هو أحد مظاهر طغيان الغريزة وتجبرها وانحرافها في النفس، وحذّر من إتباعها.

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات/40-41].

وقال ﷻ:﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[النجم/23].

وقال أيضا: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة/57]. وقال تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ

---

[1]: حامد عبد السلام زهران: دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي،ط1،عالم الكتب،القاهرة،1423هـ-2003م،ص:305.

[2]: علي محمد الصلاّبي: الوسطية في القرآن الكريم، ص: 568.

[3]: وهبة الزحيلي: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر،ط1، دار المكتبي، سوريا-دمشق، 1427هـ-2007م، 325/2.

أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف/28]. وقوله ﷻ:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:50].

وفي هذه الآيات دعوةٌ لمعارضة أوامر الهوى الشهوانية العجولة غير المنظمة، والتحذير من عواقب إتباعه في الدنيا والآخرة. فالدين الإسلامي لم يدخر جهدًا في توجيه فكر الإنسان إلى ما فيه صلاح نفسه، وتسديده إلى السلوك القويم والصراط المستقيم و تثبيته عليه.

ومن ذلك قولهﷺ:« **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهِب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن.**»[1].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفيرضي الله عنه، قال قلت:« **يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، وفي حديث أبي أسامة غيرك، قال: قل آمنت بالله فاستقم** »[2].

ولذلك نجد حال القرون الأولى للأمة الإسلامية أفضل بكثير من حال آخرها، ذلك أنّ الأوائل من عهد النبيﷺ والذين يلونهم من العصور الذهبية كانوا أكثر تمسكًا بالدين و تعاليمه حريصين على إتباعه في كل أمر ونهي،فلم تجرفهم شهواتهم إلى مصبّاتها ولم تطغوا عليهم غرائزهم بفضل قوة الإيمان في قلوبهم وتمسكهم بأحكام الشرع في عمومهم، على غرار الحال في زماننا الذي أخبر فيه النبيﷺ بكثرة الفتن.

ولذلك فإنّه:(...لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، فإذا كان صلاح هذه الأمة بالقرآن تلاوةً وعملاً وتطبيقًا، وعزتها بالإسلام فكرًا وسلوكًا وتحقيقًا، فآخر هذه الأمة لاتصل إلى مراتب الصلاح، ولا تحقق العزة إلا عندما تربط أولادها بالقرآن الكريم فهمًا وحفظًا وتلاوةً تفسيرًا وتخشعًا وعملاً، وسلوكًا وأحكامًا لتكوين جيل قرآني مؤمن صالح تقي.)[3].

والدين بتحريمه للمحرمات وتنفيره منها، وحله لطيبات وترغيبه فيها، يعمل على تزكية الإنسان. جسدًا وروحًا.(هذه التزكية هي حمل النفس على التوحيد: توحيد العلم، وتوحيد العمل، فلا بُدَّ أن تُحمل النفس على العلم النافع والاعتقاد الصحيح، لتدفع عنها ضلال الشبهات، ولا بدَّ أن تعود على العمل الصالح

---

[1]: البخاري: الصحيح، المظالم والغصب، النهبى بغير إذن صاحبها، ح(2475)، 136/3.

مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عنه، ح(57)، 76/1.

[2]: مسلم: الصحيح، الإيمان، جامع أوصاف الإسلام، ح(38)، 65/1.

[3]: عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، 106/1.

والسلوك الصحيح، لتدفع عنها غواية الشهوات)[1]. وهذا ما يصدقه قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة/2]. فالعلم والعمل قرينين لبعضهما لا اعتبار لأحدهما دون الأخر والدين موجه لكليهما، والإنسان لابدّ له من فقه في الأمور كي يتمكن من التدبير الحسن لشؤونه.

والدين الإسلامي قد جاء بتفصيل ذلك في الكتاب والسنة النبوية، فلا يكون على المسلم إلا التمسك بهما، لضمان سلوكٍ قويم بعيد عن الزيغ والانحراف، قالﷺ:«..**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله..**»[2]. وفي رواية:« **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما،كتاب الله وسنة نبيه** »[3]. ولذلك فالدين ضروري للتحكم بالغرائز كي لا تزيغ عن المنهج الفطري الذي خُلقت عليه

المطلب الثاني: عامل العقل.

العقل لغةً هو:(الحِجْر والنُّهى ضدُّ الحمق، والجمع عُقولٌ...ومَعْقول وعَقَل فهو عاقِلٌ وعَقُولٌ من قوم عُقَّلاء..رجل عاقِلٌ وهو الجامع لأمره ورأيه...وقيل العاقل الذي يحبِس نفسه ويرُدُّها عن هواها..والعقل التثبت في الأمور... وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبِسه...)[4].

وفي الاصطلاح تعددت تعريفاته على أقوال، فقيل هو:(نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف)[5]. وقيل هو:(قوة النفس من حيث مبدأ التحريك إلى ما تختاره من الجزئيات لأجل غاية مظنونة أو معلومة...)[6].

وقيل هو:(غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لأدراك الأشياء...)[7]. ومن خلال هذه التعريفات يكون العقل هو القوة العاقلة التي تدرك الأشياء وتدبر الأمور. والعقل مناط التكليف الذي يتعلق به الحساب من ثواب أو عقاب يوم الآخر.

---

[1]: محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: 432.

[2]: مسلم: الصحيح، الحج، حجة النبيﷺ،ح(1218)، 890/2.

[3]: مالك: الموطأ، القدر، النهي عن القول بالقدر، ح(1614)، ص:557.

[4]: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة"عقل"، 458/11.

[5]: الجرجاني: التعريفات، ص: 136.

[6]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، ص:252.

[7]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،80/1.

عن عائشة (رضي الله عنها) أنّ رسول اللهﷺ قال:« **رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر.**»[1].

فإذا نظرنا في هذه الحالات الثلاث نجد غيابًا للعقل في دوره. فالإنسان في حالة نومه يكوّن فكره مرتاحًا لا يشتغل إلا في الأحلام، وهي أمور غير إرادية لا شعورية، لا يعملها ويُنشئها الإنسان بعقله ويركبها بنفسه واختياره. والصبي قبل الاحتلام يكون في حالة عدم اكتمال النضج العقلي فلا يزال قاصرًا عن تسيير شؤونه وتوجيهها بنفسه فهو في رعاية غيره، والمجنون فاقدٌ للعقل بالكلية.

فإذا كانت هذه الحالات الثلاث التي تكلم عنها النبيﷺ في الحديث هي التي رفع عنها القلم ولا غير، وهي جميعها تعتمد على العقل فهذا إن دلَّ على شيءٍ، إنما يدل على أهمية العقل في حياة الإنسان لتوجيه السلوك وتصحيح المسار.

وإذا تكلمنا عن العقل فإنا لا نعني به العلم ولا قوة الذكاء فكل منهما قوة تدعم عمل العقل، وتقويه وليست هي جوهر العقل، ذلك أنّ(الذكاء طاقة فكرية يُستطاع بها معرفة الأمور على حقيقتها، سواء اقترن به عقل النفس عن مزالق أهوائها وشهواتها أو لم يقترن، وكم من ذكي حاد الذكاء ولكنه لا يستطيع عقل نفسه عنه، لأنّ أهواءه وشهواته مندفعة إليه، ويعرف الخير حق المعرفة ولكنه لا يستطيع عقل نفسه وسوقها للقيام به، لأنّ أهواءه وشهواته تغلبه فتصرفه عن فعله.)[2]. فللعقل دور كبير في كبح جماح النفس عن الانغماس في غرائزها وشهواتها.

قال أبو حامد الغزالي عند ذكره لحدود العقل:(أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة...)[3].

---

[1]: أبو داود: السنن، الحدود، في المجنون يسرق أو يصيب حدا، ح(3822)، 478/11.

الترمذي: السنن، الحدود عن رسول الله، ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، ح(1343)، 320/5.

النسائي: السنن، الطلاق، من لا يقع طلاقه من الزواج، ح(3378)، 124/11.

ابن ماجه: السنن، الطلاق، طلاق المعتوه والصغير والنائم، ح(2031)، 212/6.

الحاكم: المستدرك، البيوع، ح(2350)،59/2. قال الترمذي:(حسن غريب من هذا الوجه)، وقال الحاكم:(صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). وقال لألباني:(صحيح)،ينظر: الجامع الصغير وزيادته،ح(5826)،583/1.

[2]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 130/2.

[3]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 81/1.

والإنسان بلا عقل لا حيلة له ولا قوة في جلب الخير أو دفع الشر عنه، قال ﷻ:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[النساء/28]. قال الرازي في معنى"الضعف" المذكور في الآية:(... والأقرب أنه يحمل الضعف في هذا الموضع لا على ضعف الخلقة، بل يحمل على كثرة الدواعي إلى إتباع الشهوة واللذة، فيصير ذلك كالوجه في أن يضعف عن احتمال خلافه..)[1]. وقيل:(المعنى أنّ هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه وهذا أشد الضعف.)[2].

وجامع ذلك:(أنه بغريزته وحدَهَا ضعيف غير قادر على مقاومة الإغراءات والوساوس،ولم يذكر القرآن هنا أنه باستعماله عقله وفطرته يتحول إلى قوي لا تلين له قناة ولا تهزمه النوازع وتقوى إرادته، ويعصم نفسه عن المعاصي، وهذا تلميح لسمو ورفعة قدر من يعمل عقله وفطرته، وتحقير من يهملها...)[3].

فالعقل أكثر ما يستعمل في مقاومة الشهوات وحسن صرفها إلى سُبلها الشرعية، ذلك أنّ الغرائز سلاح النفس الأمارة بالسوء، وهي سلاح الشيطان، فلا بدّ من تحكيم العقل على الوجه المطلوب.

عن أبي أمامةﷺ أنّ فتى من قريش أتى النبيﷺ فقال:« **يا رسول الله ائذَن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروهُ.قالوا: مَهْ مَهْ. فقال:ادنهْ. فدنا منه قريبا. قال: فجلس. قال: أتحبُّه لأمك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟. قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناسٌ يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصّن فرجَه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.**»[4]. والفتى هنا من غلبة شهوته عليه جاء يطلب

---

[1]: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ- 2000م، 56/10.

[2]: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2003م، 149/5.

[3]: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية، ص:44.

[4]: أحمد: المسند، حديث أبي أمامة الباهلي، ح(21185)، 180/45.

الطبراني: المعجم الكبير، ح(7577)، 177/7.

الإذن به، وهو لا يطلب الإذن بالزنا لجهله بحكمه شرعاً، ولكن غلبة شهوته عليه أضعفته لقوتها داخل نفسه حينذاك، فَعِلْمُه بالحكم لم يردعه، ولكن وقف حاجزًا دونه لذلك أراد إبعاده بطلب التجوز فيه.

وأسلوب النبي الكريمﷺ في إجابته كان غاية في الحكمة. فهو لم يصر عليه بحرمة الفعل وتذكيره بغضب الله تعالى عليه بفعله، ولا غير ذلك من المواعظ التي تُقدم في مثل هذا الموقف عادةً. فالنبيﷺ فاجأ الفتي في نقاشه إياه، فناقشه بعقله الذي عمد إلى تغييبه في طلبه لذلك، فدعَّم النبيﷺ الدين باستدعاء نور العقل، وطرح له القضية من حيث رضاه بها إن كانت في إحدى محارمه من النساء، هل يرضى أم لا ؟، فهذا السؤال فيه إيقاظ للغيرة المحرمية التي هي مغروزة في كل إنسان وفطرية فيه، فكان أن استيقظ عقله بهذه المحاورة الفكرية، فدعمت قوة العقل وقوة الدين، فاستكانت ثورة الفتى الغريزية بعد ذلك.

ولذلك أثني اللهﷻ في كثيرٍ من الآيات على الذين يستعملون عقولهم في حياتهم. قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[الحج/22]. (فجعل الله العقل من خصائص القلب، لأنّ المراد من العقل الإرادة العالمة القادرة على كبح جماح الأهواء والشهوات، وعَقْلِها وحجزها في دائرة الحق والخير)[1].

وقد جعل ابن مسكويه الرازي إعمال العقل لذة لا يدركها إلا من اطلع عليها قال:(فالمطلع إذن على حقيقة هذه السعادة المتمكن من إظهار فعله بها هو الذي يلتذ بها وهو الذي سُرَّ سُرورًا حقيقيًا غير مُموهٍ ولا مُزخرفٍ بالباطل...وحينئذ يأنف أن يصير سلطانه العالي يحب سلطان بطنه وفرجه فلا يخدم بأشرف جزء فيه أخس جزء فيه، وأعني بالسرور المزخرف بالأباطيل:اللذات التي تشركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة.)[2]. فالعقل يرفع الإنسان عن الدنايا ويأخذ به بعيدًا عن الحيوانية المغرقة في غرائزها.

ومن تكريم اللهﷻ للعقل أن وضعه في موضع عال رفيع من جسمه، فاختار له موضع الرأس الذي يعلو على كل الجوارح، وأخذ به عن مجاورة مواضع الشهوات، فلم يكن جنب بطنه أو تحتها أو فوقها مباشرة، ولا وضعه أمام قلبه ولا نحوها. بل رفعه منهم مكانًا عليًا من جسمه وكساه بجدار حماية تعظيما له ولدوره في تدبير شؤون الإنسان وتوجيه سلوكه وسيطرته على دوافعه وغرائزه.

---

[1]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 81/2.

[2]: ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص:68.

المطلب الثالث: عامل العلم .

وردت للعلم عدة تعريفات ذكرها الجرجاني، قال:(هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع،وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل...وقيل هو إدراك الشيء على ما هو به...)[1].

وكل التعريفات تدور في سياق واحد في أن العلم هو الإدراك والاعتقاد، وزوال الخفاء، والوصول إلى المعنى وغيرها مما يُعبَّر به عن الفهم والفقه للشيء. والعلم الذي نريد الحديث عليه هنا هو مطلق العلم من غير تمييز أو تقسيم له بين كونه فرض أو كفاية.

وقد حثّ الإسلام على العلم في عدد من الآيات و الأحاديث النبوية وحض على طلبه وتعلمه وأعطى العلم مكانة راقيةً عريقة، فكان يكفيه شرفًا أن الأمر بطلبه أول ما نزل من السماء – على القول المشهور– وقد قال الله تعالى فيه:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران/18]. وقالﷻ:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر/09]. وقال أيضاﷻ:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت/43].

وقد أرسل الله الرسل ليعلِّموا الناس ويوضحوا لهم طرق الحياة السليمة، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة/2]. ومن فوائد العلم الذي يبلغه الرسول للناس هو التزكية والطهارة لأنفسهم وجوارحهم من شوائب الأعمال.

ومما ورد من أحاديث نبوية في فضل العلم ومكانته ، وجدارته في دفع الشهوات والتحكم بالغرائز. قالﷺ:« **من يرد الله به خيرا يفقّه في الدين** »[2].

---

[1]: الجرجاني: التعريفات، ص: 137.

[2]: البخاري: الصحيح، العلم، من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، (71)، 25/1.

مسلم: الصحيح، الزكاة، النهي عن المسألة،ح(1037)، 718/2.

وقال ﷺ:« **فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثمَّ قال رسول الله ﷺ: إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير.**»[1].

قال بعض العلماء:(ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم)[2]. وهذا من إدراكهم لفضله وعلو مكانته. والعلم هو كسوةُ العقل، وخلاصة طلبه العمل به. فعدم الاستفادة من العلم المتَعلَّم في العمل به ضلال، فما جعل الله العلم إلاّ لأجل العمل.

قال تعالى:﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[العلق/13-14]. ففائدة العلم بأنّ الله يراه رؤية دائمة وهو الخوف والخشية منه ﷻ. وضبط النفس على حب الخير وفعله، والبعد عن المنكرات والفواحش.

ومن أهم الأبواب التي يُعملُ فيها بالعلم: تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك والتحكم بالغرائز.(فأشرف ...الصناعات...بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم...)[3].

وهو أيضا طهارة للنفس من أمراضها وشهواتها. قال الراغب الأصفهاني:(والذي يطهر النفس: العلم والعباداتُ الموظَّفَةُ التي هي سَبَبُ الحياة الأُخْرَوية، كما أنّ الذي يُطهر به البدن هو الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية...وطهارة النفس تحقق بإصلاح الفكر بالتعلم حتى يَميزَ بين الحق والباطل...)[4].

فالعلم يستعان به كسلاح لغلبة الشهوات التي تسيطر أحيانًا على الإنسان في جوارحه وفكره فتشل حركتها. ولذلك قال تعالى:﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[الروم/30]. فهم اتبعوا ما:(هويت أنفسهم الناقصة، التي ظهر من نقصها، ما تعلق به هواها، أمرًا يجزم العقل بفساده والفطر برده، بغير علم دلهم عليه، ولا برهان قادهم إليه.)[5].

---

[1]: الترمذي: السنن، العلم، فضل الفقه على العبادة، ح(2685)، 50/5. قال الترمذي:(هذا حديث غريب). وجاء في كشف الخفاء :(رواه الترمذي وحسنه عن أبي أمامة..ونقل النجم عن الترمذي أنه صحيح)،86/2. وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، 767/1.

[2]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 14/1.

[3]: المصدر نفسه، 19/1.

[4]: مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حُميد – عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن مَلّوح: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط3، المملكة العربية السعودية، دار الوسيلة، 1425هـ - 2004م، 3307/8.

[5]:عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ط1،مكتبة الصفا،القاهرة،1425هـ-2004م، ص:615

والإنسان فريسة الشيطان يصطاده بشهواته، والعلم سلاحٌ ضده، فالشيطان كلما زَيَّن الشهوات في قلوب الناس(...بَيَّن الفقيه العارف بمكائده ومكامن غوائله للمُريد السالك ما يسدُّ ذلك الباب ويجعله خائبًا خاسرًا بخلاف العابد فإنه ربما يشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري)[1].

فالشيطان يعمل على الإطاحة بالإنسان لجره إلى جهنم معه عن طريق الوقوع في الشهوات الناتجة عن انحراف الغرائز والتي حُفَّت بها النار. ومادامت الإطاحة بالعالم والفقيه في هذه الأمور شديدة لعلمه، فعلى الإنسان أن يتسلح بسلاح العلم ويتحصن به.

ولأجل ذلك يُعتبر الجهل:(عمى وضلالاً لا يُستطاع معه معرفة الشر من الخير،ولا الضار من النافع، والناشئ الجاهل يتصرف بوحي من غرائزه وشهواته خصوصًا في سنواته الأولى التي لم يتضح فيها عقله بالتجارب حتى يتحكم في شهواته، وعدم تعلمه هو أساس انحرافه في غالب الأحيان)[2].وعليه فإنّ العلم ضروري، والعمل به أيضا ضروري لكي يتمكن الإنسان من التحكم في سلوكه بحكمة ووعي كامل.

فإذا أضفنا إلى علمنا بأنّ علّة تحريم كثير من السلوك والأعمال في التشريع الإسلامي إنما هو لما يترتب عليها من حصول الضرر والفساد. ومن ذلك تحريم الخمر ولحم الخنزير والدم والميتة، بالنسبة لغريزة الأكل والشرب، والدعوة إلى ترك الغضب والانفعال الشديد لما قد يؤدي من انفعالات نفسية وصحية مُضرَّة بالإنسان، وكذا وقوع الخلاف والقتال بين الناس. وأيضا تحريمه للسرقة والربا الناجم من انحراف غريزة التملك وعلمنا بأضرارها الاقتصادية.

إنّ إضافة العلم بالحكم الشرعي للمسألة على الحكم النظري العلمي التجريبي لها يدعم الفكر والإرادة للتغلب على الشهوات وزيادة القدرة والقوة لتحكم في الغرائز والسيطرة عليها. خاصة إذا علم أنّ بعض الممارسات غير الشّرعية للغرائز تنجم عنها أضرار يعسر علاجها طبيًا، كالأضرار الناجمة من الممارسات المنحرفة للغريزة الجنسية، مثل: الايدز و الزهري والعقم أحيانًا. وكذا التخمة وأمراض المعِدَة من كثرة الاشتغال بغريزة الأكل والشرب.

يقول الغزالي:(...فإنّ الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذْ كَبُر وتمَّ عقله قدر عليه، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفًا، وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة، ولهذا يَقدرُ

---

[1]: أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1410هـ- 1990م، 480/6.

[2]: عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، 404/1.

الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبًا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، لكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندًا للعقل وعُدةٌ له في قمع الشهوات وكسرها...)[1]. ثم قال:(...وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوّة علمه بضرر المعاصي..)[2].

وعليه فإنّ العمل بالشيء فرع عن العلم به، واتقاء المنكرات من الغرائز المنحرفة يكون بالعلم بحقيقتها وأضرارها المترتبة على الفرد والمجتمع، ومعرفة سبل الوقاية منها. ومَن عَلِمَ ذلك فَبِغَريزة العقل وحكمته يتوجب على كل فردٍ تركها.إلا أن يكون مجاهرًا بالمعصية متجاوزًا لكل عوامل الهداية والرشاد

المطلب الرابع: عامل قوة الإرادة .

أصل كلمة إرادة في اللغة بمعنى:(..يقال: أَراد يريد إرادة والريدة الاسم من الإرادة...والإرادة المشيئة وأَصله الواو كقولك راوده أَي أَراده على أَن يفعل كذا...والإرادة وأَراد الشيء أَحبه وعُنِيَ به...وفي حديث عبد الله إن الشيطان يريد ابن آدَم بكل ريدة أَي بكل مَطْلَب ومُراد.)[3].

ويقال:(الرِّيْدُ: الأَمْرُ الذي تُرِيْدُه وتُزَاوِلُه...وأَرَدْتُه بكُل رِيْدَةٍ: أي بكُلِّ إرَادَةٍ...والإرَادَةُ:أَصْلُها الواوُ، وتقول: رَاوَدْتُه على فِعْلِ كذا أي أَرَدْتُه. والرِيْدَةُ: مَصْدَرُ الإرَادَةِ والارْتِيَادِ والرَّوْدِ...)[4].

وفي الاصطلاح: الإرادة هي(صفة تُوجبُ للحيِّ حالاً يقعُ منه الفعل على وجهٍ دون وجْهٍ، ولا تتعلق إلا بمعدوم فإنها صفةٌ تُخَصِّصُ أمرًا بحصوله ووجودِهِ. وقيل: الإرادة مَيْلٌ يعقبُ اعتقاد النفع)[5].

والإرادة هي:(تهيؤُ القلب والعقل بشدةٍ وعزم لإحداث الفعل أو عدم إحداثه)[6]، فالقلب يُعدّ منبع الإرادة ومنطلقها الأول، فيه تنعقد وتجتمع. وعليه فإن الإرادة تتكون من:

- قلب هو المستودع الذي فيه تتكون وتنضج.
- ميل إلى الشيء المراد فعله أو الحصول عليه.
- قوة وشدة وعزم تصحب الميل في القلب على فعل الشيء.

---

[1]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 83/1.

[2]: المصدر نفسه.

[3]: ابن منظور: لسان العرب، مادة"رود"، 187/3.

[4]: الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، مادة"ريد"، 356/2.

[5]: الجرجاني: التعريفات، ص: 15.

[6]: مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، 3196/8.

وتتسم الإرادة بأهمية كبرى في حياة الفرد من حيث تحقيقه لأهدافه وغاياته أو تعديله لسلوكه ولذلك لا تكون الإرادة فعالة وناجعة إذا لم تكن قوية وصلبة. فيُحتاج إلى قوة الإرادة بشكل أساسي ضدَّ أكبر قوة تجنح بالفرد وتميل به إلى طريق الانحراف وهي أهواء نفسه وشهواتها. ويُحتاج إلى الإرادة أيضا للعمل بما:(...يملي علينا العقل والخبرة القيام به.)[1].

وقوة الإرادة تقابلها قوة الشهوة والغريزة في نفس الفرد (..ثم إنّ الإرادة من الاستعدادات الطبيعية التي يتميز بها الإنسان ويتسامى بها على الغرائز ويرتقي في مدارج الرقى)[2]، وكلما كانت الإرادة أقوى كانت الغلبة لها، وإلاَّ فإنّ المقاومة الضعيفة للإرادة ضدّ عامل الغريزة تؤدي في نهاية المطاف إلى سيطرتها وغلبتها. (ولقوة الإرادة أو العزم درجات أيضا. إذ يتفاوت أولوا العزم فيما بينهم، وقد يصل ذلك في درجاته العليا إلى تنفيذ المراد حتى ولو اقترن به أشدُّ الصعوبات وأعظم الآلام.)[3].

والإرادة لكي تنتصر وتفوز لابدّ من تضافر كافة العوامل الأخرى في النفس، من عامل الدين والعقل والعلم وكذا الضمير. فبهذه جميعا تكون الإرادة ذات قوة. وإن ضعفت أحيانًا تكون قوية في أحايين أخرى بمساندة هذه العوامل.

والإنسان لا يستغني عن الإرادة في كل مجالات حياته، يحتاجها دائما ماثلة أمامه، لتحقيق أهدافه والوصول لغاياته وكسب الخير ودفع الشر. ولكنّ أكبر صراعٍ يواجه الإنسان بإرادته هو صراع الغرائز وملذاتها، فهي في أصلها من أكبر القوى التي فُطر عليها الإنسان.تحرك سلوكه وتوجهه وتؤثر فيه. (وإنّ أعظم انتصار تنتصره الإرادة الإنسانية. هو انتصارها على أهواء النفس وشهواتها ووساوس الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم)[4].

ولأنّ الصراعٌ مع الشهوات لدى الإنسان داخل نفسه ومع محيطه الخارجي كان أعظم صراع (...كان من خطة الإسلام التربوية العمل على تقوية إرادة الإنسان حتى يتغلب على أهوائه التي لا خير فيها، ويكبح جماح شهواته الجانحة...)[5].

---

[1]: عبد الكريم بكار: بناء الأجيال، ص: 36.

[2]: مقداد يالجن: أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط3، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م،ص: 79.

[3]: مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، 3197/8.

[4]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 135/2.

[5]:المرجع نفسه، 134/2.

وما دامت الإرادة مهمة في حياة الفرد، وهي تعمل كقوة دافعة لفعل الشيء أو تركه. كان لابدّ لكل فرد أن يعمل على إيجادها في نفسه وتربيتها لتقوى ويتمكن بها من تحقيق ذاته السّوية القوية. ومن ذلك ما يلزم الوالدين من تعليم ابنهما على الإرادة وتحقيق أهداف معينة تتناسب وسنُه وقدرته كي تربو في نفسه وتقوى على فعل الخير ودفع الشر. والسيطرة على النفس ودفع الشهوات والمغريات، ولا يخضع لها تطبيقًا لمبادئه الأخلاقية ومعتقداته الدينية اعتمادًا على إرادة قوية.

ولأنّ من عناصر الإرادة "العزم والتصميم" على الفعل، كان لا بدّ لتكون الإرادة قوية وفعالة حقًا هو عدم تراجع المرء عمّا كان قرره من قبل، مما يعتقد يقينًا نفعه وخيريته.

وإذا وجد الوالدان والمربون شيئًا من إرادةٍ في نفس الناشئ فعليهما استغلالها ودفعه لتقويتها والعمل بمقتضاها إذا كانت في إطار خير. ومن ذلك فعل النبيﷺ مع زيد بن ثابتؓ حين احتاج لمن يقرأ له كتاب اليهود ممن يثق بهم عندما يَرِد عليه. قال زيد:« **أمرني رسول اللهﷺ فتعلمت له كتاب يهود وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. فتعلمته فلم يمرَّ بي إلا نصف شهر حتى حذقْتُه فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه** »[1]. والشاهد في الحديث أنّ سرعة زيدؓ في التعلم إنما هي محصلةٌ لإرادة قوية في نفسهؓ أدركها النبيﷺ فيه فاستغلها ولم يُضَيعها له.

ولتقوية الإرادة داخل النفس، يمكن إتباع بعض ما يساعد على ذلك. ومن بينها:

(-اختيار ميدان من ميادين السلوك الفطري المعتاد لتدريب الإرادة على ترك بعض ذلك السلوك الفطري المعتاد في فترات محدودة كل يوم. مثل ترك بعض الأطعمة الشهية التي اعتاد المرء تناولها كل يوم.)[2].

وأيضا:(..محاولة التغلب على السلوك الفطري، كالتغلب على الغضب وكظم الغيظ ودفع الإساءة بالإحسان..)[3].

والصبر أحد وسائل الإرادة وسلاح من أسلحتها الفعال، فصاحب الإرادة القوية لابدّ أن يكون من الصابرين المتصبرين، قال تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران/186] . أي:(الأمور التي ينبغي أن يعزمها كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف والعز، أو

---

[1]: أبو داود: السنن، رواية حديث أهل الكتاب، ح(3647)، 356/3.

الترمذي: السنن، الاستئذان، تعليم السريانية، ح(2715)، 67/5. وقال:(حديث حسن صحيح).

[2]: مجموعة من المختصين: نضرة النعيم إلى مكارم الرسول الكريم، 3198/8.

[3]:المرجع نفسه.

مما عزمه الله تعالى وأوجبه على عباده، وعلى كلا التقديرين فالعزم مصدر بمعنى المعزوم وهو مأخوذ من قولهم عزمت الأمر...لأنه توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله.)[1].

ومنه قوله تعالى أيضا:﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران/159].

وعمومًا يمكن إتباع وسيلتين أساسيتين لتقوية الإرادة ورفع مستواها إلى الفاعلية المطلوبة. وهما:

(- نهي النفس عن الهوى والقدرة على السيطرة على النفس الأمارة بالسوء وكبح جماح النفس الغضبية والشهوية.

- الجد في الأمور والأخذ فيها بالحزم...)[2].

المطلب الخامس: عامل الضمير .

قال الخليل الفراهيدي في معنى الضمير لغةً:(الضَّميرُ: الشيء الذي تُضمِرهُ في ضَمير قلبكَ.)[3].

وفي الاصطلاح الشرعي يعبر عنه بـ"النفس اللوَّامة" وذلك بالعودة إلى التقسيم القرآني للنفس. حيث تعمل النفس اللوامة على محاسبة النفس فيما يصدر منها من أقوال وأفعال.(إنّ المؤمن والله لا تراه إلا لائمًا لنفسه، ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإنّ الفاجر يمضي قدمًا لا يُعاتب نفسه)[4]. فالضمير هو الذي يحاسب النفس على ترك الخير وفعل الشر. وإذا كان الضمير هو ذاتها النفس اللوامة، فإنه بذلك يعمل على أن يكون:(جهاز مراقبةٍ ومحاسبةٍ داخل الإنسان السوي، يُقَيِّمُ ويُقَوِّمُ أعماله السابقة واللاحقة ويُصدر عليها حكمًا أخلاقيًا بالخير أو الشر.)[5]. وإذا كان الضمير هو الجهاز الذي يراقب الإنسان نفسه به ويحاسبها. فما هي الأسس التي يستند عليها؟ وما هي العناصر التي تكونه؟ وما مستوى تأثيره على الغرائز الإنسانية؟.

الضمير في حقيقته هو:(...جملة القيم والمعايير والمبادئ الخُلقية التي يستخدمها الفرد في الحكم على

---

[1]: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 148/4.

[2]: مجموعة من المختصين: نضرة النعيم إلى مكارم الرسول الكريم، 3198/8.

[3]: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، 41/7.

[4]: إشراف محمود حمدي زقزوق: موسوعة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى بالشؤون الإسلامية- وزارة الأوقاف، القاهرة، 1426هـ - 2005م، عدد: 04، ص:192.

[5]: المرجع نفسه.

دوافعه وسلوكه، والتي يهتدي بها في تفكيره وأعماله، والذي يوجه وينقد ويوقع العقاب..)[1].

وعليه فإنّ الضمير في مراجعته لأعمال الإنسان يستند إلى ما يملكه من فطرة دينية وأخلاقية وطبيعة سليمة وإلى ما سيكتسبه من عملية التنشئة الاجتماعية من مبادئ وضوابط وأيضا ما يكتسبه من تعلمه وثقافته، وخبراته، وغيرها. فـ(...متى تَكَونَ الضمير أصبح الفرد يحمل داخله مقومات الثقافة الاجتماعية والعقائدية والخلقية للمجتمع الذي يعيش فيه)[2]. ومتى تَكونَ الضمير وقَوِيَ صار ركيزة أساسية ومرجعًا قانونيًا للنفس، ممَّا يقلل من عثراتها وزلاتها، وبالتالي سلامة النفس واستقامتها[3].

وبذات الأمور التي بها يراقبنا الضمير ويراجعنا في أعمالنا، بذاتها يتكون ويتقوى داخل النفس، ولذلك لا بدّ من استمداد تعاليمه من معينها جميعا.

فالضمير الأخلاقي الفطري السليم لا ينئ أن يخضع(لأصول التربية وقواعدها، إذ هو قابل للتنمية بممارسة عواطف الخير، وبدراسة كمال فضائل الأخلاق...وبمواعظ الهداية الدينية والنصائح والوصايا الربانية، وبوسائل الترغيب والترهيب، والقدوة الحسنة وقصص البطولات الأخلاقية وغير ذلك..)[4]. وإهماله يعني فساده وضياعه وفساد حال الإنسان معه، فلا يُتصور أن يكون بين الناس إنسان سوي في سلوكاته دون أن يكون لديه ضمير في داخله.

والإنسان الصالح السوي هو الذي يسمع لصوت ضمير الخير ويعمل به، ولا يُهمل سماع هذا الصوت فيه أبدًا، لأن إهماله مرة يبيح له إهماله مرات ومرات، حتى يموت داخله ويَبْطُل تأثيره، وإذا فقد بعد ذلك فإنه يعسر عليه إحياءه من جديد، ووجود الضمير داخل النفس كجهاز رقابة وعتاب وتوجيه سلوك، لا يحتاج بعده الفرد إلى رقابة خارجية، وإن احتاجها ففي أمور لا يعلمها،ولا يدرك مساؤها بعد .

يقول محمد قطّب:(لقد شرعت العقوبات لضمان تنفيذ الحد الأدنى من التشريع الذي لا يقوم المجتمع بدونه، ولكن ذلك لم يكن كل هدف الإسلام فهو يكفي لحفظ المجتمع من السقوط، نعم. ولكنه لا يكفي لترقية المجتمع وحثه دائما إلى الأمام، فهذا أمرٌ تقوم به الرغبة المنبعثة من داخل الضمير..)[5].

---

[1]: حنان بنت عطية الطوري الجهني: الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1422هـ- 2001م، 44/1.

[2]: محمد مصطفى زيدان - نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:67.

[3]: ينظر: المرجع نفسه.

[4]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 78/1.

[5]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 89/1.

فالضمير يمثل السلطة الخارجية داخل النفس، بل يكاد يكون أكثر تأثيرًا منها في الإصلاح والبُعد عن المحظورات الشرعية والعرفية الاجتماعية. فالضمير فوق كونه جهاز رقابة وتهذيب، فهو أيضا قوة تعمل على ضبط رغبات النفس وإرجاعها إلى نصابها الطبيعي ، وأيضا يعمل في المقابل على تنمية الأخلاق والمبادئ الفاضلة التي تتوافق والتعاليم الإسلامية[1].

وهو ما تحدث عنه النبيﷺ في حديث وَابِصَةَ الأَسَدِي عندما ذهب إليه يسأله عن البر والإثم، فقالﷺ: « **يا وابصة أخبرك أو تسألني؟ قلت: لا بل أخبرني؟ فقال: جئت تسألني عن البرِّ والإثم فقال: نعم. فجمع أَنامله فجعل ينْكُتُ بهنَّ في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك.**»[2]. قال الطحاوي في معنى الحديث:(لأنّ النفس إذا اطمأنت كان منها حسن الخلق وكان الإثم معه ضد ذلك من انتفاء الطمأنينة عن النفس، وكان مع ذلك سوء الخلق وما يتردد في الصدور عند مثله، ولا يخرجه فتيا الناس صاحبه.)[3]. وإذا كانت النفس غير مطمئنة فهي لوّامة، لأنّ تردد الأمر في صدرها لفعل السوء يتأتى من النفس الأمّارة به فإنّ مراد هذه الأخيرة لا يتحقق إلا بمانع من اللوّامة، ليضلّ بعدها يتردد في الصدر وهي تمنع من تحقيقه بالجوارح ما لم تقهره وتدفعه عن النفس تمامًا. وإما أن يأتي هذا التردد من الجهل بحكم الشيء إلى أن تعلم حكمه، ويكون مصدر هذا التردد دائمًا هو الضمير. فالنبيﷺ يدعونا لتتبع حال النفس الباطنية مع الأمور المستجدة، والعمل بموقفها منها لأنّ ترددها إنما يحصل مع الإثم لا محالة، ولا بدّ حينذاك من اجتنابه.

وأكبر صراع يواجهه الضمير داخل النفس ومع المحيط الخارجي هو عند اشتهاء النفس شيئًا من الملاذ، وتحقيق رغبة إحدى غرائزها بصورة ملحة وعجولة، ولا تتوافق معطياتها والضوابط الشرعية في أصولها أو فروعها، ولا مع الضوابط الاجتماعية العامة والخاصة.

وأمور الشهوات وطلبات الغرائز قد تبدأ بالجزئيات التي يحتقرها الإنسان لصغرها فَتنفذُ دون شعور منه. لتقود في نهايتها إلى ارتكاب محرم من كبير الأعمال، كما يحدث مع الزنا ومقدماته، فمقدماته هي أيضا رغبات نفسية تلبي حاجة الغريزة جنسية وتقود إلى ما هو أكبر منها وهو الوقوع في الزنا.

---

[1]: ينظر: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص: 56.

[2]: أحمد: المسند، حديث وابصة بن معبد، ح(18006)، 533/29.

الدارمي: السنن، البيوع، دع ما يريبك إلى ما لايريبك، ح(2533)، 320/2.

[3]: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، 1408هـ - 1987م، 387/5.

وإذا كان الإنسان في تَمَكُنٍ من ضبط الضمير داخل نفسه، فإنّ الضمير يحاسبه على ما يراه من منكرات في مجتمعه أيضا، ولا تطاوعه نفسه أن ينظر إليها ويحيا فيها وهي في حالة من التخبط في الشهوات والانسياق وراء الغرائز، ولذلك كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لِتتَّحِدَ في ضمير الفرد كراهية النظر إلى المنكرات وعدم موافقته عليها بفطرته ومعرفته لحقيقتها. والأمر الشرعي بمحاربتها. قال تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال/25]، فالفتنة لن تصيب الذين ظلموا فقط بل تتعداهم إلى غيرهم جزاء القعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والشاهد هنا أنّ ضمير الفرد لم يُوجد لرقابة ذات صاحبه فقط، بل وُجِدَ أيضا لملاحظة المنكر في سلوك الناس وتوجيه النصح لهم، وهذا من باب التعاون على فعل الخير، فتكون النتائج بذلك أكثر إيجابية إذا تم التعاون والتناصح بين الضمائر على تجنب غوائل الغرائز والشهوات.فيتوجه الضمير بمحتوياته وقدراته إلى عدم السماح للنفس بالاستسلام للغرائز والخضوع لها، وكبح جماحها واندفاعها الساعي خلف كل لذة.

وخلاصة الكلام في هذه القوى التي تعمل على تنظيم الغرائز والتحكم فيها أنها جميعا لا تعمل كل واحدة على حدىً، بل هي تعمل وتَقْوَى فاعليتها في النفس إذا كانت جميعًا متحدة، فإنّ في ذلك قوة لها وثبات لا تزعزعه المتغيرات ولا المغريات، ولا المؤثرات الاجتماعية. فلا يمكن أن يكون الفرد في تنسك وعبادة وإتباع للدين في جميع أوامره ونواهيه. ما لم يكن ذلك عن علم ونضج عقل ودراية ووعي،والعملية عكسية. فلا يمكن للعقل أن(..يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس، والشرع كالبناء، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس)[1].

وأيضا فإنّ(من المسلمات العلمية، سواء في العلوم الشرعية أم في العلوم الوضعية منها، أنّ تكامل البناء الذاتي للإنسان لا يتكامل ولا يكتمل ولا يتحقق أصلاً إلا بالتقاء صفاء النفس وحكمة العقل، وإنما يتم ذلك بتوفر حقيقة الثقة بالنفس ووافر الإيمان)[2].

وعلامة ذلك أنَّا نجد في واقعنا الكثير من المتعلمين يقعون في مشكلات كبيرة مع غرائزهم، ولا يفيدهم

---

[1]: أبو القاسم بن الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحبة، بيروت، 1983هـ، ص:17.

[2]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، ص:185.

علمهم الذي تعلموه، حتى ولو كانوا علماء نفسانيين، ولو كانوا أطباء يَعْلَمُون خطر التمادي في تلبية حاجة الغريزة بعيدًا عن الوسطية والاعتدال. فبعض منهم يعمدون إلى تلبية غرائزهم في كل فرصة تحين لذلك، دون اعتبار للقيود العلمية التي تعلموها، والذي نلحظه في زماننا هو أنه كلما زاد التقدم العلمي كلما زاد الإغراق الشهواني، ذلك أنّ العلم قسمان: فرضي، وكفائي، وهذا الأخير لا يكفي لوحده دون العلم الديني، ولو كفى لنفع دول الغرب التي هي أكبر دول العالم تقدمًا، وأكبر مثال للانحراف الغريزي والإطلاق الشهواني. فالضابط في ذلك هو الدين الذي يلقي في نفس الفرد الخشية من الله والفقه بأحكام الأعمال والسلوكات من حلٍّ أوحُرمة.

وإذا كان العقل والعلم لا بدّ لهما أن يَتّحدَا مع الدين الصحيح كي يتوجها التوجه السليم ويُرشدا الإنسان إلى الفلاح في الدنيا والآخرة. فإنّ عليهما أيضا كي يكونا في قوة وصلابة أن يَتَزينَا بالإرادة القوية والضمير الحي الذي ينبه صاحبه على أخطائه وفق ما شرعه الله تعالى. والضمير والإرادة من جهتهما يحتاجان إلى مادة العقل والعلم، كي يصقُلاَ قوتهما، ويُصحِحَا المبادئ والأسس التي عليها يعملان ويُنَظِرانِ لأعمال صاحبهما ويكبحا ثورة الغريزة لديهما لأمور خاطئة. والدين في الأصل على رأس هذه العوامل جميعا، لما تضمنه من توجيهات وضوابط تعين هذه العوامل على العمل الصحيح، وتنظم لها نشاطها كله.

الفصل الثالث

البناء النبوي للتعامل مع الغرائز.

المبحث الأول: اهتمام السنة بالغرائز ووسطيتها في التعامل معها .

المبحث الثاني: مجالات البناء النبوي للتعامل مع الغرائز.

امتازت الرسالة المحمدية بالكمال والشمول لكل جوانب حياة الإنسان ومن ذلك أن كان البناء النبوي لمنهج التعامل مع الغرائز شامل ومتكامل لكافة الغرائز ولكل مظاهرها.

المبحث الأول: اهتمام السنة بالغرائز ووسطيتها في التعامل معها.

اهتمت السنة النبوية بالغرائز، وبيَّنت منهجها في التعامل معها بشكل واضح وبَيِّن. وتفصيله فيما يأتي:

المطلب الأول : اهتمام السنة بالغرائز .

إنّ السنة النبوية قد امتازت عمّن قبلها من الرسالات النبوية بالكمال والشمول لكل مناحي حياة الإنسان، فهي لم تهمل زاوية من زواياها صغيرة كانت أو كبيرة، ولم تترك جانبًا منها إلا ونصت فيه حكمًا، أو أرشدت فيه إلى سبيل ومنهج يُتعامل به فيه.

ولأنّ الغرائز هي محركات السلوك الإنساني، فقد كان لها اهتمامٌ بالغٌ من التوجيه النبوي، وعنايةٌ بشأنها. فالنبيﷺ وضَّح كيفية التعامل مع الغرائز. وأعطى لكل غريزة حظها من التوجيه والإرشاد.

والمنهج النبوي للغرائز هو منهج رباني يتوافق والطبيعة الإنسانية، ومع الفطرة التي فطره الله عليها، فهو منهج(مخطط مدروس، تُنَظَّم فيه الدوافع وتعدل بموجبه الغرائز، وتسير على هديه الحاجات، حتى تسمو بالفرد من مستوى الحيوانية الوضيع إلى مستوى الإنسانية السامي، و يكون في ذلك صلاح الدنيا والآخرة.)[1]. وهذا ما يسمى بـ:(التصعيد لأهواء الأنفس وشهواتها، بغية الارتقاء بها عن مستوى المتع واللذات العاجلة، إلى مستوى الخيرات والسعادات الآجلة. ولا يتم هذا ما لم تخضع النفوس للتدريبات الإيمانية الإسلامية...)[2].

وقد جاءت العديد من الأحاديث النبوية، تحثّ على عدم التسليم للغرائز والإذعان لطلباتها. وفي ذات الوقت تدعو إلى عدم إهمالها وكبتها فهي أساس بقاء النفس الإنسانية واستمرارها ومن ذلك:

عن عبد الله بن عمرورضي الله عنه قال:« **بلغ النبيﷺ أني أسردُ الصوم وأُصلِّي اللّيل فإما أرسل إليَّ وإما لقيتُه فقال: ألم أخبر أنَّك تصوم ولا تفطِرُ وتصلِّي. فصُم وأفطِر وقُم ونَم فإنَّ لعينِك عليك حظًّا وإنَّ لنفسك وأهلك عليك حظًّا** »[3]. وعُمومُ حديث النبيﷺ يوصل إلى ضرورة العدل في كل الأمـــــــور

---

[1]: معروف زريق: علم النفس الإسلامي، ص:174.

[2]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 782/1.

[3]: البخاري: الصحيح، الصوم، حق الأهل في الصوم، ح(1977)، 40/3.

وإعطائها حقها بالقسط، دون إسراف أو تقتير، وما زاد ابن عمر في حده وبالغ في تركه إنما هي غرائز.

عن المغيرةرضي الله عنه قال:« **قال سعد بن عُبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربتُه بالسَّيف غير مُصفح فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فقال: أتعجبون من غيرة سعد والله لأنَا أَغْيَر منه والله أَغْيَر مني ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشِّرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة** »[1].

ومن اهتمامهﷺ بالغرائز أن حذّر في أحاديث كثيرة من الوقوع في فتنة النفس و شهواتها واتباع غرائزها. فقد قالﷺ:« **المجاهد من جاهد نفسه** »[2]. ومعنى مجاهدة النفس:(أي قهر نفسه الأمارة بالسوء على ما فيه رضا الله من فعل الطاعة وتجنب المعصية، وجهادها أصل كل جهاد...)[3].

وعن أبي يعلى شداد بن أوسرضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال:« **الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله** »[4]. قال الترمذي:(ومعنى قوله من دان نفسه يقول حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة.)[5].

وصيغة البيعة التي كان رسول اللهﷺ يبايع بها الناس فيها ذكر منكرات تنجم عن غرائز منحرفة.

فعن عبادة بن الصامترضي الله عنه قال:« **بايعت رسول اللهﷺ في رهط فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور. ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له** »[6]. وتتجلى هـــــذه

---

[1]: البخاري: الصحيح، التوحيد، قول النبيﷺ لا شخص أغير من الله، ح(7416)، 123/9.

مسلم: الصحيح، اللعان، وجوب الاحداد في عدة، ح(1499)، 608/2.

[2]: الترمذي: السنن، فضائل الجهاد، ما جاء في فضل من مات مرابطًا، ح(1621)، 165/4.

أحمد: المسند، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري،ح(23951)، 375/39. وقال الترمذي:(حسن صحيح). وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(549)، 89/2.

[3]: المباركفوري: تحفة الأحوذي، 294/4.

[4]: الترمذي: السنن، صفة القيامة، منه، ح(2459)، 638/4.

ابن ماجه: السنن، الزهد، ذكر الموت والاستعداد، ح(4260)، 1423/2.

أحمد: المسند، حديث صفوان بن عسال المرادي،ح(17123)، 350/28.

الحاكم: المستدرك، الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، ح(191)،57/1. قال الترمذي:(حديث حسن). وقال الحاكم:(هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).وقال الألباني:(ضعيف)، ينظر:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة،ح(5319)،499/11.

[5]: الترمذي: السنن، 638/4.

[6]: البخاري: الصحيح، التوحيد، في المشيئة والإرادة، ح(7468)، 138/9.

الغرائز في:

- النهي عن الإشراك، وهو صورة لانحراف غريزة التدين عند الإنسان.

- النهي عن قتل الأولاد، وهو صورة لانحراف غريزة الوالدية، لأنّ عاطفة الوالدين تجاه الأبناء تمنع من فعل ذلك. وأيضًا فيه غريزة الأكل والشرب التي كان الأبناء يُقْتَلون خوفًا من عدم كفاية حاجتها، ويدخل في ذلك أيضا غريزة السيطرة عليهم.

عن عبد الله بن مسعودﷺ قال:« **سألت – أو سئل– رسول اللهﷺ أيُّ الذنب عند الله أكبر؟. قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك. قلت: ثمّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: أن تُزاني بحليلة جارك.قال: ونزلت هذه الآية تصديقا لقول رسول اللهﷺ** ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[الفرقان/68][1].

وقد روى سهل بن سعد الساعديﷺ عن رسول اللهﷺ قال:« **من توكَّل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلتُ له بالجنة** »[2]. وقد بوَّب عليه البخاري بقوله:"باب فضل من ترك الفواحش". وكأنّ ترك الفواحش عامةً يتعلق بضبط سلوك هذين العضوين. والوقوع في شهوتهما يعني الوقوع في الفواحش، وأنّ إتباع الشهوات والغرائز مدعاة للوقوع في الفواحش.

وعن أبي هريرةﷺ أنّ رسول اللهﷺ قال:« **حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره** »[3]. وفي رواية:« **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** »[4].(وقد اشتمل هذا البيان النبوي على قاعدة أساسية مرشدة للبصيرة...فإذا كان السلوك من الشهوات التي تلذّها الأنفس.كان ذلك مرجّحًا لجانب المنع على جانب الإباحة لأنّ النّار حُفّت بالشهوات. وإذا كان السلوك من الأمور الثقيلة على الأنفس المكروهة لها. لأنه يخالف هوى من أهوائها أو شهوة من شهواتها، كان ذلك مرجحًا لجانب الخير لأنّ. الجنة حُفّت بالمكاره.)[5].

قال ابن حجر في الشرح:(وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشَّهوات وإن مالت إليـــها

---

[1]: البخاري: الصحيح، التفسير، قوله تعالى:﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ﴾، ح(4761)، 109/6.
مسلم: الصحيح، الإيمان، كون الشرك أقبح الذنوب، ح(86)، 90/1.

[2]: البخاري: الصحيح، الحدود، فضل من ترك الفواحش، ح(6807)، 164/8.

[3]: البخاري: الصحيح، الرقاق، حجبت النار بالشهوات، ح(6487)، 102/8.

[4]: مسلم: الصحيح، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (دون باب)، ح(2822)، 2174/4.

[5]: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 79/1.

النُّفوس، والحضّ على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقَّ عليها...فإنّ المرادَ بِالمكاره هنا ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركًا كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً...والمراد بالشهوات ما يُستلذ من أمور الدنيا مما مَنع الشرع من تعاطيه إمّا بالأصالة وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات.)[1].

فالإذعان للغرائز والشهوات دون قيد هو ما حُفّت به النار، والمكاره تكمن في السيطرة عليها وتوجيهها بتوجيه الشرع. ولذلك كان لابدّ من الانصراف عن طلباتها المتزايدة إلى منهج الوسطية، وهذا ما تكرهه النفس وترغب عنه، فهي ترغب في كل عاجلٍ من اللذات، قال ابن حزم:(ليس بين الفضائل والرذائل ولا بين الطاعات والمعاصي إلاّ نفار النفس وأنسها فقط. فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقي من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطاعات.)[2] ، وقد قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة/24].

إنّ النبي ﷺ قد أرشد إلى أنّ الذي يتمسك بتعاليم الإسلام ينجو ويسلم من الضياع والانحراف، والذي يتبع نفسه هواها يهلك دونها في الدنيا والآخرة. ومن ذلك قوله ﷺ:« **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **أرأيتم لو أنّ نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يُبقي من درنه قالوا: لا يُبقي من درنه شيئا قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا** »[4]. فالنهر – الذي هو الصلاة – يفيد في إيقاظ المرء من حالة الذهول والغفلة

---

[1]: ابن حجر: فتح الباري، 389/11.

[2]:ابن حزم الظاهري: رسائل ابن حزم الأندلسي، ت:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان،ط1، 1980م، 339/1.

[3]: البخاري: الصحيح، الشركة، هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح(2493)، 139/3.

[4]: البخاري: الصحيح، مواقيت الصلاة، الصلوات الخمس كفارة، ح(528)، 112/1.

التي تصيبه عندما تتوغل أفكاره في الغرائز والملذات والرغبة في إصابتها للشعور بالرّاحة والسعادة.

والصلاة التي تذكّره بربّه كلّ يوم خمس مرات، تفعل فعل الماء في إيقاظ النائم إذا صُبَّ فوق رأسه، وأيضا في تطهيره من الدّنس وإزالة الخبائث عنه. فهي تفيد في تهذيب الغرائز وتصحيح سلوكها وإيقاظ المرء من غمرتها وإرجاعه إلى جادة الصواب.

وزاد النبيﷺ في أمر الغرائز أن أخبر بزمن تطغى فيه فتنتها، فتضعف في مقاومتها كثير من النفوس.

ومن ذلك عن حذيفة بن اليمانرضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول:« **تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأيُّ قلب أُشرِبها نُكت فيه نُكتَة سوداء. وأيُّ قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء. حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصَّفا. فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مربادا كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. إلا ما أشرب من هواه** »[1].

وفي حديث عن أبي هريرةرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ قال:« **بادروا بالأعمال فتنًا كقطع اللَّيل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا** »[2].

وعن أنسرضي الله عنه، قال:« **لأحدثنَّكم حديثاً سمعته من رسول اللهﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقلَّ الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد** »[3]. وشرب الخمر وظهور الزنا دلالة على غلبة غرائز حُرّة غير مُوجهة ولا منظمة.

وجاء في أحاديث كثيرة يُنظِرُ فيها أصحاب النفوس القوية في مقاومة الشهوات إلى نعيم ولذّات كثيرة، تدفعهم إلى ترك ما هو عاجل غير مباح في تغذية غرائزهم، للحصول على ما هو آجل من النعيم في الجنّة عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال:«**إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم. فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: يا ربّ وأيُّ شيء أفضل من ذلك فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا** »[4].

---

[1]: مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ح(144)، 128/1.

[2]: مسلم: الصحيح، الإيمان، الحث على المبادرة بالأعمال، ح(118)، 110/1.

[3]: البخاري: الصحيح، النكاح، يقل الرجال ويكثر النساء، ح(5231)، 37/7.
مسلم: الصحيح، العلم، رفع العلم وقبضه..، ح(2671)، 2056/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الرقاق، صفة الجنة والنار، ح(6549)، 114/8.
مسلم: الصحيح، الجنة وصفة نعيمها، إحلال الرضوان على أهل الجنة، ح(2829)، 2176/4.

وبذلك تنوع اهتمام السنة النبوية بالغرائز بين التوجيه والإرشاد، والتحذير من الوقوع في فتنتها والإخبار بما قد يؤول إليه حال الإنسان إذا استسلم لها، وأيضا بين الترغيب في نيل الكثير من الملاذ والمتع بالصبر وجهاد النفس. والترهيب من الاستعجال في طلبها قبل أوانها بطرق منحرفة وغير مشروعة.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام في التعامل مع الغرائز.

بالنظر إلى ارتباط كلمة وسطية بكلمة"وسط" لغويًا، نجدها تستعمل في معان عدة منها:

(- بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

- وتستعمل لما كان بين شَرَّين وهو خير.

- وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر...)[1].

ومن قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة/143]. قيل الوسطية هي:(مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم...)[2]. وليس هناك فرقٌ بين أن تكون الأمة الإسلامية التي ستقوم شاهدة على الأمم بالعدالة والخيرية، وبين ارتباط كلمة وسطية بـ"وسط"من الناحية اللغوية، ومعانيها الاصطلاحية، فهي أيضًا يراد بها: الخيار والأفضل والعدل، كما جاء في آخر تعريفٍ ذكرناه.

والإسلام قد امتاز بسلوك منهج الوسط في كل القضايا التي عالجها ومن ذلك موضوع الغرائز، ذلك أنّ الطبيعة التركيبية للإنسان لا يناسبها غير منهج الوسط وهو ما اختاره الإسلام لها. ذلك أنَّ الإنسان. (...يجمع في طبيعة تكوينه بين كل من صفات المادة وصفات الروح، بين صفات الحيوان وصفات الملائكة، بين الحاجات والدوافع البدنية الغريزية الضرورية لحياته وبقائه، والتي يشارك فيها الحيوان، والحاجات والدوافع الروحية الضرورية لارتقائه النفسي والروحي، ولتحقيق كماله الإنساني...)[3]. ولتحقيق هذا الكمال في النفس الإنسانية لا بدّ من حدوث التوازن فيها بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد.(هذا التوازن هو في الحقيقة سمة الكون كله الذي تتوازن فيه كل الأفلاك وكل الطاقات، لا تختل منها واحدة في

---

[1]: محمد علي الصَّلاَبي: الوسطية في القرآن الكريم، ص: 41

[2]: المرجع نفسه.

[3]:.محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، ص:249.

الكون على اتساعه. وهو كذلك سنة الإنسان الصالح الذي يفي بشروط الخلافة عن الله في الأرض. ويسير حسب منهج الله خالق الكون والإنسان.)[1].

ومنه فإنّ الإسلام يدعونا إلى سلوك منهج الوسطية في التعامل مع الغرائز، فلا نرخي لها حبل القيادة لتُوَجِّهنا حيث شاءت، ولا أن نعمل على قتل حاجاتها في نفوسنا وحبسها.

إنّ الشريعة الإسلامية تدعونا في تعاملنا مع غرائزنا إلى قمع[2] هذه الغرائز لا إلى كبتها[3].

(...فالقمع قد يعني عدم الاستجابة بصورة إرادية لدافع ما أو لرغبة ما ومقاومة إشباع هذه الرغبة، أي أنّه لا يعني إنكار هذه الرغبة على الإطلاق، بل عدم إشباعها آنيًا، وترك هذا الإشباع إلى ظروف أخرى أكثر ملائمةً...)[4].

وأمّا الكبت فهو:(...إنكار الدافع أو الرغبة، وذلك إما للشعور بحقارتها أو الخوف منها، ومحاولة إبعادها عن دائرة الوعي مما يؤدي إلى كبت هذه الرغبة وحبسها، وبالتالي إهمالها وطمرها، ولكن وجود هذه الرغبة ولو مطمورة في أعماق النفس، لا يعني أنها انتهت، بل هي تحاول أن تطفو...وقد يكون بطرق وحيل لا إرادية ممّا يسبب نشوء بعض الأعراض، أو حصول اضطرابات في السلوك...)[5].

والدين الإسلامي الذي يتماشى مع الفطرة ويحاكيها يُنكر تمامًا كبت الغرائز وطمرها. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف/31-32]. وقال ﷻ:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا

---

[1]:محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، ص:249. ينظر: محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص:436.

[2]: القَمْعُ:(مصدر قَمَعَ الرجلَ يَقْمَعُه قَمْعاً وأَقْمَعَه فانْقَمَعَ قَهَرَه وذَلَّله فذَلَّ...وقَمَعَه قَمْعاً رَدَعه وكَفَّه وأَقْمَعْتُهُ: طَلَعَ عَلَيَّ فَرَدَدْتُهُ، قال ابن السكيت: أَقْمَعْتُ الرجل عنِّي إِقْماعاً إذا طَلَعَ عليك فرددته عنك). ينظر: الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، مادة"قمع"، 27/1. الجوهري: الصحاح في اللغة،مادة"قمع"، 45/2. ابن منظور: لسان العرب، 294/8.

[3]: الكَبْتُ:(صَرْعُ الشَيْءِ على وَجْهِه، كَبَتَهم اللّهُ فانْكَبَتُوا...وفي التنزيل العزيز كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين من قبلهم وفيه أَو يَكْبِتَهُمْ فيَنْقَلِبُوا خائبين..). ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة"كبت"،76/2. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله: أساس البلاغة، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، مادة" كبت"،398/1. الصاحب ابن عباد: المحيط في اللغة، مادة" كبت"، 41/2.

[4]: سميح عاطف الزين: علم النفس: مجمع البيان الحديث، ص:134.

[5]: المرجع نفسه. ينظر: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 112/1.

كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[الإسراء/29]

إنَّ الذي يكبت شهواته ودوافعه الفطرية الضرورية في حياته منحرف عن منهج الوسطية والاعتدال الذي أمر به الله تعالى في كتابه وأمر به نبيهﷺ في سنته. ومثله الذي يستسلم لغرائزه ويسمح بسيطرتها عليه. فالأصل أنّ الأمر لا يحتمل الإفراط ولا التفريط. فإنّ الإسلام لم يذم حاجة الغرائز ولم يدعو إلى:(...إبطالها بالكلية، فإنّ من بطلت شهوته كان نقصًا في حقه، وإنّما المراد تصريفها فيما أبيح له باشتمالها على المصالح.ليكون الإنسان عبدًا متصرفًا طوع الأوامر الإلهية...)[1]. ومن ذلك مثلاً من الغرائز: الغضب. فهو:(لم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان، فإنّه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق، وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله. وإنّما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة، فإذا كان الغضب لذلك كان مذمومًا، وإذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحًا، وهو من شمائلهﷺ.)[2]. وهكذا مع سائر الغرائز. وقد وردت عن النبيﷺ أحاديث كثيرة تحكي منهج الوسطية في حياتهﷺ. ومن ذلك:

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال لي رسول اللهﷺ:« **يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم اللَّيل؟. فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صُم وأفطر وقُم ونَم، فإنَّ لجسدك عليك حقًّا وإنّ لعينك عليك حقًّا وإنّ لزوجك عليك حقّا وإنّ لزَورِك عليك حقًّا.وإنّ بحسبك أن تصوم كلَّ شهر ثلاثة أيام فإنّ لك بكلِّ حسنة عشر أمثالها فإنّ ذلك صيام الدَّهر كلِّه فشدَّدتُ فشُدِّدَ علي قلت: يا رسول الله إني أجدُ قوة. قال: فَصم صيام نبي الله داودعليه السلام ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داودعليه السلام قال: نصف الدهر. فكان عبد الله يقول بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبيﷺ** »[3].

فكان بذلك الذي يعبد الله ويشقى في رزقه وينظم حياته من جميع جوانبها دون إهمال لواحدة منها أفضل من الذي اعتكف لعبادة الله وحاد عن أمور دنياه، وفي ذلك تطبيق للوسطية والاعتدال التي بَنَى عليها الله تعالى شرعه لعباده.

وعن عائشة(رضي الله عنها) قالت:« **كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليَّ رسول اللهﷺ فقال: من هذه قلت: فلانة لا تنام باللَّيل فذكر من صلاتها. فقال: مَهْ عليكم ما تطيقون من الأعمال**

---

[1]: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص: 166.

[2]: المصدر نفسه.

[3]: البخاري: الصحيح، الصوم، حق الجسم في الصوم، ح(1975)، 39/3.

مسلم: الصحيح، الصيام، النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت، ح(1179)، 817/2.

فإنّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا »[1]. وبوب عليه البخاري بقوله:" باب: ما يكره من التشديد في العبادة ".

وعن أنس بن مالكﷺ قال:«**جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن عبادة النبيﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبيﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلِّي اللَّيل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول اللهﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلِّي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[2]. وهذا الحديث يُقرر منهج الوسطية في التعامل مع الغرائز بشكل واضح، وحيث أنّ هذه الغرائز المذكورة في الحديث هي من أكثر الغرائز فاعلية في الإنسان، فيُعممُ المقصد من خلالها على باقي الغرائز. والأصل في ذلك كله ما رواه أبو هريرةﷺ عن النبيﷺ قال:« **إنَّ الدّين يُسر ولن يشادّ الدّين أحد إلاّ غلبه فسدِّدُوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والرّوحَة وشيء من الدُّلجة** »[3].

قال الخطابي في معنى الحديث:(معناه الأمر بالاقتصاد في العبادة. أي لا تستوعبوا الأيام والليالي كلها بها بل اخلطوا طرف الليل بطرف النهار واجمعوا أنفسكم فيما بينهما لئلا ينقطع بكم)[4]. فالأصل أنّ يعمل الإنسان على الموازنة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، ذلك أنّ الإنسان يعجز عن تجاوز متطلبات الجسد من الشهوات والغرائز دائمًا وكبتها، والانصراف إلى العبادة المحضة.

وقال رسول اللهﷺ:«...**وفي بضع أحدكم صدقة.قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا** »[5].

وعن حَنْظَلَةَﷺ قال:« **كنَّا عند رسول اللهﷺ فوعظنا فذكر النار. قال: ثم جِئتُ إلى البيت فضاحكتُ الصِّبيان ولاعبت المرأة. قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسول اللهﷺ فقلت يا رسول الله: نافق حنظلة. فقال: مَهْ فحدَّثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال: يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلّم عليكم في الطُّرق** »[6].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الجمعة، ما يكره من التشديد في العبادة، ح(1151)، 54/2.

[2]: البخاري: الصحيح، النكاح، الترغيب في النكاح، ح(5063)، 2/7.

[3]: البخاري:الصحيح، الإيمان، باب:الدين يسر، ح(39)، 16/1.

[4]: بدر الدين العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،دار الفكر، 239/1.

[5]: مسلم: الصحيح، الزكاة، بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح(1006)، 697/2.

[6]: مسلم: الصحيح، التوبة، فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ح(2750)، 2107/4.

وخلاصة القول أنّ المنهج النبوي منهج رباني يتوافق وطبيعة الإنسان في تكوينه وفطرته، وهو أيضًا منهج واقعي في تعامله مع الغرائز، يعتمد على الوسطية والاعتدال بعيدًا عن المغالاة بالإفراط أو التفريط.

المطلب الثالث: التكامل البنائي النبوي في التعامل مع الغرائز.

البناء التربوي في الإنسان لا يتعلق بجانب واحد فقط، فالإنسان جسد وروح، وتتكاتف في تكوين شخصيته على نهجٍ سوي وسلوك قويم كل الجوانب والمجالات.

والبناء التربوي الإسلامي يتميز في كونه ذا:(طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والإنسانية، وفق معيار الاعتدال والاتزان، فلا إفراط في جانب دون غيره ولا تفريط..)[1]. و(تتميز معايير اختيار محتوى التربية الإسلامية بالسمات التالية: الإيمان، العلم، العمل، الخُلق، الاجتماع. فهي تربية إيمانية،علمية، عملية، خُلُقية، اجتماعية..)[2]. وهذا ما يتميز به التشريع الإسلامي على غرار التشريعات الأخرى الباطلة، ولا على غرار الدساتير البشرية التي تدَّعي الدفاع عن حقوق الإنسان ورعاية الطفولة وغيرها. فالحقّ:(أنّه لا يوجد نظام اهتم بتربية الإنسان تربية مادية وروحية وعلمية وعقائدية مثل الشريعة الإسلامية، فقد اهتمت به قبل الولادة وبعدها...)[3].

والإسلام في اهتمامه بهذه المجالات من حياة الإنسان، يعمل على تنظيم الطاقات الحيوية المتعلقة بها من غرائز وميول وأمور مفطور عليها (وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة.)[4].

وإضافة إلى أنّ الشريعة الإسلامية قدّمت توضيحات متكاملة للأسس التي تهم الإنسان في حياته الدينية والدنيوية،وأعطت للبشرية مثالاً وقدوةً واقعية يمكنهم من خلالها رؤية التطبيق الصحيح لهذه الأسس، وكل هذه الصفات للقدوة الإسلامية الحقَّة وغيرها مجتمعة في شخصهﷺ، فهو الذي قال فيه الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب/21]. وما دام المنهج النبوي بهذا التكامل البنائي لشخصية الإنسان ودوافعه الفطرية، فينبغي تتبع أحوال هذا البناء واستخلاص جوانبه القيّمة.

---

[1]: سيما راتب عدنان أبو رموز: تربية الطفل في الإسلام، ص:13.

[2]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص: 48.

[3]: محمد حسن أبو يحي: أهداف التشريع الإسلامي، ط1، دار الفرقان، عمان-الأردن، 1405هـ-1985م، ص:550.

[4]: سيما راتب عدنان: المرجع السابق.

المبحث الثاني: البناء النبوي في التعامل مع الغرائز.

مسّ البناء النبوي للغرائز كل المجالات التي تحيط بالفرد، ومنها:

المطلب الأول: البناء العقدي.

يطلق على هذا الجانب من التربية بالبناء العقدي، أو الإيماني، أو الروحاني. ويراد بها جانب واحد. فالبناء العقدي: من العقيدة، وهي:(اسم لما اعتُقِد في القلب من الدين، وتحقيق الأمر...)[1].

ويقال:(اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنةٌ سالمةٌ من الشك...)[2].

والبناء الإيماني من الإيمان، وهو:(...مصدر آمَنَ يُؤمِنُ إيمانًا، فهو مُؤْمِنٌ...فذلك الإيمانُ الذي يقال للموصوف به هو مؤمنٌ مسلمٌ، وهو المؤمنُ بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاكٍ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه...)[3].

وأمّا الروحاني: فهو من الروح. قال سيبويه:(حكى أبو عبيدة أنّ العرب تقوله لكل شيء كان فيه روح من الناس والدواب والجن..والجمع روحانيون.وتأويل الروح أنّه ما به حياة النفس...وفي الحديث: « **تحابوا بذكر الله وروحه** »[4]. أراد ما يحيا به الخلق ويهتدون فيكون حياة لكم.)[5]. وما يحيا به الإنسان هو وجود العقيدة الصحيحة في قلبه، المتبوعة بعبادة الله الخالصة، وهذه هي حقيقة الحياة المرجوة من وجود الإنسان وعمارته للأرض.

وعليه فإنَّ هذه الكلمات هي مرادفات. تصبّ في مُرادٍ واحدٍ، وهو الإيمان بالله ربّ العالمين.

والذي يُراد من التربية الإيمانية هو:(...ربط الولد بأصول الإيمان وتعويده أركان الإسلام وتعليمه مبادئ الشريعة الإسلامية، وتهذيب غرائز الناشئة، وتوجيه سلوكهم على أساس القيم والمبادئ، والمثل الأخلاقية التي

---

[1]: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة"بصر"، 198/10.

[2]: أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، 421/2.

[3]: ابن منظور: لسان العرب المحيط، 108/1.

[4]: أبو داود: السنن، البيوع، في الرهن، ح(3529)، 311/3.

النسائي: السنن الكبرى،كسوف الشمس والقمر،قوله:"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم"،ح(11172)،362/6. وعندهما بلفظ: «..هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال..». قال الألباني:(صحيح لغيره)، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(3026)،93/3.

[5]: ابن منظور: المصدر السابق، دار صادر، 455/2.

تُستمد من الإيمان الصحيح...وهي تعني حماية جانب الإيمان مما يشوه جوهره. ويسبب مرض صاحبه.)[1].

والعقيدة الصحيحة مفطورٌ عليها الناس جميعاً، موجودة في كيان كل فرد، لا يحتاج للبحث عنها خارج تكوينه الداخلي، إنما يحتاج للحفاظ عليها وسلامتها من الشوائب العقدية والانحرافات الفكرية والعملية. قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم/30].

وعن أبي هريرةﷺ أنّه كان يقول: قال رسول اللهﷺ:« **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانِه ويُنصِّرانِه أو يُمجِّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** ». ثم يقول أبو هريرة: واقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[الروم/30][2] ومعنى" إلا يولد على الفطرة"، أي:(على الملَّة الإسلامية والفطرة الحنيفية التي هي التوحيد وفيه القابلية للدين الحق فلو ترك وطبعه لما اختار دينًا غيره)[3].

فالإنسان بذلك يولد مفطور على عبادة الله وطاعته والخضوع لأوامره ، وإنما قد ينحرف بسبب عدة عوامل كاتباع الهوى والشيطان أو تقليد دين الآباء، وذلك كله يكون بسبب القصور الفكري وتغييب دور العقل.(...لأنّ هذا الدين حسنه موجود في النفوس، وإنما يُعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد كقوله تعالى:﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾.)[4][البقرة/16].

قال أبو حامد الغزالي:(واعلم أنّ الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور و أوكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهرُ جوهرةٌ نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّدَ الخير وعُلِّمَهُ نشأ عليه...وإن عُوِّدَ الشرّ وأُهْمِلَ إهمال البهائم شقي وهلك...)[5].

---

[1]: حنان بنت عطية الطوري الجهني: الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة،19/1.

[2]: البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات، ح(1358)، 95/2.

مسلم: الصحيح، القدر، معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح(2658)، 2047/4.

[3]: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمِيّ العَلوي الهرري الشافعي: شرح صحيح مسلم: المسمى الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار المنهاج- دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، 1430هـ- 2009م، 556/24.

[4]: بدر الدين العيني: عمدة القاري،177/8.

[5]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 64/3.

وهذه الفطرة التي هي جوهرة الاستخلاف والوجود الإنساني لا يكون لها أي أهمية إن لم تترجم إلى عمل. أي إلى عبادة، لقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات/56].

ورغم أنّ الإنسانية جمعاء مفطورة على الإيمان بالله إلا أنّه لا يُبنى عليه ثواب أو عقاب، وإنّما العبرة بالإيمان المكتسب بالعقل والإرادة والمتبوع بالعمل[1]. ولذلك لابدّ من التربية العقدية، ولا بدّ من تصحيح السلوك اعتمادًا عليها.

كتب العالم النفساني:" هنري لنك" قائلاً:(أخذت مثل هذه الحوادث التي سأروي بعضها..تدفعني خطوة إلى أخرى حتى اقتنعت تماما بأنّ كل مكتشفات علم النفس لتقويم الشخصية، والوصول إلى سعادة النفس ورضاها.تنتهي إلى التمسك بالحقائق الدينية العقيدية والتعلق بها)[2]. وهذا تصريح على لسانه بأهمية العقيدة لاستقامة حياة الإنسان سواءٌ كانت هذه العقيدة التي يقصدها بقوله هي عقائدهم الباطلة أم عقيدة التوحيد.

والتربية العقدية هي أول بناء ينبغي أن يؤسس في شخصية الناشئ وهي أساس كل بناء، قال ابن القيّم :(فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله وتوحيده.)[3]. قالﷻ يصف تعليم الأنبياء أصول العقيدة لأبنائهم:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقر/132].

وعن جندب بن عبد اللهرضي الله عنه قال:« **كنا مع النبيﷺ ونحن فتيان حزاورة**[4] **فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا.**»[5]. وهذه المنهجية في التعلم أصل منهج الدعوة الإسلامية التي قام بها محمدﷺ. إذ كان الأمر أولاً يقتضي دعوتهم إلى أصول العقيدة الإسلامية وترسيخ

---

[1]: ينظر: محمد الأمين الهرري: شرح صحيح مسلم، 558/24. ينظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. 177/8.

[2]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس، ص: 185.

[3]: ابن القيم الجوزية: تحفة المودود، ص:195.

[4]: حَزَاوِرَة: هو جمع حَزْوَر وحَزوَّر، وهو المراهق. يقال حزور إذا قارب أن يبلغ... ينظر:محمود بن عمرو الزمخشيري: الفائق في غريب الحديث والأثر،ت: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2،بيروت،دار المعرفة،90/1. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: غريب الحديث، ت: عبد الجبوري، ط1، بغداد، مطبعة العاني،1397هـ، 367/2. ابن منظور: لسان العرب،مادة"حزر"، 185/4.

[5]: ابن ماجه: السنن، المقدمة، في الإيمان، ح(61)، 23/1. جاء في مصباح الزجاجة:(هذا إسناد صحيح رجاله ثقات)، 12/1. وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: صحيح ابن ماجه، ح(61)، 25/1.

قلوبهم عليها، ودحض كافة الاعتقادات الباطلة التي كانت لديهم، ثم بعد ذلك يأتي التشريع للأحكام الفقهية والأخلاقية كمرحلة ثانية. وذلك أنّ المرحلة الثانية مبنية على الأولى، وقوة الثانية مرهونة بقوة الأولى. ومن ذلك أن اللهﷻ في كثير من الآيات القرآنية يجعل الأمر أو النهي مسبوق بـ:"ياأيها الذين آمنوا" (...للدلالة على أنّ من مقتضيات الإيمان بالله تعالى ترك تلك المحرمات التي هي بؤر الفساد الخلقي..)[1]. أو الانصياع للأوامر التي فيها تمام الخير للإنسان.

يقول عبد الله بن مسعودﷺ:« **إذا سمعت الله تعالى يقول:"ياأيها الذين آمنوا". فارعُهَا سمعك، فإنّه خيرٌ يأمر به، أو شرٌ ينهى عنه** »[2]. ومن مقتضيات الإيمان حسن العمل، ومن حسن العمل تصحيح السلوك وتقويمه، والسمو بالأخلاق والغرائز التي تحرك السلوك.ولذلك كان بين الإيمان والأخلاق رباطٌ قَويم. كما قالﷺ:« **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا** »[3]. فصريح الحديث ينص على أنّ:(...كامل الخلق هو كامل الإيمان، وسيء الخُلق ناقصه، فدلَّ على أنَّ علاقة الأخلاق بالإيمان علاقة تلازم..لا يكمل أحدهما حتى يكمل الآخر)[4]، وبضعف أحدهما يضعف الآخر.

فإذا كان إيمان الفرد قويًّا تمكن به من مواجهة الانحرافات والمغريات ووضع الشهوات والتحكم في الغرائز. ولذلك نجد في التربية النبوية اهتمامًا كبيراً بالعقيدة الصحيحة وترسيخها في النفوس.

ومما يبرز أهمية التربية العقدية، واعتناء النبيﷺ بها ما كان من حدث أهل الطائف عندما دعاهم للإيمان فأبو وآذوهﷺ. فعرض عليه ملك الجبال أن يُطْبِقَ عليهم الأخشبين، فقالﷺ:« **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا** »[5].

---

[1]: أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدَّاد: أخلاق النبيﷺ في القرآن والسنة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ-1999م، 83/1.

[2]: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: تفسير بن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، 196/1.

[3]: أبو داود: السنن، السنة، الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه،ح(4684)،354/4.

الترمذي: السنن، الرضاع، ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح(1162)، 466/3.

النسائي: السنن الكبرى، مواقيت الصلاة، لطف الرجل أهله، ح(9109)، 364/5.

الحاكم: المستدرك، الإيمان، أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، ح(1)، 03/1. قال الترمذي:(هذا حديث حسن صحيح)، وقال الحاكم:(هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم).

[4]: أحمد بن عبد العزيز الحدَّاد: المرجع السابق، 85/1.

[5]: البخاري: الصحيح، بدء الخلق، ذكر الملائكة، ح(3231)، 115/4.

مسلم: الصحيح، الجهاد والسير، ما لقي النبيﷺ، ح(1795)،1420/3.

وعن أنسﷺ قال:« **كان غلام يهودي يخدم النبيﷺ فمرض فأتاه النبيﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسمﷺ فأسلم. فخرج النبيﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار.**»[1].

ورُويَ عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:« **يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولْيَنْتَه.**»[2].

وعن ابن عباسﷺ قال:« **كنت خلف رسول اللهﷺ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفّت الصحف**»[3]. وحفظ الله يتمثل في التزام شرعه وعدم عصيانه فيما أمر به ونهى عنه. ففي ذلك جلب للخيرات وبُعد عن المضار التي من بينها الإفراط في تغذية الغرائز أو التفريط فيها، وهو يحث على قوة الصلة الدائمة بالله تعالى لمنع الوقوع في المحظورات. فيدعونا إلى ملازمة الذكر وحسن التوكل على الله ومناجاته والإنابة إليه في كل أمرٍ.

ومن ذلك ما رواه البراء بن عازبﷺ عن النبيﷺ قال:« **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقِّك الأيمن ثمَّ قل: اللَّهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّك الذي أرسلت. فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة. واجعلهن آخر ما تتكلم به. قال: فرددتها على النبيﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك. قال: لا ونبيِّك الذي أرسلت** »[4]. ففي الحديث حث على تجديد الإيمان والصلة بالله بما يُردده المؤمن من الذكر.

والحديث عن التوحيد يعني الحديث على استقامة الفرد، فمجرد ذكر الله ﷻ عند محاولة الإقدام علـى

---

[1]: البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات...، ح(1356)، 94/2.

[2]: البخاري: الصحيح، بدء الخلق، صفة إبليس وجنوده، ح(3276)، 123/4.

مسلم: الصحيح، الإيمان، الوسوسة في الإيمان...، ح(134)، 120/1.

[3]: الترمذي: السنن، صفة القيامة، منه، ح(2516)، 667/4.

أحمد: المسند، بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2669)، 409/4.

الحاكم: المستدرك، معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب،ح(6303)،541/3. قال الترمذي:(هذا حديث حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي،ح(2516)، 16/6، ينظر أيضا: مشكاة المصابيح، ح(5302)، 149/3

[4]: البخاري: الصحيح، الغسل، فضل من بات على الوضوء،ح(247)، 58/1.

مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء والتوبة، ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ح(2710)، 2081/4.

المحرَّم أو تلبية غريزة جانحة بعيدًا عن الضوابط الشرعية. وبذكر الجنة وما أعدَّ فيها من نعيم وملاذ مذلّلة، أو ذكر الموت أو النار وعذابها ونحوه، فإنّ ذلك يكون له رادعًا يمنعه عن المواصلة في السعي نحو شهوته.

في كثير من الحالات تصحو النفس من سكرتها، وتقلع من حينها عن ارتكاب المنكر. لذلك كان من (طريقة الإسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلةً دائمةً بينها وبين الله في كل لحظة وكل عملٍ وكل فكرةٍ وكل شعور)[1]، و(التقرب إلى الله بالعبادة والذكر يُحدث في الإنسان حالة من الصفاء والشفافية ويُحرِّر طاقته الروحية من القيود البدنية والمادية...)[2].

والطاقة الروحية هي أكبر محرك في جسم الإنسان، فإن مَنَع نفسه الوقوع في المنكر فَلِقُوَّتِهَا، وإن وقع فيها فلضعفها. وهذا الأمر الذي يفسره حديث النبيﷺ. في قوله:« **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهِب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن** »[3].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أيضًا عن النبيﷺ قال:« **إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان** »[4].

فهذه الأحاديث تنفي الإيمان على مرتكب هذه الجرائم. وتقرر أنّ الذي يأتي بها لا يكون مؤمنًا. ولكن هل هذا النفي هو نفيٌ مُطلقٌ للإيمان أم نفيٌ لكماله؟.

قال الإمام النووي:(...القول الصحيح الذي قاله المحققون أنّ معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله...)[5]. فكما الإيمان يقوي المؤمن ويمنعه من مخالطة المنكرات، وضعفه يمنعه عن الامتناع عنها.

وقال ابن بطّال في شرحه:(فإنّ التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان من كمال إيمانه، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقصانها ينقص...فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان،

---

[1]: محمد قطب: منهج التربية النبوية، 42/1. ينظر: علي أحمد مدكور: منهج التربية الإسلامية: أصوله وتطبيقاته، ص:216.

[2]: عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، ص:308.

[3]: البخاري: الصحيح، المظالم والغصب، النهبى بغير إذن صاحبه، ح(2475)، 136/3.

مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ح(57)،76/1.

[4]: الترمذي: السنن، الإيمان عن رسول الله، ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، ح(2625)، 15/5.

الحاكم: المستدرك، الإيمان، وأما حديث معمر،ح(56)، 22/1. قال الحاكم:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا برواته وله شاهد على شرط مسلم).

[5]: النووي: شرح صحيح مسلم،203/1.

ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً...)[1]. ونقل النووي عن القاضي عياض قوله:(أشار بعض العلماء إلى أنّ ما في الحديث تنبيه على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها: فنبّه بالزنا على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام، وبالخمر على جميع ما يصدّ عن الله تعالى ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالانتهاب الموصوف عن الاستخفاف بعباد الله تعالى..وجمع الدنيا من غير وجهها)[2].

ولذلك فتربية الإيمان وتقويته في قلب المؤمن أمر مهم جدًا في حياة الإنسان لتقويم سلوكه. وقد عني الصحابةﷺ بذلك عناية فائقة، أخذاً من المدرسة القدوة، رسول اللهﷺ.

فعن حنظلة الأُسَيِّديﷺ قال:« **لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت نافق حنظلة قال: سبحان الله ما تقول قال: قلت نكون عند رسول اللهﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول اللهﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال: أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول اللهﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول اللهﷺ:"وما ذاك" قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول اللهﷺ:"والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات** »[3]. فهي ساعة يكون فيها الإيمان قوياً كأنما يرى به الجنة والنار. وساعة تعتري المؤمن يضعف فيها إيمانه فيجترئ على ارتكاب الفواحش والمنكرات.

وعليه فإنّه لابدّ من تربية النشء وتربية النفس عامة على الإيمان الصحيح القوي، للحفاظ على الفطرة، وتفعيلها بالعمل الصالح فتستقيم حياة الفرد في الدنيا والآخرة.

ومن أبرز وسائل التربية الإيمانية التي تحدث عنها المربون –عمومًا–:

1- ترسيخ محبة الله تعالى في قلوب النشء: والمراد بذلك هو أن:(تُفضي المحبة إليه وتتعلقَ به وحده فلا يحجبها شيء دونه،...فحينئذ يتصل الذكر به ويتصل العمل بأوامره ونواهيه فيفعل الطاعة لأنه أُمِرَ بها وأَحبَّها، ويترك المناهي لكونه نُهِيَ عنها وأبغضها.)[4]. فمحبة الله تعالى هي تعلق القلب بالذات الإلهية

---

[1]: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 56/1.

[2]: النووي: المصدر السابق، 255/1.

[3]: مسلم: الصحيح، التوبة، فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ح(2750)، 2106/4.

[4]: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف "بابن قيم الجوزية": الفوائد، ت: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، 1423هـ-2002م، ص:277.

الخالقة المدبرة والمسيرة لشؤون الكون. التي امتزجت فيها صفات الرحمة مع الجبروت. والمحبة تقتضي الإتباع والانقياد للأوامر والنواهي واجتناب المنكرات في السر والعلن، كما قالﷻ: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[آل عمران/31].

عن زيد بن أسلم قال:(**مرَّ ابن عمر براعي غنمٍ، فقال:يا راعي الغنم هل من جزرةٍ؟.قال الرَّاعِي: ليس ها هنا رَبُّها، فقال ابن عمر:تقول: أكلها الذِّئبُ، فرفع الرَّاعي رأسهُ إلى السَّماء، ثمَّ قال: فأينَ اللهُ؟ قال ابن عمر:فأنا والله أحقُّ أن أقولَ: فأين اللهُ؟. فاشترى ابن عمر الرَّاعي واشترى الغنم، فأعتقهُ وأعطاهُ الغنم.**)[1]. ومما جاء عنهﷺ من أحاديث تبرز أهمية الحب لله تعالى واستشعار وجوده في كل حين، ما رُوي عن أبي هريرةرضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال:« **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللهَ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** »[2].

ولننظر بالذات إلى حالة الرجل الذي دعته المرأة لنفسها مع توفر كل شروط الخفاء والسرية عن الناس لتلبية شهوة الغريزة الجنسية. إلا أنّه قمع جماح نفسه وتذكّر الله وخاف من عقابه فامتنع.

فالنبيﷺ يضرب بهذه النماذج أمثلة يَعِظ بها النفوس الضعيفة التي قد تنهارُ عند أبسط وأول ابتلاء غريزي تواجهه، ويرجع الأمر كله إلى قوة الصلة بالله، فهو حصن المسلم المنيع من كل المغريات والانحرافات. ولذلك كان حب اللهﷻ هو خلاصة المعرفة به، وهو:(...من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله و أَجَلِّ قواعده، بل هو أصل كل عملٍ من أعمال الإيمان والدين...)[3].

2- محبة النبي الكريمﷺ: ومحبة رسول اللهﷺ فرع من محبة الله تعالى، فلا بدَّ من زرع محبتهﷺ في قلوب النشء منذ الصغر.كي يشبَّ الأطفال على الاقتداء به والعمل بما جاء به.

---

[1]: الطبراني: المعجم الكبير، ح(13054)، 263/12.

الهيثمي: مجمع الزوائد، المناقب، ما جاء في عبد الله بن عمر، ح(15866)، 577/9.

[2]: البخاري: الصحيح، الآذان، من جلس ينتظر الصلاة، ح(660)،133/1.

مسلم: الصحيح، الزكاة، فضل إخفاء الصدقة، ح(1031)، 715/2.

[3]: أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، 48/10.

عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسولﷺ قال:« **فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده** »[1]. قال النووي:(فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة بالسوء والمطمئنة فإنّ من رجح جانب المطمئنة كان حب النبيعليه السلام راجحًا ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس.)[2].

وإذا كانت محبة النبيﷺ مطلوبةً، وفرع من حب الله تعالى وطاعته، وأمر لا بدّ منه في نفس المؤمن، فإنّ هذه المحبة لا تُطلب لذاتها فقط فتظل حبيسة الجوف الصدري، بل تُطلب ليحصل بها الاقتداء بهﷺ. فمحبة النبيﷺ هي:(..إرادة فعل طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام..)[3].

قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/21]. ومن ذلك الاقتداء به في منهج تعامله مع الغرائز بأنواعها وطريقته في تلبية رغباتها وتوجيه مسارها.

عن أنس بن مالكرضي الله عنه قال:« **جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن عبادة النبيﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبيﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر قال أحدهم: أما أنا فإني أصلّي اللّيل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول اللهﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلّي وأرقُد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[4]. فكل واحدٍ أراد كبت غريزة من الغرائز. فالأول كان حاله مع غريزة النوم، والثاني مع غريزة الأكل والشرب، والثالث مع الغريزة الجنسية. وهذا مخالف لمنهجهﷺ الذي وضحه لهم بعد ذلك.

3- الحث على التأمل في الكون: أي (تدريب الناشئين على طريقة التأمل في مخلوقات الله وعلى ذكر الله كلما رأوا آية أو شعروا بنعمة من نعم الله على خلقه)[5]. فالتأمل مما يُقوي صلة العبد بربه ويَرفع من إيمانه ويُفرج عن نفسه، ويُحدث في النفس طمأنينةً وسكينةً وتوازنًا، والنظر في المخلوقات بتدبر يُدرك من خلاله النَّاظرُ سُنن الكون،والهدف من تنوع الموجودات من الأطعمة والأشربة، والهدف من التزاوج، والنوم،

---

[1]: البخاري: الصحيح، الإيمان، حب الرسولﷺ من الإيمان، ح(13)، 12/1.

[2]: ابن حجر: فتح الباري، 82/1.

[3]: العيني: عمدة القاري، 144/1.

[4]: البخاري: الصحيح، النكاح، الترغيب في النكاح، ح(5063)، 2/7.

مسلم: الصحيح، النكاح، استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، ح(1401)،1020/2.

[5]: مقداد يالجن: أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ص: 76. ينظر: محمد علي مدكور: منهج التربية الإسلامية: أصوله وتطبيقاته، ص:216.

والغضب وغيرها.وإذا نظر الإنسان حول نفسه وجدها محاطةً بما ينبغي لها التأمل فيه، والاشتغال به بدل التفكر في الملذات والشهوات وطرق تلبيتها وتحصيلها.

وعملية التدبر في الكون أمر محبذ لكل نفس خاصةً إذا امتزج بالخلوة عن الناس. من خلاله قد تستقيم كثير من الأنفس المنحرفة الضالة عن دينها،وتراجع النفس طلباتها وحاجاتها لتعرضها على ميزان الاعتدال

والوسائل تتنوع وتختلف، وكل منها يجدي وينفع في الفرد بحسب طبيعة شخصية وقوة إيمانه. وعليه فإنّ التربية الإيمانية مهمة وضرورية في إعداد النشء الصالح ليشب على مراقبة الله وطاعته وحبه والخوف منه، وليبني له داخل نفسه رادعًا قويًا يقيه من ارتكاب المحرمات، ويمكنه من السيطرة على غرائزه.

المطلب الثاني: البناء العبادي.

قال ابن تيمية في معنى العبادة:(العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه،من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له)[1]. والعبادة هي الوظيفة التي من أجلها خلق الله الإنسان لقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[النازعات/56].

وللعبادة دور كبير في ربط الإنسان بخالقه من حين لآخر لتحقيق تربيةٍ إيمانيةٍ وأخلاقيةٍ متواصلةٍ في الفرد المسلم. وعلى هذا المعنى تكون العبادة واسعة جدًا.

(إنّ الإسلام يوسع معنى العبادة حتى تشمل كلّ الحياة، كلّ عمل يتوجه به الإنسان إلى الله فهو عبادة. وكل عمل يتركه الإنسان تقربا لله واحتسابًا فهو عبادة، وكل شعور نظيفٍ في باطن النفس فهو عبادة، وكل امتناع عن شعورٍ هابطٍ من أجل مرضاة الله فهو عبادة...ومن ثم تشمل العبادة الحياة. ويصبح الإنسان عابدًا لله حيثما توجه إلى الله.)[2].

وإذا كانت العبادة بكل هذا الشمول فهي بذلك ذات أهمية كبرى في حياة المسلم ليس فقط من حيث طلب مرضاته لربّه واستجابة لأوامره، وإنّما أيضا من حيث تربيته لنفسه وحفاظه عليها. ناهيك على أنّ

---

[1]: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 149/10.

[2]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 67/1.

العبادة بجميع أشكالها ووجوهها إنّما تؤدي رغبة إحدى الغرائز المكنونة في النفس البشرية وهي غريزة التدين، فلا بدّ من إله يؤمن به، ولا بدّ من عبادة يُتقرّب بها إليه.(...وهذا المفهوم المتكامل للتربية الفعالة سبقت به السنة النبوية المطهرة النظريات والفلسفات التربوية في العصر الحديث.)[1]. فتميَّز بذلك التشريع الإسلامي على سائر التشريعات البشرية والديانات المحرفة والمنحرفة التي تترك العبادة للرغبة الذاتية.

إنّ التشريع الإسلامي يعمل على ربط العبد بخالقه في كل وقت وحين من خلال اعتبار كل عمل يرضاه الله تعالى عبادة يتقرب بها إليه. فالتأمل في الكون والسياحة عبادة، والعمل والتعلم والرياضة عبادة، وحب الخير عبادة وهكذا كل عمل خيِّر فهو عبادة في الإسلام.

والعبادة بهذا المفهوم الإسلامي الشامل لم تحض بهذا القدر من الزمن في شمولها لكل ما يفعله الإنسان ويصدر منه لمجرد التنسك والاتصال الروحاني بالله تعالى وفقط،(...وليس معناها أن تستولي التقوى على قلبه في السجود والركوع، فإذا ختم صلاته هبت في نفسه نوازع الطمع والجشع والعدوان...)[2].

إنّما القصد من هذا التعميم هو أن تقوى صلة العبد بربه فيستقيم سلوكه ويشتغل بها عن الملهيات والانحرافات والملذات المحرمة.(...ولهذا كانت هذه العبادة عاملاً مهمًا من عوامل تزكية الأخلاق كما يدل على ذلك تعليل كثير من جزئياتها كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها بأمور أخلاقية تكون إحدى ثمار تلك العبادات.)[3].

وتفسير الصلة بين العبادة والإصلاح الأخلاقي في النفس:(...أنّ الله تعالى خلق الإنسان من قبضة الطين ثم نفخ فيه الروح، فاجتمعت فيه قوى وغرائز متعددة. منها ما هو روحي يدفعه إلى السمو والارتقاء. ومنها ما هو مادي يدفعه إلى الأرض والتراب والطين كالشهوة والغضب والطمع ونحوها. أمّا الأمور التعبدية فإنها تقهر الغرائز المادية الشهوانية والشيطانية، وتعزز الغرائز الروحية الملائكية في النفس البشرية فيصبح المرء ذا أخلاق عالية.)[4].

ولذلك فلحظات العبادة هي محطات للمراجعة الذاتية وتهدئة النفس الثائرة نحو مطالبها وهي لحظات يكبت فيها المؤمن ثورة غريزته وهو أمام جلالهﷻ وعظمته وحكمته، فينخفض كل انفعال غريزي ويعود

---

[1]: الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص:215.

[2]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية 37/1.

[3]: المرجع نفسه، 241/1.

[4]: المرجع نفسه .

لمستواه الطبيعي السوي من شهوة غضبية أو مادية أو جنسية أو غيرها. فتكون العبادة وكأنّها الميزان الذي يعرض عليه المؤمن رغباته الغريزية ليقبل ما هو مطلوب منها ويرفض ما زاد عن حدّه. ولذلك نجد النبيﷺ يحث على العبادة ويعلمها الصبيان ويرشد إليها السائلين وأصحاب الحاجات ويوصي بضرورة الاستعانة بها في أمور الدنيا. فعن أبي هريرةرضي الله عنه:« **أنّ أعرابيًّا أتى النبيﷺ فقال: دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا.فلما ولَّى قال النبيﷺ: من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** »[1].

وأركان العبادة الكبرى من الصلاة والزكاة والصوم والحج، إلى جانب الشهادتين التي تمثل المرتكز الأساسي لعميلة العبادة، كل واحدةٍ منها تؤدي دورًا مهمًا في تصحيح السلوك وتنظيم الغرائز داخل النفس. وقد تم بسط الكلام عن البناء العقدي الذي تمثله أساسًا الشهادتان. وهاهنا كلام عن بقية الأركان ومدى تأثيرها في الغرائز.

– **الصلاة:** الصلاة التي تربط العبد بربه خمس مرات في اليوم والليلة تعد:(من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة ودفع مفاسد الدنيا والآخرة. وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلب، ومَطْرَدة للداء عن الجسد، ومنوِّرةٌ للقلب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس...وجالبة للرزق ...وقامعة لأخلاط الشهوات..)[2]. وذلك مصداقًا لقوله تعالى:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت/45]. والآية صريحة في أنّ الصلاة تؤدي دورًا مهمًا في إبعاد المسلم عن ارتكاب الفواحش. قال القرطبي في معنى الآية:(...إنّ الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر،وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة والصلاة وتشغل كل بدن المصلي..صلحت لذلك نفسه وتذلّلت وخامرها ارتقاب الله، وظهرت على جوارحه هيبتها...)[3].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الزكاة، وجوب الزكاة، ح(1397)، 105/2.

مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، ح(14)، 44/1.

[2]: ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، ت: محمد تامر – محمد السعيد، ط1، دار الفجر، القاهرة، 1424هـ –2003م، ص:158.

[3]: القرطبي: الجامع لحكام القرآن، 348/13.

وقد أمر النبيﷺ بتعليمها الصبيان وحضّ عليها لفضائلها العظيمة، ولكي يعتادوها منذ الصغر فتنغرس في نفوسهم أصولها وآدابها، وتصبح لديهم عادة لا يستطيعون فراقها. قال رسول اللهﷺ:« **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** »[1].

وعن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال:« **بِتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبيﷺ وكان النبيﷺ عندها في ليلتها فصلّى النبيﷺ العشاء ثم جاء إلى منزله فصلّى أربع ركعات، ثم نام ثم قام، ثم قال: نام الغُلَيِّم أو كلمة تشبهها، ثم قام، فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلّى خمس ركعات ثم صلّى ركعتين ثمّ نام، حتى سمعت غطيطه أو خطيطه، ثم خرج إلى الصلاة** »[2].

وكان النبيﷺ يأذن بحضور الأطفال إلى المسجد ويحبب فيه. فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: « **خرجت مع النبيﷺ يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهنّ وأمرهنّ بالصدقة** »[3].

وعن أبي مسعود الأنصاريرضي الله عنه قال:« **أنّ رجلا قال: والله يا رسول الله إني لأتأخَّر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول اللهﷺ في موعظة أشدَ غضبا منه يومئذ ثم قال: إنّ منكم مُنفِّرين فأيُّكم ما صلّى بالناس فليتجوّز فإنّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة** »[4]. وفيه دليل على حضور جميع فئات المجتمع إلى الصلاة. وهذا ما يربو على فوائد عدة تعود على نفس الفرد والمجتمع.

وأمر النبيﷺ بتعليم الصبيان والغلمان الصلاة قبل سنّ التكليف بزمن كافي ليتعوّدوا عليها. ووصيتهﷺ بها موافقة لوصية لقمان الحكيم لابنه، في قوله تعالى على لسانه:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

---

[1]: أبو داود: السنن، الصلاة، متى يؤمر الغلام بالصلاة، ح(495)، 185/1.

أحمد: المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(6689)، 284/11.

الحاكم: المستدرك، الصلاة، أما حديث الثوري، ح(708)، 197/1. قال الترمذي:(حسن صحيح وعليه العمل عند بعض أهل العلم). وقال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(10807)، 1081/1.

[2]: البخاري: الصحيح، العلم، السمر في العلم، ح(117)، 34/1.

مسلم: الصحيح، صلاة المسافرين وقصرها، الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح(763)، 528/1.

[3]: البخاري: الصحيح، العيدين، خروج الصبيان إلى المصلى، ح(975)، 21/2.

مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى، ح(884)،409/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الآذان، تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع،ح(702)،142/1.

مسلم: الصحيح، الصلاة، أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ح(466)، 340/1.

وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[لقمان /17].

ومن المنهج النبوي في العبادة والاستعانة بها في أمور الحياة. أنهﷺ كلما حزبه أمرٌ واعترضته مشكلة لجأ إلى الصلاة. فعن حذيفة. قال:« **كان النبيﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ صلّى.**»[1]. أي إذا (نزل به أمر مهمٌ أو أصابه غمٌ، وروي بالنون من الحزن.)[2]. فينبغي الاقتداء بالنبيﷺ في العودة للصلاة للتفريج على النفس وطلب راحتها، فعلى المسلم أن يلجأ للصلاة في كل ما يصيبه من مشكلة أو هم أو ضيق نفس.

وأيضا على المسلم أن يلجأ للصلاة إذا ما أصابته فتنه من نفس. نحو لذة ما، وعَلَتْ شهوتُها عليه وسيطرت على إرادته وعقله وعملت إحدى غرائزه على جرّه لتلبية لذتها في الحين، دون انتظار أو صبر ولو بطرق غير شرعية. فهي تستعجله لتحقيق الاستفراغ الشهواني ونيل مرادها. فعليه حين ذلك أن يفزع للصلاة ويلجأ إليها ليطفئ نار شهوته بالوضوء والصلاة وذكر الله، كما كان النبيﷺ يفعل لما تؤديه من دور في النهي عن المنكر والتذكير بالله تعالى والخوف منهﷻ، وإحداث التوازن في النفس، وخفضٍ من حرارة الغريزة، وإيقاظ للعقل والضمير، وتجديد للإرادة على طاعة الله تعالى. ففي الصلاة (..انعتاق كلي. وطلاقٍ-ولو ظرفي- لهموم الحياة ومشكلاتها، وانصراف تام إلى نورانية تبعث في النفس هدوءًا...)[3]. قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾[البقرة/45]. ولذلك كان لابدّ من تعويد الأطفال على الصلاة، ليتعلموها ويتعلقوا بها، فيصونوا أنفسهم من الزلات الغريزية وغيرها.

فأحياناً تكون النفس ثائرةً ثورةَ غريزة غضبية عدوانية، أو غريزة جنسية أو أكولة، أو نوَّامَة مفرطة في طلبها، والذي يقمع ذلك كلّه وينظمه هو الصلاة.

فبفعل الوضوء الذي يطفئ نار الشهوة التي هي أكبر أسلحة إبليس المخلوق من النار، ثم الإقبال على الصلاة بقلب يستعد للقاء ربّه، فإنّ ذلك كفيل بعودة المسلم إلى طبيعة نفسه السوية ولو بعض الوقت إلى حين وقت صلاة تالية. ومن ذلك ما رُوي عن أبي هريرةرضي الله عنه: أنه سمع رسول اللهﷺ يقول:« **أرأيتُم لو أنّ نهراً بابِ أحدكم يَغتسلُ فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يُبقي من دَرَنه ؟ قالوا: لا يُبقـــي من درنه**

---

[1]: أبو داود: السنن، الصلاة، وقت قيام النبيﷺ، ح(1321)، 507/1.

أحمد: المسند، باقي مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان، ح(23299)،330/38. قال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(8832)، 884/1.

[2]: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سن أبي داود، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ح(1124)،268/3

3: سميح عاطف الزين: علم النفس مجمع البيان الحديث، ص:297.

شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحُو الله به الخطايا.»[1].

وهكذا يكون المسلم في حصن حصين من الشهوات وثورة الغرائز قِوامُ هذا الحصن هو الصلاة، وهذا من حكمة الله تعالى في فرض الصلوات الخمس بهذا التوزيع الدقيق والحكيم لأوقاتها.

– **الزكاة:** والزكاة كما الصلاة تصل العبد بربّه وتقوي علاقته به، وتذكّره به وبواجبه نحوه مرةً في السنة.فتملأ بأدائها القلب رضا وسرورا، وتمده بطاقة إيمانية تدفعه إلى مزيد من القرب من ربهﷻ.

وهي أيضا تعلمه مجاهدة النفس لإخراج المال وعدم احتكاره من جهة، ومن جهة أخرى تنبهه إلى قيمة المال الحقيقية ودوره الأساسي والأصلي في الحياة والذي من أجله جعله الله تعالى في يد بني آدم. فالمال لم يخلق لأجل الاحتكار والتجميع، واختزانه في الصناديق والمخابئ والبنوك، وإنّما جاء لتغطية حاجات الفرد المادية، وتحقيق أغراض نفسية إنسانية من نحو الهدية والهبة والزكاة والصدقة، ولتحصيل الحسنات والحط من السيئات.

والزكاة نوع من العبادة التي فرضها الله تعالى للتغلب على إحدى الغرائز التي تجول في النفس وهي غريزة التملك والكسب. قال تعالى:﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾[آل عمران/14]. ولذلك كان لا بدّ من تنظيم سلوك الغريزة وفق المنهج الإسلامي بالزكاة، والندب للصدقة والوقف والهبة والهدية، والتحفيز على التنافس فيها لكسب الدرجات العلا يوم القيامة، وأيضا لترقية نفس الإنسان عن الانحطاط والخضوع لعبودية المادة.

عن أنسرضي الله عنه أنّه قال:« **أتى رجل من بني تميم رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أُنفقُ وكيف أصنع فقال رسول اللهﷺ تُخرج الزّكاة من مالك فإنها طُهرَة تُطهِّرك وتَصل أقرباءك وتعرف حقَّ السّائل والجار والمسكين..»**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال:« **كان تاجر يداين الناس فإذا رأى مُعسرًا قال لفتيانه تجاوزُوا**

---

[1]: البخاري: الصحيح، مواقيت الصلاة، الصلوات الخمس كفارة، ح(528)، 112/1.

مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، ح(667)، 462/1.

[2]: أحمد: المسند، مسند انس بن مالك، ح(12394)، 386/19.

الحاكم: المستدرك، التفسير، ومن تفسير سورة بني إسرائيل، ح(3374)، 361/2. وقال:(صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)

عنه لعلّ الله أن يتجاوز عنَّا فتجاوز الله عنه »[1].

ومن فتن يوم القيامة التي أنبأ عنها النبيﷺ فتنة المال وكثرته، وهو من فتن الشهوات، كما حدث مع قارون الذي ظلّ مثلاً يُضربُ في تكديس المال إلاّ أنّه عندما أراد له الله الزوال زال دون أيّمَا فائدة تعود على صاحبه. فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يَقبلُها منه وحتى تعود أرض العرب مُروجًا وأنهارًا** »[2].

هذا هو منهج النبيﷺ حيث أنه مات ولم يورث مالاً ولا متاعًا، بل مات ودرعه مرهونة، وكانﷺ إذا ما سُئل شيئًا ماديًا أعطاه دون تردد، إلاّ أن يمسك قصد تعليم صاحب السؤال الكسب والسعي في طلب الرزق. ومن ذلك أيضا تقسيمهﷺ للغنائم على أصحابها وعلى قدر نصيب كل فئة أو فرد.

عن أنس بن مالكرضي الله عنه قال:« **أتي النبيﷺ بمال من البحرين فقال: انْثرُوه في المسجد وكان أكثر مال أُتي به رسول اللهﷺ فخرج رسول اللهﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه. فما كان يرى أحدا إلا أعطاه. إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله: أعطني فإنّي فَادَيتُ نفسي وفَادَيتُ عَقِيلا فقال له رسول اللهﷺ: خُذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يُقلُّه فلم يستطع فقال: يا رسول الله اؤمُر بعضهم يرفعه إليَّ قال: لا. قال: فارفعه أنت عليَّ. قال: لا فنثر منه ثم ذهب يُقلُّه. فقال يا رسول الله: اؤمُر بعضهم يرفعه عليَّ قال: لا. قال: فارفعه أنت عليَّ. قال: لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول اللهﷺ يُتبِعُه بصره حتى خفي علينا عجبًا من حرصه فما قام رسول اللهﷺ وثم منها درهمٌ** »[3].

وفي ذلك كله تعليم للناس أنّ المال أُنزِل لقضاء الحاجات والمصالح. ولم يُخلق للجمع والتكديس. وإن كانت النفس البشرية قد فُتنت بحبه وجُعلت فيها غريزة جمعه وتملكه.

قال ابن حجر في الفتح:(...وفي هذا الحديث بيان كرم النبيﷺ وعدم التفاته إلى المال قلَّ أو كَثُر، وأنّ الإمام ينبغي له أن يفرق مال المصالح في مستحقيها...)[4]. وعليه فإنّ في الدين الإسلامي حكمًا جليلة في

---

[1]: البخاري: الصحيح، البيوع، من انظر معسرا، ح(2078)، 58/3.

[2]: البخاري: الصحيح، الزكاة، الصدقة قبل الرد، ح(1412)، 108/2.

مسلم: الصحيح، الزكاة، الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(157)، 701/2.

[3]: البخاري: الصحيح، الصلاة، القسمة وتعليق القنو في المسجد، ح(421)، 91/1.

[4]: ابن حجر: فتح الباري، 669/1.

تشريع أحكام المال، وفي منهج النبيﷺ وصور حياته أسلوبٌ حكيمٌ في تهذيب هذه الغريزة والتعامل معها.

– **الصّوم**:إنّ الصّوم الذي هو فريضة من الفرائض وركن من الأركان لا يعني فقط الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وإنّما يراد به أيضا:(..الإمساك أو الامتناع عن كل فعل حرام وعن كل قول مكروه)[1]

وللصيام بهذا المفهوم فوائد عديدة تخص الغرائز، فالصيام ظاهرًا يهتم بتهذيب غريزتين مهمتين في الإنسان وهي شهوة البطن– الأكل والشرب– وشهوة الجنس، فيعمل على التخفيف من حدتهما وقطع تعلق القلب بهما، وتصحيح سلوك النفس معهما ففي الصيام عموما (...تدريب على السيطرة على الدوافع والانفعالات، وتقوية الإرادة في مغالبة أهواء النفس وشهواتها)[2].

قالﷺ:« **الصيام جُنَّة فلا يرفُث ولا يجهل وإن امرُؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها** »[3]. ومعنى "جُنَّة" أي مانع، فالصيام مانع من المعاصي ومانع من الوقوع في حبائل الشهوات. ولذلك حثّ النبيﷺ ودعا إلى التنفل فيه. زيادةً للخير وصيانةً للنفس. وبيّن فضائله ومكانة الصائم عند الله تعالى.

ففي حديث قدسي عن أبي هريرةرضي الله عنه قالﷺ:« **قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرفُث ولا يَصخَب فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل إنّي امرُؤ صائم. والذي نفس محمّدٍ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربّه فرح بصومه** »[4].

ويستحب تعويد الصبيان على الصيام كي يكبروا عليه وتعتاده نفوسهم. وهذا منهج النبيﷺ في الصلاة والصيام وسائر العبادات. عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: أرسل رسول اللهﷺ إلى قرى الأنصار التي حول المدينة:« **من كان أصبح صائما فليتمّ صومه، ومن كان أصبح مفطراً، فليتمّ بقية يومه. فكنّا بعد**

---

[1]: سميح عاطف الزين: علم النفس الإسلامي مجمع البيان الحديث، ص:300.

[2]: محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحديث النبوي، ص:320.

[3]: البخاري: الصحيح، الصوم، فضل الصوم، ح(1894)، 24/3.
مسلم: الصحيح، الصيام، فضل الصوم، ح(1151)، 806/2.

[4]: البخاري: الصحيح، الصوم، هل يقول إني صائم...، ح(1904)، 26/3.
مسلم: الصحيح، الصيام، فضل الصيام، ح(1151)، 807/2.

ذلك نصومه. ونُصوِّم صبياننا الصغار منهم، إن شاء الله. ونذهب إلى المسجد. فنجعل لهم اللعبة من العهن. فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إيّاه عند الإفطار.»[1]. وهذا كفيل بتعود الصبيان على مفارقة الطعام والصبر عليه.

وعن أنسﷺ قال:« **قال لي رسول اللهﷺ وذلك في السحر يا أنس إني أريد الصيام فأطعمني شيئا. قال: فجئته بتمر وإناء فيه ماء بعد ما أذن بلال فقال: يا أنس انظر إنسانا يأكل معي قال: فدعوت زيد بن ثابت فقال: يا رسول الله إني شربت شربة سويق وأنا أريد الصيام.قال رسول اللهﷺ وأنا أريد الصيام فتسحّر معه وصلّى ركعتين ثم خرج فأقيمت الصلاة** »[2]. وفي هذا الحديث الكثير من الفوائد فيما يخص غريزة الأكل والشرب.

فأولها: أنّ النبيﷺ لم يشترط نوع الطعام الذي يريد أكله ولم يتشهي فيه، وإنما طلب طعامًا يلبي حاجته من السحور. و**ثانيها:** أنّه أراد قسمة هذا الطعام بينه وبين غيره ليقضي على شحّ النفس الأمارة بالاستيلاء على الأشياء. وإن كان هذا بعيداً عن شخصهﷺ فإنّه يريد تعليم ذلك للناس. وليحث على تعويض كميته ببركته عن طريق قسمته، والاكتفاء بالقدر الذي يسد الحاجة. **وثالثها:** تعليم أنس خادمه أهمية صيام النافلة وآدابه، والرغبة عن التشهي في الطعام، ولذة المشاركة فيه.

وروي عن عمرﷺ أنه قال:« **لنشوانٍ في رمضان ويلك وصبياننا صيام فضربه** »[3].

والصيام يطفئ نار الغرائز وبالذات الغريزة الجنسية كما سبق ذكره، فقد جعله النبيﷺ حلاً يلجأ إليه الشباب غير القادر على توفير مُؤْنة الزواج.

عن عبد الرحمن بن يزيد قال:« **دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنَا مع النبيﷺ شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول اللهﷺ: يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء** »[4]. أي أن الصيام يقطـــع

---

[1]: البخاري: الصحيح، الصوم، صوم الصبيان، ح(1960)، 37/3.

مسلم: الصحيح، الصيام، من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه، ح(1136)، 798/2.

[2]: النسائي: السنن الكبرى، السحور بالسويق والتمر، ح(2167)،147/4.

أحمد: المسند، مسند انس بن مالك، ح(13033)، 334/20.

[3]: البخاري: الصحيح، الصوم، صوم الصبيان، 37/3.

[4]: البخاري: الصحيح، النكاح، قول النبيﷺ من استطاع منكم الباءة، ح(5065)، 3/7.

مسلم: الصحيح، النكاح، استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح(1400)، 1018/2.

الرغبة في النكاح ويخفف حدّة الرغبة فيه، ويمنع الشهوة من الاستيلاء عليه.

ومن هدي السنة العملية أنّ النبيﷺ كان يُكثر من صيام النافلة فله في الأسبوع صوم الإثنين والخميس، وله في الشهر ثلاثة أيام، وله في السَّنة مواقف عديدة، من يوم عاشوراء وعرفة والسِّت من شوال وغيرها، ومعلوم أنّ ثورة إحدى الغريزتين –الجنسية والأكل والشرب– يولد ثورة الأخرى فإحداهما تتبع الأخرى، فلذلك كان لابد من إطفاء هذه الثورة كي لاتجر إلى ارتكاب محرم بالصيام الذي هو جُنَّة لكليهما.

– الحج: رغم أنّ الحج إلى بيت الله الحرام وأداء مناسكه قد لا يحصل للفرد المسلم إلاّ مرة في العمر، وقد لا يحصل له ذلك ما دام متعلقًا بالاستطاعة، إلاّ أنّه ورغم ذلك لا يمكن إغفال دوره لمن وصل إليه أو سمع أخباره وعلم عنه.

والحج كالصلاة والصوم يمنع أثناء القيام بمناسكه من مقارفة المنكرات وإتيان الفواحش، بل وحتى التلفظ بما لا يليق من الألفاظ لقوله تعالى:﴿ **ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[البقرة/197]. ومعنى قوله تعالى:"فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج"، قيل:(الرفث هنا ذكر الجماع ودواعيه إما إطلاقاً وإما في حضرة النساء. والجدال:المناقشة والمشادّة حتى يُغضب الرجل صاحبه. والفسوق: إتيان المعاصي كبرت أم صغرت. والنهي عنها ينتهي إلى ترك كل ما يُنافي حالة التحرج والتجرد لله في هذه الفترة، والارتفاع على دواعي الأرض، والرياضة الروحية على التعلق بالله دون سواه، والتأدب الواجب في بيته الحرام لمن قصد إليه متجرداً حتى من مخيط الثياب.)[1]. إلى جانب أنّ(هذا النهي فيه كبح للشهوات، وضبط للمشاعر...وهو يطهر النفس ويهذبها ويعودها السلوك القويم.)[2]. فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: سمعت النبيَّﷺ يقول:« **من حجَّ لله فلم يَرفُث ولم يَفسُق رجع كيوم وَلدَتهُ أمُّه** »[3]. أي يعود إلى فطرته السليمة كيوم وُلد، بعيدًا عن نوازع النفس وشهواتها.

وعنهرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ قال:« **قال العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما والحجّ المبرُور ليس له جـزاء**

---

[1]: سيد قطب: في ظلال القرآن، 172/1.

[2]: سميح عاطف الزين: علم النفس مجمع البيان الحديث، ص:307.

[3]: البخاري: الصحيح، الحج، فضل الحج المبرور، ح(1521)، 133/2.

مسلم: الصحيح، الحج، في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(1350)، 983/2.

إلا الجنّة »[1]. فهذه الأحاديث تنص على فضل الحج في تصحيح السلوك والتنقية من الآثام.

ورُوي أنّ النبيﷺ كان يُجيز الحج للصبيان وحضور مناسكه وأداء أعماله. وذلك كسائر العبادات الأخرى التي يرجى فيها التدريب المبكر. عن ابن عباس(رضي الله عنهما):« **أنّ النبيﷺ لقي رَكبًا بالرَّوحَاء فقال: من القوم؟. قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله. فرفعت إليه امرأة صبيا فقالت: ألهذا حجّ ؟ قال: نعم ولك أجر** »[2].

والصبي إذا ما حضر مناسك الحجّ يعظم في نفسه مايراه ويكبر فيه أنّه حجّ صغيرًا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ كثيرا من الأطفال يقررون توجههم في الحياة وهم لا يزالون صبيانًا أو غلمانًا تحت سنّ التكليف وعليه تمتزج رغباته مع عبادته المبكرة لله تعالى لتعطي طموحًا يتوافق مع الشرع الإسلامي، وبذلك تكون العبادة منذ الصغر قد أنتجت مسلمًا صالحًا مؤمنًا قويًا، قادرًا على مواجهة التحديات والمغريات والملذات.

والحجّ(...يجمع مشتقات العبادات كلها، فهو عبادة قلبية وبدنية ومالية، وبالإضافة إلى أنّه يجمع لذتها جميعا، فإذا حجّ الصبي فهذه علامة وبشارةٌ على سلوك الطاعة والعبادة للهﷻ في المستقبل عند بلوغه وتكليفه)[3].

وخلاصة الأمر أنّ العبادة بجميع وجوهها من أركان الإسلام والتأمل وارتياد المساجد، والدعاء والذكر والاستغفار، فجميعها تدفع النفس للاستقامة وتبعث فيها سكينة وراحة فضلا عن كونها قربة لله تعالى، وهي أيضا تُبعد المسلم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، ولذلك هي جميعها تحتاج إلى تدريب وممارسة مبكرة كي يعتادها الطفل فيشب عليها، وقد سرت في عروقه تعاليمها، لا يستطيع فراقها أبدًا.

المطلب الثالث: البناء الخلقي.

الخُلُقُ بضم اللام وسكونها معناه في اللغة:(الدِّين والطبْع والسجية وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة وهي نفْسه، وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها.)[4].

وقال القرطبي في تفسيره:(وحقيقة الخلق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى

---

[1]: البخاري: الصحيح، الحج، وجوب العمرة وفضلها، ح(1773)، 2/3.

مسلم: الصحيح، الحج، في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(1349)، 983/2.

[2]: مسلم: الصحيح، الحج، صحة حج الصبي وأجر من حج به، ح(1336)، 974/2.

[3]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص:199.

[4]: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة"خلق"، 85/10.

خلقا، لأنّه يصير كالخلقة فيه وأمّا ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم (بالكسر): السجية والطبيعة،... فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي.)[1]. وهو كلام يوافق ما ذكرناه في الفصل الأول عن مفهوم الغريزة وتداخل استعمالها مع الأخلاق. فالقرطبي جعل الخلق يُكتسب بقوله " طبع متكلف". والطبري –كما سبق بيانه[2]– يرى أن الخلق منه ما هو سجية وطبيعة، ومنه ما يكتسب بالتخلق.

فيكون في النفس استعداد وقابلية للتخلق بفعل الفطرة والغريزة، والإنسان مفطور في طبيعته على حسن الخلق، فيستطيع تمييز الخير والشر بفعل الفطرة. فعن أبي الحوراء السعدي، قال:قلتُ للحسين بن علي رضي الله عنه : ما حفظت من رسول اللهﷺ؟. قال: حفظت منه:« **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإنّ الصّدق طمأنينة وإنّ الكذب ريبة** »[3]. واللهﷻ خلق النفس البشرية:(...قابلة للخير والشر، وأنشأ الجوارح قادرة عليهما، وجعل من الفطرة دليلاً يهدي إلى الخير والفضيلة، ومن بعثة الرسولﷺ دعوة إلى تزكية النفس واستقامة الجوارح..)[4]. قال تعالى:﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا** ﴾[الشمس/7-8].

وإضافة للفطرة التي يمكن للإنسان الاحتكام إليها. بعث الله تعالى نبيًا قدوةً للعالمين، قال تعالى:﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[الأحزاب/21].

وقد مدحه اللهﷻ في خلقه فقال:﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[القلم /04]. وعن نفسهﷺ قال:« **بعثت لأتمم صالح الأخلاق** »[5].

---

[1]: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ- 1964م، 227/18

[2]: ينظر، ص: 04.

[3]: الترمذي: السنن، صفة القيامة، منه، ح(2518)، 668/4.

النسائي: السنن، الحث على ترك الشبهات، ح(5711)، 327/8.

أحمد: المسند، حديث الحسن بن علي بن أبي طالب، ح(1723)، 249/3.

الحاكم: المستدرك، البيوع، ح(2169)،13/2. وقال الترمذي:(حسن صحيح). وقال الحاكم:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

[4]: أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي: المسؤولية الخلقية والجزاء عليها: دراسة مقارنة، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1417هـ-1997م، ص:335.

[5]: مالك: الموطأ، حسن الخلق، ما جاء في حسن الخلق، ح(1627)، ص:560.

أحمد: المسند، مسند أبي هريرة، ح(4221)، 137/18.

الحاكم: المستدرك،ح(8952)، 512/14. أخرجه البخاري: الأدب المفرد،ح(273)، 104/1. وقال:(حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(45)، 112/1.

والرسالة المحمدية باعتبارها خاتمة الرسالات هي التي:(أحاطت حياة الإنسان كلها بالأمر الإلهي الذي يحقق مصلحة الإنسان، ويقيم نفسه على الفضيلة، وسلوكه على الاستقامة، ويرسم له طرقًا متعددة تدعوا إلى فعل الخير والإحسان إلى الآخرين،ويسلك به في سبيل ذلك مسلكا تربويًا يقوم على أمرين)[1]

(**الأول**: بناء هذا الخلق في النفس ودعوة الجوارح إلى العمل الصالح، وذلك منذ النشأة، ومتابعته بالمراقبة والمحاسبة. **الآخر**: وقاية النفس من الرذائل مهما صغرت، وحفظ المجتمع من أضرارها.)[2].

والأخلاق التي تصدر من الإنسان على ثلاثة ضروب. فقد تكون قولية، أو فعلية، أو تقريرية. والإسلام قد حث عليها جميعًا ودعا إلى التحلي بها في عدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ففي أخلاق اللسان قالﷺ لمعاذ بن جبلرضي الله عنه:«..**كُف عليك هذا. فقلت:يا نبي الله وإنّا لَمُؤَاخذُون بما نتكلّم به!. فقال: ثَكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** »[3]. وقالﷺ:« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[4].

وقالﷺ في حفظ اللسان أيضا:« **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** »[5].

وفي مقابل اللسان حث الإسلام على الأفعال الأخلاقية الحسنة ودعا إلى ترك القبيح منها. قال تعالى: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[الحج/77]. وقال أيضا:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل/90]. وهذه الآية جمعت بين الأمر بالفعل الحسن، وبين النهي عن الفعل القبيح.

وقد تكون الأخلاق تقريرية، بمعنى أن يُقِرَّ الفرد بالقول أو بالفعل على قبول سلوك أو رفضه. ومن ذلك قولهﷺ :« **من رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك**

---

[1]: أحمد عبد العزيز الحليبي: : المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ص: 336.

[2]: المرجع نفسه.

[3]: الترمذي: السنن، الإيمان، حرمة الصلاة، ح(2616)، 11/5.

ابن ماجه: السنن، الفتن، كف اللسان في الفتنة، ح(3963)، 469/11.

أحمد: المسند، حديث معاذ بن جبل،ح(22016)،345/36. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة،ح(1122)،114/3

[4]: البخاري: الصحيح، الأدب، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ح(6018)، 11/8.

مسلم: الصحيح، الإيمان، الحث على إكرام الجار والضيف، ح(48)، 50/1.

[5]: البخاري: الصحيح، الحدود، حفظ اللسان ...،ح(6474)، 100/8.

أضعف الإيمان »[1].

وعليه فإنّ أغلب ما دعا إليه الإسلام يندرج في بابها من ناحية أو من أخرى. وكل موضوع يؤدي إليها في نقطة ما، وكل عمل من أعمال بني آدم إمّا أنّه يقويها و يزيد فيها، وإمّا أنّه يضعفها وينقص منها، وأنّ الأخلاق:(هي الدعامة الأساسية لحفظ كيان الأمة، لذا ترى الباحثين من الفلاسفة والعلماء قد اتفقت كلمتهم على لزومها للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، فكما أنّ الفضيلة ترفع من شأن صاحبها، فالرذيلة تحط من شأنها. وبالأخلاق تتم الإنسانية، وتعرج من حضيض البهيمة إلى ذرى الرتب الملكية...)[2].

وتعد التربية الخلقية من أهم مجالات التربية التي يرتكز عليها تكوين المسلم الصالح، البعيد عن فعل المنكرات والفواحش. والغرض منها في الإسلام:(...تكوين رجال كريمي الأخلاق، أقوياء العزيمة...نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم،...فَرُوح التربية الإسلامية هي التربية الخلقية. ولقد أجمع فلاسفة التربية الإسلامية على أنّ الغرض الخلقي الذي يجب أن يرمي إليه المربي هو الغرض الحقيقي من التربية..)[3]. ولأنّ الأخلاق مرتبطة إلى حدٍّ كبير بالغرائز، نجد في كثيرٍ من الأحاديث النبوية دعوة إلى التسامي بها.

فعن أبي الدرداءرضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال:« **ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء** »[4]. وعن أبي ذررضي الله عنه قال: قال لي رسول اللهﷺ:« **اتّق الله حيثما كُنت وأتبع السيِّئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخُلُق حسن** »[5].

وعن مسروق قال: كنَّا جلوسًا مع عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يحدثنا إذ قال:« **لم يَكن النبيﷺ فاحشا ولا مُتفحِّشاً وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً** »[6].

---

[1]: مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ح(49)، 69/1.

[2]: أحمد زكي تفاحة: الإسلام عقيدة وشريعة، ص:27.

[3]: محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص:105.

[4]: أبو داود: السنن، الأدب، في حسن الخلق، ح(4799)، 523/4.
الترمذي: السنن، البر والصلة والأدب، ما جاء في حسن الخلق، ح(2002)، 362/4.قال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(10569)، 1057/1.

[5]: الترمذي: السنن، البر والصلة والأدب، ما جاء في معاشرة الناس، ح(1987)، 355/4.
أحمد: المسند، حديث أبي ذر الغفاري، ح(21354)، 284/35. قال الترمذي:(حديث حسن صحيح)، وقال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(97)، 10/1.

[6]: البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبيﷺ، ح(3559)، 189/4.
مسلم: الصحيح، كثرة حيائه ﷺ، ح(2321)، 1810/4.

ولأهمية التربية الخلقية فقد دعا النبيﷺ إلى زرع معالمها في نفس الطفل وتنشئته عليها(...منذ فجر نشأته الأولى وتعمقها في نفسه. وترسخها في وجدانه، وتُنمّي شخصيته وتَصقلها وفق معاييرها وقواعدها حتى يصبح ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات وسلوك ومواقف واتجاهات مطابقًا لمعايير الأخلاق المحمودة وترجمانًا حيًا لمعانيها السامية)[1].

والتربية الخلقية دقيقةٌ جدًا، فلو أهمل الطفل في تربيته من زاوية معينة وخلق ما، طُبِع ذلك الخلق في نفسه وبات من الصعب تقويمه، وهذا الكلام يعيدنا إلى أهمية التربية الأسرية التي منها يبدأ كل مجال من مجالات التربية.

ويؤكد على أهمية التربية الخلقية في الصغر ابن القيّم في قوله:(ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حردٍ وغضبٍ ولجاج وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته لا بد يومًا ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها.)[2].

ومما ورد عن النبيﷺ في شأن التربية الخلقية للطفل وأهميتها في الصغر. عن عبد الله بن عامرﷺ أنّه قال:« **دعتني أمي يوما ورسول اللهﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك. فقال لها رسول اللهﷺ: وما أردت أن تُعطيه؟. قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها رسول اللهﷺ: أما إنّكِ لو لم تُعطِه شيئًا كُتبت عليك كذبة** »[3]. ولو فعلت أيضا لتعلمه ولدها منها، والكذب باب الشر كله، فإن فُتِحَ بابه في نفسه عسُر بعد ذلك نزعه منه، وبه قد يسرق الطفل ويخفي فعله، وبه قد يتعلم التغطية عن أفعال سيئةٍ يقترفها.

ومن الآداب والأخلاق التي علَّمها النبيﷺ الصبيان أدب الطعام الذي يرتبط بغريزة الأكل والشرب. حيث أنّ الإسلام حثّنا على إحاطة غرائزنا بآداب وأخلاق عند تلبية حاجاتها. فعن عمر بن أبي سلمةﷺ

---

[1]: الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص:688.

[2]: ابن قيم الجوزية: تحفة المودود، ص: 200.

[3]: أبو داود: السنن، الأدب، في التشديد في الكذب، ح(4993)،455/4. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(748)، 373/2.

قال: « **كنتُ غلاما في حجر رسول اللهﷺ وكانت يدي تطيش في الصَّحفَة، فقال لي رسول اللهﷺ: يا غلام سمِّ الله وكُل بيمينك وكُل ممَّا يليك. فما زالت تلك طعمتي بَعدُ** »[1].

إنّ الطَّيْشَ في الصحفة زيادةً على أنّه ليس من آداب الأكل، فإنّه أيضًا يكون ناتج عن نظر الفرد لما في يد غيره وإعجابه به دون ما لديه حتى وإن كان الذي لديه ذات الشيء الذي بحوزة غيره، كأن يكون مرقاً أو طعاماً في القصعة الواحدة، فينمي في نفسه غريزة التملك والسيطرة لما في يد الناس وحب الاستطلاع عمَّا لديهم، وقد يقود ذلك إلى السرقة والتجسس ونحوها من الأخلاق الذميمة والانحرافات الغريزية.

ورُوي عن النبيﷺ مَنعُه نظر الغلمان إلى النساء بشهوة، ومنه ما رُوي عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال:«**كان الفضل رَدِيف رسول اللهﷺ فجاءت امرأة من خَشْعَم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل النبيﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشِّقّ الآخر. فقالت: يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحجّ أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يَثبُت على الرّاحلة. أفأحجُّ عنه؟ قال:" نعم". وذلك في حجّة الوداع** »[2]. وتعليل تصرف النبيﷺ ما رواه العباسرضي الله عنه أنّه قال للنبيﷺ:« **يا رسول الله إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك قال إنّي رأيتُ غلاما شابًّا وجارية شابَّة فخشيتُ عليهما الشّيطان** »[3].

والنماذج النبوية في التربية الأخلاقية كثيرة جدًا، وكل واحدٍ منها يدخل في باب من أبواب الغريزة، والتي هي موضوع البحث.

وممّا يساعد على التربية الأخلاقية الصالحة للطفل، بعيدًا عن الأخلاط والأنجاس ودنيء الأفعال والأقوال. تعليمه القرآن الكريم حفظًا وفهمًا وعملاً. ذلك أنّ القرآن الكريم(...ليعتبر أهم مرجع في الأخلاق بالنسبة للفرد المسلم، والبيت المسلم والإنسانية جمعاء.فالأخلاق هي من ثمار الإسلام الجنية للإنسان.)[4]

والذي جاء به النبيﷺ هو القرآن الكريم، ومثله معه. ففيهما دعوة للتحلي بالأخلاق الفاضلة، من خلال الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب فيما يختص بكثير من الأعمال التي ترفع الإنسان عن مستوى الدناءة والانحطاط السلوكي.

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأطعمة و التسمية على الطعام والأكل باليمين، ح(5376)،68/7.

مسلم: الصحيح، الأشربة، آداب الطعام والشراب وغيرهما، ح(2022)، 1599/3.

[2]: البخاري: الصحيح، الحج، وجوب الحج وفضله، ح(1513)، 132/2.

مسلم: الصحيح، الحج، الحج عن العاجز، ح(1374)، 973/2.

[3]: أحمد: المسند، من مسند علي بن أبي طالب،ح(564)، 9/2. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند:(إسناده حسن).

[4]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص:66.

ومن الوسائل والطرق أيضا التي تساعد على البناء الخلقي في الفرد.

(- تكوين الحب للفضائل وحسن الأخلاق، ثم تكوين الكراهية والنفور والاشمئزاز من الرذائل والشرور والجرائم.

- تكوين بصيرة علمية وقناعة عقلية بالقيم الأخلاقية وذلك ببيان حكمة المبادئ الأخلاقية وأهميتها وضرورتها.

- تكوين الشعور بالمسؤولية الأخلاقية أمام الله.)[1].

وهذه المبادئ والأساليب إنّما تساعد على تكوين ضميرٍ خلقي في نفس الفرد تدفعه لتربية نفسه ومراقبتها أخلاقيًا، قبل أن توجه له من خارج نفسه.

ومن الطرق المساعدة أيضا على التربية الأخلاقية الغريزية:(الانتفاع بما لدى الأطفال من ميول وغرائز فطرية في تربيتهم تربية خلقية، فعندهم مثلا ميل لمحاكاة من يتصلون بهم في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم...والتقليد عامل رئيسي في المرحلة الأولى لتكوين العادة...)[2].

ويبقى أنّ الوسائل والأساليب أمور مساعدة على التربية. وإنما الركيزة الأساسية يكون في الاقتداء بالنبيﷺ، وتبقى التربية الخلقية مجالاً واسعًا ينبغي فيه العمل بكل ما صدر عن النبيﷺ في كل أمر.

المطلب الرابع: البناء الاجتماعي.

ويراد بالتربية الاجتماعية في المفهوم الاصطلاحي:(العملية التي يهدف الآباء من ورائها إلى جعل أبنائهم يكتسبون أساليب سلوكية ودوافع وقيم واتجاهات يرضى عنها المجتمع وتتقبلها الثقافة الفرعية التي ينتمون إليها)[3].

فتكون بذلك التربية الاجتماعية هي التهيئة التي تقوم بها الأسرة والمدرسة للطفل لاندماجه في المجتمع، وتقبل أفكاره والتكيف معه بما يوافق المجتمع في عاداته وأحكامه، ويوافقه هو-الطفل- في أفكاره ومبادئه.

وعملية التنشئة الاجتماعية تكون في بدايتها مُركّزة على علاقات الطفل الأسرية ثم المدرسية، لتتسع بعد ذلك لتُمَارس في(..المسجد ودُورِ العبادة والملعب والنادي والجمعيات والمنظمات،وأثناء التفاعل الاجتماعي

---

[1]: مقداد يالجن: أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ص: 78.

[2]: محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص: 107.

[3]: محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد:السنوات التكوينية،ط2،دار القلم،الكويت،1415هـ-1995م، 403/1

بالآخرين في السوق والشارع والاحتفالات والعمل...الخ، غير أنّ التطبيع الاجتماعي يكون أكثر تركيزًا ووضوحًا وقصدًا خلال مرحلة الطفولة المبكرة عنه في أية مرحلة أخرى من مراحل النمو)[1]، وهذا ما يعيدنا كما بقية الأبنية السابقة إلى أهمية التربية الأسرية للفرد.

فالأسرة لابدّ أن تُحَضِّرَ الطفل لمواجهة المجتمع والتعامل معه على أسس صحيحة، والطفل بعد خروجه للمجتمع ينال نصيبًا كبيرًا من التأثير والصقل لأفكاره، فإمَّا إلى الرقي وإمَّا إلى الانحطاط.

يقول ابن خلدون:(وأصله أنّ الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه،فالذي أَلِفَه في الأحوال حتى صار خُلقًا ومَلَكَةً وعادةً تُنزَّل منزلة الطبيعة والجِبلَّة. واعتبر ذلك في الآدميين كثيرًا صحيحًا)[2].

وهو ما عبَّر عنه مالك بن نبي في قوله:(إنّ حياة الفرد قبل أن تكون منوطة بذاته الخاصة وموهبته الشخصية، هي منوطة أولاً وقبل كل شيء بصلته بمجتمع معين)[3].

وهو ما يبرز مدى أهمية ما يكون من المجتمع من تأثير في شخصية الفرد.(...فمعطيات البيئة الاجتماعية سلبية كانت أم إيجابية تنعكس فكريًا ووجدانيًا وقيميًا على تكوين الفرد وحياته من خلال تفاعله المستمر مع الآخرين، فالأفراد في المجتمع يتعلم بعضهم من بعض ويتأثر الجميع بالأشياء المحيطة، كما أنّ تيار المؤثرات قد يزعزع فيهم قيمًا واتجاهات، وقد يزرع فيهم قيمًا واتجاهات أخرى.)[4].

والتأثر بالمحيط الخارجي الذي هو المجتمع راجعٌ في كثير من الأحوال إلى(ميل النفس الشديد إلى الانشغال بما يَفِدُ عليها عبر منافذ الجسم من سمع وبصر وشم ولمس، أكثر من انشغالها بما طبع عليه باطنها من سجايا ثابتة، ومن ثم فإنّ لون البيئة ومسحتها العامة تظل طاغية فيما ينتج عن النفس من مواقف فكرية وممارسات سلوكية.)[5].

وإذا كان لدى الفرد قابلية للتفاعل الاجتماعي، فإنّ هناك أمرٌ مهمٌ ينبغي أن يكون سلوكه فيه سويًا مع الآخرين. وهو تلبية رغباته وحاجاته وفق قواعد وضوابط شرعية وقانونية دون تجاوزٍ أو تعديٍ. فالفرد في أسرته وهو طفل تُلبى أكثر حاجاته دون اعتراض خاصةً في صغره. ولكن عند خروجه للمجتمع لا يستطيع

---

[1]: محمد مصطفى زيدان- نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:11.

[2]: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص:104.

[3]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك. ص:124.

[4]: المرجع نفسه.

[5]: المرجع نفسه.

المطالبة فيه بتوفير ذات الوضع، فالقدر الكبير من عملية التنشئة الاجتماعية التي ينبغي التركيز عليه، هو: (إقامة حواجز وضوابط في مواجهة الإشباع المباشر للدوافع الفطرية، كالدافع الجنسي ودافع المقاتلة والعدوان...)[1]. وإنّ عدم التكيف الحسن للمتطلبات النفسية مع واقع الحياة الاجتماعي ينجم عنه تصادمٌ، قد يُفَسَّرُ بانحراف الفرد في نظر المجتمع الذي يعيش فيه.

ويحصل ذلك(حينما تصبح النزوات النفسية مهيمنة، فتدفع بالفرد إلى اتباع الهوى حسبما تمليه دوافعه أو غرائزه الشهوية)[2]. ولذلك كان لزامًا تحضير الناشئين للتفاعل الاجتماعي في إطار التأثير والتأثر وفق المعايير الدينية والاجتماعية.

وقد عُنِيَتْ السنة النبوية بهذا الجانب من حياة الإنسان، وأولته اهتمامًا تامًا. ذلك أنّ النبي ﷺ قَدَّمَ الكثير من التوجيهات في الإصلاح الذاتي الفردي والذي يثمر عنه إصلاح وتوافق اجتماعي. ومن ذلك:

قولهﷺ:« **والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوايقه**»[3]. وعن أنسرضي الله عنه عن النبيﷺ قال:«**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[4] وهذا حديث جامع في السيطرة على رغبات الذات جميعها. وعدم تغليبها على الغير فيحدث في النفس قمعٌ لها عندِ اصطدامها بغيرها ومحاولة الإضرار بهم.

قال صاحب عمدة القاري، ومعناه:(...بأن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له. لا عينُهُ سواءٌ كان ذلك في الأمور المحسوسة أو المعنوية...)[5]. وذلك بالدعوة إلى زرع الحب في الله ﷻ للغير داخل النفس. والذي هو من ثمرات الإيمان الصادق. ولذلك ينبغي على الوالدين حثّ الطفل على حب غيره من الأطفال وكافة أفراد الأسرة كمنطلق أوّلي، فإذا ما كَبُرَ الطفل كَبُرَتْ مساحة الحب في قلبه لتشمل أفراد مجتمعه كافة بالمقياس الذي ينص عليه الحديث.

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ قال:«**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ. قيل ما هنَّ يا رسول الله؟ قـــال: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله**

---

[1]: محمد مصطفى زيدان – نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:11.

[2]: عبد العلي الجسماني: القرآن وعلم النفس،ص:254.

[3]: البخاري: الصحيح، الأدب، إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ح(6016)، 10/8.

[4]: البخاري: الصحيح، الإيمان، من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح(13)، 12/1.

مسلم: الصحيح، الإيمان، الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم، ح(45)، 67/1.

[5]: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، 141/1.

فسمِّته، وإذا مرض فَعُده، وإذا مات فاتَّبِعه »[1].

وهذه الأعمال جميعًا وما هو في إطارها مما تكسوها الصبغة الدينية الاجتماعية فهي إلى جانب أنها تذكر العبد بربّه، وقوة رابطة اجتماعية بين الأفراد. فإنّها أيضا شُغلٌ للمؤمن عن الغرائز وطلباتها المتواصلة الجامحة. وفي التكاتف الاجتماعي لدحض المنكرات وإعانة بعضهم بعضًا للتغلب عليها والتي قد تنجر في أغلبها من الانحراف الغريزي. قالﷺ:« **من رأى منكم منكرا فليُغيِّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعفُ الإيمان** »[2].

ومن وسائل تغيير المنكر أيضًا"النصيحة"، حيث رفعها النبيﷺ إلى مقام عظيم، لما لها من دور كبير في توجيه السلوك وتصحيح الأفكار. فهي مهمة جدًا في عملية التأثير والتفاعل الاجتماعي الصحيح.

فعن تميم الداريرضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال:« **الدِّين النّصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم** »[3]. قال النووي في الشرح:(وأمّا نصيحة عامة المسلمين...فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم... وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر...والذَّبّ عن أموالهم وأعراضهم)[4].

ومن طرق التأثير الاجتماعي في تهذيب الغرائز وتوجيه سلوكها التي استعملها النبي ﷺ معاقبة المجرم، إجرام غريزة مسرفة أمام جمهرة من المسلمين وبأيدي جماعة منهم. وذلك في جلد الزاني البكر ورجم الثيب وجلد شارب الخمر والقاذف وقطع يد السارق.

ومن ذلك ما رُوي عن أبي هريرةرضي الله عنه: أتُيَ النبيﷺ برجل قد شرب. قال:« **اضربُوه. قال أبو هريرة: فمنّا الضَّارِب بيده والضَّارب بنعله والضَّارب بثوبه. فلمّا انصرف قال بعض القوم أخزاك الله. قال: لا تقولوا هكذا لا تُعينُوا عليه الشَّيطان** »[5].

والنبيﷺ في هذا الحديث يدعو إلى ضرورة معاقبة المجرم، ولكن دون مجاوزةٍ للحد. فالمجتمع إذا أتمّ في معاقبته، وبالذّات العقوبة النفسية بالنفور منه والتقليل من شأنه، يؤدي به إلى الإحباط وتدهور نفسيته، وقد يدفعه ذلك إلى الحقد عليهم. وبالتالي عدم الانسجام الاجتماعي والعودة إلى الإجرام.

وإذا ما شعر التائب بقبول المجتمع له واحتضانه إيَّاه فإنّه يحتقر فعله، ويستخزي نفسه الأمارة، ويستيقظ

---

[1]: مسلم: الصحيح، السلام، من حق المسلم للمسلم رد السلام، ح(2162)، 1705/4.

[2]: مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ح(49)، 69/1.

[3]: مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان أن الدين النصيحة، ح(55)، 74/1.

[4]: النووي: شرح صحيح مسلم، 249/1.

[5]: البخاري: الصحيح، الحدود، الضرب بالجريد والنعال، ح(6777)، 158/8.

فيه الضمير لخلع ثوب الانحراف وارتداء لباس التقوى والعمل الصالح.

ومن البناء الاجتماعي في الفرد الذي دعا إليه النبيﷺ أيضًا: ما رواه أبو موسىرضي الله عنه قال: « **قالوا: يا رسول الله أيُّ الإسلام أفضل؟. قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده** »[1].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه:« **أنّ رجلاً شكا إلى رسول اللهﷺ قسوة قلبه فقال له: إن أردت تَليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم** »[2]. الذي نلحظه في هذا الحديث أنّ رسول اللهﷺ أرشد الرجل لعلاج قسوة قلبه إلى أعمال من جنس التكافل الاجتماعي التي تقوي الرابطة بينهم. وقد كان من الممكن أن يرشده إلى قراءة القرآن، أو إلى الصلاة أو التوبة من الذنوب والإكثار من الاستغفار ونحوه من الذكر. ولكنّ الإجابة على السائل تقتضي النظر إلى حاله، فقد يكون هذا الرجل بعيدًا عن التفاعل الاجتماعي فأرشده رسول اللهﷺ إلى ما يحتاج إليه، وهذا ما يلزم كل فرد من جنسه. فحديث أبي موسى فيه تعليق لأفضلية الإسلام على أعمال تتصل بعلاقة المسلم بمجتمعه، وفي قوله "أفضل" دفع لعجلة التنافس بينهم والسعي لتحصيل أفضل الإسلام عند الله تعالى. وتتباين أجوبة النبيﷺ لسؤال السائلين ولو عن سؤال واحدٍ وتتنوع حسب المقتضى والحال، فقد روي عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما):« **أنّ رجلاً سأل النبيﷺ أيُّ الإسلام خير قال تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** »[3].

ومن الآداب الاجتماعية التي علَّمها النبيﷺ للأُمَّة، أدب الاستئذان قبل الدخول إلى بيوت الآخرين وحجرهم، عن عبد الله بن بُسررضي الله عنه قال:« **كان رسول اللهﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم السلام عليكم.وذلك أنّ الدُّور لم يكن عليها يومئذ سُتُور** »[4]، وذلك موافق لقوله تعالى في الأمر بالاستئذان:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ ﴾[النور/58]. فالآية تنص على وجوب

---

[1]: البخاري: الصحيح، الإيمان، أي الإسلام أفضل. ح(9)، 11/1.

مسلم: الصحيح، الايمان، بيان تفاضل الاسلام وأي أموره أفضل، ح(42)، 224/1.

[2]: أحمد: المسند، مسند أبو هريرة، ح(7576). 21/13. قال الألباني:(حسن)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(854)، 507/2.

[3]: البخاري: الصحيح، الإيمان، إطعام الطعام من الإسلام، ح(12)، 12/1.

مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ح(39)، 65/1.

[4]: أبو داود: السنن،كم مرة يُسلِّم الرجل في الاستئذان،ح(5188). 512/4. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(8767)، 877/1.

الاستئذان في ثلاثة أحوال:(الأول: من قبل صلاة الغداة، لأنّ الناس إذْ ذاك يكونون نيامًا في فرشهم.)[1]. وقد تنكشف عوراتهم أثناء ذلك فتثير شهوةً في الرائي. والوقت الثاني:(في وقت القيلولة، لأنّ الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله. "ومن بعد صلاة العشاء" لأنّه وقت النوم، فيُؤمرُ الخدم والأطفال ألاّ يهجمُوا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يُخشى من أن يكون الرجل على أهله، ونحو ذلك من الأعمال..)[2]. والتي من الممكن للطفل إذا ما رآها أن يعمل على تقليدها أو أن تؤثر في نفسه فيشتهي فعلها، أو يستحضر صورتها فيتقوى بها عند ثورة غريزته بعد نضج فتزيده ثورةً، فلربما يوقعه ذلك في فعل الحرام ظنًا منه بجوازه لجهله بالأحكام الشرعية، فيظن أنّ الأمرين سَواءٌ فيما رآه من والديه وما أتى هو به. (وهكذا نجد القرآن أمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرَّج في أحكامه. فقبل الاحتلام يستأذن الطفل في ثلاثة أوقات حرجة في حياة الوالدين الزوجين، حتى إذا بلغ الطفل الحلم ودخل سن التكليف، أُمِر بالاستئذان في كل آن، وفي كل مكان...)[3]. ومع كل أمر.

ومن الاستئذان الذي علَّمه النبيﷺ للناس: الاستئذان حتى في أبسط الأعمال التي قد لا يرعى لها الكثير منهم. ومنه عن سهل بن سعد رضي الله عنه:« **أنّ رسول اللهﷺ أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: تأذن لي أن أعطي هؤلاء؟. فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أُوثرُ بنصيبي منك أحداً. قال: فتلَّه رسول اللهﷺ في يده** »[4]، هذا لأنّ النبيﷺ أراد تعليم الصبي وتعليم من حوله في المجلس أدب الاستئذان، وإلا فقد ورد عن النبيﷺ قوله:« **ليس من أُمَّتي من لم يُجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقَّه** »[5].

ومن الآداب الاجتماعية أيضا التي تُعلم الفرد تقدير غيره، إلقاء السلام. ففيه زرع للمحبة في قلوبهم،

---

[1]: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم- مكتبة دار الريان، بيروت-الجزائر، 1423هـ-2000م، 2026/3.

[2]: المصدر نفسه .

[3]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات العاصرة، ص: 216.

[4]: البخاري: الصحيح، المظالم والغصب، إذا أذن له أو أحله..، ح(2451)، 130/3.

مسلم: البخاري، الأشربة، استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما، ح(2030)، 1604/3.

[5]: أبو داود: السنن، الأدب، في الرحمة، ح(4945)، 441/4.

الترمذي: السنن، البر والصلة، ما جاء في رحمة الصبيان، ح(1919)، 321/4.

أحمد:المسند، مسند الأنصار، حديث عبادة بن صامت، ح(22755)، 416/37. قال الهيثمي:(إسناده حسن)، ينظر:مجمع الزوائد، ح(12610)، 33/8. وقال الألباني:(حسن)، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(101)، 24/1.

وربطٍ لأواصر الأخوة بينهم، كما أنّ فيه استشعارُ الفرد بمن حوله من الناس وأنّه ليس وحده في محيطه يفعل ما يشاء، فذلك يُولِّد في نفسه الحياء مما قد يفعله خِفية، فيطلعوا عليه، وتهتز صورته ومكانته بينهم، وخاصةً أمام من يحبهم منهم ويُجِلَّهم، وقد كان النبيﷺ يفعله حتى مع الصبيان، فعن أنس بن مالكرضي الله عنه :«**أنّه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم وقال كان النَّبيﷺ يفعله** »[1]. وبإلقاء السلام(يُشعر الطفل بوجوده وأهميته وأنّه معنيٌّ بهذه الآداب، فهو مطالب بإلقاء السلام...)[2].

وعليه فإنّ التربية الاجتماعية تهدف إلى ربط الطفل بمجتمعه ربطاً يمكنه من مسايرة متطلباته الفطرية الغريزية بشكل حسن يتوافق والضوابط الدينية الاجتماعية. والعناية النبوية بهذا الجانب من التربية قد أبرزته العديد من الأحاديث، وبينت نجاعة الطرق والوسائل التي اتخذتها لذلك.

المطلب الخامس: البناء الفكري.

يطلق على هذا الجانب بالبناء الفكري و البناء العقلي والثقافي والعلمي. وإن كان بين هذه الألفاظ خلاف جوهري في حقيقتها، إلا أنّها جميعًا يُراد بها عند إطلاقها مرتبطة بجانب التربية معنىً واحد.

فالثقافي من الثقافة و:(الثَّقْفُ مصدر الثقافة، وفعله ثَقِفَ إذا لزم، وثَقِفْتُ الشيء وهو سرعة تعلمه وقلبٌ ثَقْفٌ أي سريع التعلم والتفهم)[3]. والثقافة مصطلح عام(تشير في العلوم الاجتماعية إلى كل ما يكتسبه الإنسان من مجتمعه.من معتقدات وقيم وأفكار وأنماط سلوكية ولغة وعلم وفن.)[4].

والفكري من الفكر، يقال:(فَكَرَ فيه وأَفْكَرَ وفَكَّرَ وتَفكَّرَ. وهو فكِّيرٌ...كثير الفكر.)[5]. والفكر هو:(...تردُّدُ القلب بالنظر لطلب المعاني...ويقال الفِكْرُ ترتيبُ أمورٍ في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًا.)[6]. ويبقى أنّ العقل هو أداة التفكر والنظر. والعلم غايته، كما يشير إليه تعريف الثقافة والفكر. ومنه فإذا قُلنَا بناء فكري أو عقلي، أو ثقافي أو علمي فهو واحد.

وللتربية الفكرية أهمية كبرى في حياة الفرد فطبيعة تفكيره تُصور حقيقته وتُعبر عن جوهره، والعقـــل من

---

[1]: البخاري: الصحيح، الاستئذان، التسليم على الصبيان.ح(6247). 55/8.

[2]: أحمد خالد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصر، ص:219.

[3]: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، 139/5. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة"ثقف"، 19/9.

[4]: محمد مصطفى زيدان – نبيل السمالوطي: علم النفس التربوي، ص:31.

[5]: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة"فكر"، 484/1.

[6]: أحمد الفيومي: المصباح المنير، مادة"فكر"، 479/2.

أكبر العوامل التي توجه الإنسان إلى طريق الصلاح، والعقل هو المرشد والموجه وبه يقيس الإنسان أموره، إن خيرٌ فخيراً وإن شرٌ فشراً، وبه أيضا يتحكم في غرائزه فيتمكن من قمعها حال هيجانها. فيضبطها وينظم لها طرقًا تُلبى بها. فيعمل العقل والعلم على جعل الغريزة تحيا في نظام متكامل من غير إفراط ولا تفريط.

ولذلك نجد الإسلام قد اهتم بالعقل اهتمامًا بارزًا، وأولاه عناية فائقة. ودعا إلى الحفاظ عليه وعدم الإضرار به فاعتبره أحد الكليات الخمس باعتباره قوام حياة الإنسان ومناط التكليف. وحثّ على استعماله بطرق التفكير والمناهج الصحيحة، فدعا إلى استغلال كل ما يقوي العقل وينميه ويعمله إعمالاً صحيحًا. وحرَّم عليه كل ما يضره ويذهبه ويُسكره أو يغيبه ويعطله عن دوره. والعقل في حقيقته معجزة ربانية و(...طاقة من أكبر طاقاته، ونعمة من أكبر نعم الله عليه:﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[الملك/23]، و"الفؤاد" يستخدم في القرآن بمعنى العقل، أو القوة الواعية في الإنسان، أو القوة المدركة على وجه العموم)[1].ومن أهمية العلم أن جعل واجباً وحقاً لكل فرد في آن واحد.

قال النووي:(...على الأب تأديب ولده وتعليمه، وما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية)[2].لأنها واجبة على كل فرد بنص قوله تعالى :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[العلق/01]. كان لزامًا على الأولياء الاهتمام بهذا الجانب منذ الصغر.

يقول ابن القيّم:(...فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدىً، فقد أساء إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم...)[3].

عن زرّ بن حُبيشٍ قال:« **أتيتُ صَفوان بن عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ، فقال: ما جاء بك قلت: أُنْبِطُ العلم قال: فإنّي سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع** »[4].

---

[1]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 75/1.

[2]: النووي: شرح صحيح مسلم، 262/4.

[3]: ابن قيم الجوزية: تحفة المودود، ص:200.

[4]: الترمذي: السنن، الدعوات، فضل التوبة والاستغفار...،ح(3535)،545/5.

النسائي: السنن، الطهارة، الوضوء من الغائط والبول، ح(158)، 98/1.

ابن ماجه: السنن، المقدمة، فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح(226)،82/1. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(85)، 20/1.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال:« **كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فِداءٌ فجعل رسول اللهﷺ فداءهم أن يُعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة** »[1].

وأهم باب في التعلم وأكبر ما يمنع الإنسان من الوقوع في غوائل الشهوات ومكائد المغريات، هو تعلم أحكام هذا الدين من أبواب الحلال والحرام. وفِقْهِهَا فما، أحلَّه الله لنا نافعٌ لا محالة، وما حرَّمه علينا ضارٌ لا محالة. فعلى المسلم الالتزام بهذه الأحكام للابتعاد عن الانحراف والضياع خلف الشهوات. قالﷺ:« **من يُرد الله به خيرًا يُفقِّه في الدّين** »[2]. فالدين الإسلامي جامع لكل العلوم، شامل لكل ما يهم الإنسان من أمور دينه ودنياه، على غرار كل الأديان والأنظمة البشرية والعلوم الإنسانية، وأهم ما ينبغي تعلمه أولاً من أمور هذا الدين، تعلم القرآن الكريم حفظًا وفهمًا. ﷺ:(تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكين الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية)[3]

ولقد حثّ النبيﷺ على تعلم القرآن وتعليمه في عدد من الأحاديث. ومن ذلك ما رواه عثمانﷺ عن النبيﷺ قال:« **خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه** »[4]. والشاهد في الحديث هو أهمية تعليم القرآن وأهمية تعلمه، خاصة في الصغر كي يتزود بالبضاعة النافعة يحفظها ويَعِيَ أحكامها ومقاصدها. فيعمل بها في كبره دون سهوٍ أو غفلةٍ عن حكم ما. ويحمي بذلك نفسه من الوقوع في الزّلل لأنّه وَطَّنَ نفسه عند الصغر على كتاب اللهﷻ فمزج تعاليمه بلحمه ودمه. (فإذا ارتبط قلب الولد بالقرآن وفتح عينيه على آياته فإنّه لن يعرف مبدأً يعتقده سوى مبادئ القرآن الكريم، ولا يعرف تشريعًا يستقي منه سوى تشريع القرآن..)[5].

كان الحسن بن علي (رضي الله عنهما) يقول لبنيه وبني أخته:(تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، تكونون كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب.)[6].

---

[1]: أحمد: المسند: بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2216)،92/4.

الحاكم: المستدرك، قسم الفيء، والأصل من كتاب الله ﷻ، ح(2621)،141/2. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

[2]: البخاري: الصحيح، العلم، من يرد الله به خير يفقهه في الدين، ح(71)،25/1.

مسلم: الصحيح، معرفة الركعتين..، ح(1037)، 718/2.

[3]: محمد قطب: منهج التربية النبوية، ص: 232.

[4]: البخاري: الصحيح، فضائل القرآن، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح(5027)، 192/6.

[5]: حنان بنت عطية الطوري: الدور التربوي للوالدين في تربية الفتاة المسلمة...،32/1.

[6]: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ت: أبو عبد الله السورقي- إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 299/2.

أحمد: العلل ومعرفة الرجال، ت: وصي الله بن محمد عباس، ط1، المكتب الإسلامي، 1408هـ- 1988م، 417/2.

والهدف المرجو من التعلم، إنما هو العمل. مصداقًا لقوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت/53]. وآيات الله مجال علم يدل على وجوده. وبيانها لهم يعني يقينهم بها علمًا واعتقادًا، وهذا العلم والاعتقاد يستوجب العمل. ولذلك نجد الشريعة الإسلامية قد حثت على تعلم كل ما فيه نفع، وكل ما يخدم الإنسان في الدارين.(ولذلك نهى الرسولﷺ عن تعلم ما لا ينفع كالسحر والعرافة، وكان دعاءهﷺ:« **اللَّهم انفعني بما علَّمتني وعلِّمني ما ينفعُني وزدني علمًا الحمد لله على كلّ حال وأعوذ بالله من حال أهل النار** »[1]...)[2]. ومن ذلك توجيه النبيﷺ للغرائز وتصحيح سلوكها بتقرير فكري، أو مناقشة عقلية تُحَوِّلُ الفكر إلى جانب آخر كانوا يغفلونه.

ومنه عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **ما تَعدُّون الصّرعَة فيكم؟. قالوا: الذي لا يصرعه الرجال قال: لا، ولكنّه الذي يملك نفسه عند الغضب** »[3]. فكون قوة الإنسان وشدته تكمن في قوة تحكمه في غضبه فهذا أمرٌ يختلف عمَّا كان شائعًا لديهم من أنّ القوة في قبضة اليد وقوة الجسد.

وعن أبي هريرةرضي الله عنه:« **أَنّ رجلاً أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله وُلِد لي غلام أسود. فقال: هل لك من إبل؟. قال: نعم. قال: ما ألوانها. قال: حُمر. قال: هل فيها من أورق؟. قال: نعم. قال: فأنَّى ذلك؟ قال: لعلّهُ نَزَعَهُ عِرق. قال: فلعلّ ابنك هذا نَزعَه؟** »[4]. وهذا توجيه حكيم لفكر الرجل فقد تسيطر عليه غريزة الغضب، ويظن أنّ ذلك كان بفعل زنًا من زوجته. ممّا قد يؤدي به إلى طلاقها أو غير ذلك. ولكن النبيﷺ أبطل له كل ذلك بمناقشة عقلية بسيطة.

ومن ذلك أيضا مناقشة النبيﷺ للفتى الذي جاء يستأذنه في الزنا. عن أبي أُمامةرضي الله عنه قال:« **إنّ فتًى شابًّا أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله ائْذَنْ لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه. قالوا: مَهْ مَهْ. فقال: ادْنُه فدنا منه قريبًا. قال: فجلس. قال: أَتُحبُّه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس**

---

[1]: الترمذي: السنن، الدعوات، في العفو والعافية، ح(3599)، 578/5.

ابن ماجه: السنن، المقدمة، الانتفاع بالعلم والعمل، ح(251)، 92/1.

الحاكم: المستدرك، المناسك، الدعاء والتكبير والتهليل، ح(1879)، 509/1. قال الترمذي:(حسن غريب من هذا الوجه)، صححه الألباني دون الحمد، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(3151)، 158/8.

[2]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص:39.

[3]: البخاري: الصحيح، الأدب، قول النبيﷺ إنما الكرم قلب المؤمن، ح(6114)، 28/8.

مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل من يملك نفسه عند الغضب..، ح(2608)، 2014/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الطلاق، إذا عرض بنفي الولد، ح(5305)، 359/16.

مسلم: الصحيح، اللعان، باب، ح(2757)، 53/7.

يحبُّونه لأمهاتهم. قال: أفتحبُه لابنتك؟. قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبُه لأختك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمّتك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللَّهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1]

ففي هذا الحديث مثال عظيم عن اهتمام النبيﷺ بالحوار الفكري وتفعيله، وإعطاء الحلول لمشاكل الغريزة به. فلو كان حاكم آخر غير النبيﷺ لكان قد توجه إلى فرض عقوبة عليه، واعتبره شخص مجاهر بالمعصية ومُتَعدٍ. ولكنّ النبيﷺ عالج الأمر وصرف الشاب عنه كليًا بمجرد نقاشٍ فكري.

ومما ورد عن النبيﷺ في توجيهه للسلوك الغريزي عن طريق الحوار الفكري العقلي. ما رُوي عن أنسرضي الله عنه: «**أنّ رجلاً سأل النبيﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟. قال: ما أعددت لها؟. قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت** »[2].

ويمكن أن يُؤَسس البناء الفكري لدى الناشئة باعتماد عدة أساليب ووسائل، وذلك طبعًا بعد اعتماد القرآن والسنة النبوية أصلين أساسين للبناء الفكري حفظًا وفهمًا وعملاً، حيث أنّ كل الوسائل الأخرى لا تغني عند غيابهما. ومن بين هذه الوسائل:

تنمية الفكر عن طريق التأمل في الكون والتدبر في نواميسه وسنن الله في تسييره. فهذا كفيل بدرجة أولى في اشتغال الفكر وسموه عن التفكر في شهوات النفس وغرائزها، فالإنسان يسمو عن عبودية الغرائز بسمو فكره ومستوى تعلمه.(...وهذه العبادة العلمية إن جاز التعبير، ميدانها الكون بأرضه وسمائه، بما فيه من نبات وحيوان وجماد، كلها مخلوقات للهعزوجل، وكلها تستدعي النظر والتأمل...)[3]. وللتأمل المثمر الناجِع وسيلتان مُعينَتان:

(الوسيلة الأولى: هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي.

الوسيلة الثانية: هي تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط)[4].

---

[1]: سبق تخريجه، ينظر ص: 82.

[2]: البخاري: الصحيح، الأدب، علامة حب الله عزوجل ،ح(6167)،39/8.

مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، المرء مع من أحب، ح(2639)، 2032/4.

[3]: إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص:38.

[4]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 77/1. ينظر: علي أحمد مدكور: منهج التربية الإسلامية: أصوله وتطبيقاته، ص: 221.

يقول محمد قطب في معنى الوسيلة الأولى:(فهو أولاً يبدأ بتفريغ العقل عن كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد التقليد أو الظن...)[1]. وهي نقطة مهمة تؤثر تأثيرًا كبيرًا على العملية الفكرية. فالتقليد للموروث أو للغير يعطّل العقل عن أداء وظيفته الأساسية وهي التفكير والاستدلال والبحث، والوصول بذلك إلى نتائج يقينية عقلية يعتمدها الإنسان في حياته. يقول الله تعالى يصف حَالةَ التَّقليد المتَصَلِبة لدى الشعوب الضالة:﴿ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[البقرة/170]. وإن كانت الآية تصف ظاهرًا تقليد الجيل الحاضر للذي قبله في العقيدة. فإنّ التقليد الذي نلمسه اليوم وخاصة في الدول الإسلامية فيما يتعلق بقضية الغرائز هو التقليد للغرب في طبائع عيشه، والرغبة في توفير بحبوحة العيش التي يتخبطون فيها، وحرية الممارسة للشهوات والملذات دون قيد أو ضابط ديني أو قانوني رادع.

وإن كانت أُمةُ الإسلام اليوم تعاني من تقليد فكري، فليس غير هذا التقليد الذي تُسحَبُ خلفه، يُهدد كيانها ويدمرها حاضرًا ومستقبلاً. قالﷺ:« **لتتَّبِعنّ سَنَنَ من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتى لو سلكوا جُحر ضَبٍّ لسلكتُموهُ. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى. قال: فمن** »[2].

فالاندفاع خلف التبعية الفكرية بات من أكبر عوامل تهديم الأمة الإسلامية، ولذلك دعا النبيﷺ في عدد من الأحاديث إلى ضرورة تحكيم العقل وإعماله، وعدم الاتباع والتقليد، فعن حذيفةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا وإن أساءُوا فلا تظلموا** »[3]. والظلم يحتوي ظلم النفس عند عدم ضبطها وإرسال الحبل لها في التصرف فهي تقود بذلك للهلاك في الدنيا والآخرة وهذا أكبر ظلم للنفس. قال تعالى:﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾[النجم/23].

وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران/135].

ومن أدوات التربية العلمية أيضا المكتبات النافعة، التي تدفع الجيل للصلاح والإصلاح والنهوض بالأمة. وتُكَوِنُ في نفس النشء حب الموروث الثقافي والسعي للحفاظ عليه مادةً وعملاً. فالكتب تعين في توجيه

---

[1]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 77/1 .

[2]: سبق تخريجه، ينظر ص: 65.

[3]: سبق تخريجه، ينظر ص: 59.

السلوك وتصحيحه.

فهي تصبغ مادتها بأسلوب يتوافق وطبيعة تفكيرهم وأهدافهم وحقائق واقعهم الذي يعيشون فيه. تحلل لهم المشكلات وتقدم لهم الحلول، استنادًا إلى نصوص الكتاب والسنة. فَ (...لئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام. فالمكتبة الإسلامية ضرورية لإصلاح العقول...)[1].

وتُختَار طبيعة الكتب سواءًا في المكتبات العامة: البلدية والوطنية، أو المكتبات المدرسية والجامعية وكذا المنزلية(...من كتب التاريخ الإسلامي.وتراجم السلف وكتب الأخلاق، والحِكَم والرحلات الإسلامية، والفتوح ونحوها...وأن يحول الأبوان دون تسرب الكتب الهازلة، والصحف الماجنة إلى ابنهما لا بالمنع والتهديد، فإنّ ذلك مما يزيد شغفه بها، وإقباله عليها، ولكن بصرفه إلى كتب نافعة مغرية، وإثارة الميل فيه إلى هذه الناحية الصالحة)[2]. وإذا كان هذا النص موجه للوالدين فإنّ الأمر في حقيقته موجه إلى كل القائمين على المكتبات وتقديم الكتاب في أيدي الناشئة. وفي ذلك يقول الترمذي:(صلاح الصبيان في المكتب، وصلاح قطاع الطريق في السجن، وصلاح النساء في البيوت.)[3].

ومن التربية بالكتاب، التربية بالقصة الهادفة، فإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ ثلثه قصص وأمثال. وذلك لما فيها من دور هام في توجيه السلوك، فقد تؤثر في نفسية الفرد تأثيرًا لا تصل إليه مئات الخطب والدروس. وأهم القصص التي قد يتّعض بها المسلم هي قصص الأنبياء والمرسلين، وحالهم مع أقوامهم وتعاملهم مع الابتلاء والصبر على الأذى الاجتماعي والنفسي، وسيطرتهم على رغباتهم وغرائزهم وحسن توجيهها، ونحو ذلك. قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف/111]

فيستفاد من قصة يوسف عليه السلام مثلاً مع الغريزة الجنسية ومقاومته للمغريات التي عُرضت عليه وسيطرته على نفسه، وتمسكه بإيمانه وتقواه لله تعالى، وأيضا لما أصبح أمينًا على خزائن مصر لم يكن لغريزة التملك فيه أيّ تأثير. ويستفاد من قصة لوط عليه السلام وفاحشة اللواط التي مانع قومه فيها ودعاهم لترك لذتها الوضيعة وإبدالها بما هو خير منها وهو النكاح. وكذا سيدنا إبراهيم حين ابتلي مع النمرود وأخذ منه زوجه فكان في

---

[1]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 573/3

[2]: المرجع نفسه.

[3]: المرجع نفسه.

ذلك تعارض مع غريزته. في سارة التي يحبها وهي زوجته، وفي كونها مُلكُه ليست لغيره. وعمومًا فإنَّ في قصص الأنبياء صورًا حية واقعية ونماذج يُقتَدى بها في الكفاح ضدّ رعونة الغرائز.

ومن التربية الثقافية الفكرية أيضا: الإجابة على أسئلة الطفل وعدم الاستهزاء بها أو التخويف منها. فـ:(كثير من الآباء يعتبرون أسئلة الطفل غريبة ويتهربون من الرد عليها، أو يردون عليها ردودًا مُبهمة بعيدةً كل البعد عن الحقيقة، ولا سيما إذا كانت أسئلة تتصل بالمسائل الجنسية)[1].

وعليه فإنّ التربية الفكرية مهمةٌ جدًا وهي منهج نبوي في تربية الغريزة، وتتعدد أساليبها وطرقها. وتستخدم كل واحدةٍ منها حسب الظرف وطبيعة الفرد.

المطلب السادس: البناء العاطفي.

يطلق على هذا الجانب من الإنسان باسم: الجانب العاطفي ، أو الوجداني .

وكلمة **العاطفة** في اللغة من: عَطَفَ:(يَعطفُ عطفًا...والعاطفة الرَّحم...وعَطفْتُ عليه أشْفَقْتُ...)[2].

وهي:(...الخصلة التي تحمل الإنسان على الشفقة، والرحمة كالرحمَّ...)[3].

و**الوجداني**: من وَجَدَ: يقال:(وَجَدَ عليه في الغضب يَجُدُ ويَجِدُ وَجْدًا وَجِدَةً وموجَدةً ووِجْدانًا: غضب، وفي حديث الإيمان: إنّي سائلك فلا تَجِدْ عليَّ[4]، أي لا تغْضَب من سؤالي، ومنه حديث: لم يجد الصائم على المفطر[5]... وأنشد اللحياني قول صخر الغيّ:

كِـلانَا صَاحِـبَه بيـأسٍ وتأنيـبٍ ووِجْـدانٍ شـديـدٍ[6].

---

[1]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص: 283.

[2]: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة(عطف)، 249/9.

[3]: المرتضى الزبيدي: تاج العروس، 115/1.

[4]: البخاري: الصحيح، العلم، ما جاء في العلم، وقوله تعالى:﴿ وقل ربي زدني علمًا﴾، ح(63)، 196/1، ونصه بلفظه:«..إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك...».

[5]: البخاري: الصحيح ، الصوم ، لم يعب أصحاب النبيﷺ بعضهم بعضا، ح(1947)، 237/4.

مسلم: الصحيح، الصيام، جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر..، ح(1116)، 218/4، ولفظه:«كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم...» واللفظ لمسلم. وعند البخاري بلفظ:«...فلم يَعبْ الصائم على المفطر...».

[6]: إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، 471/2، وذكره بلفظ:

كِلانا ردَّ صاحبه بِغَيْظِهِ على حَنَقٍ وَوُجْدَانٍ شديدٍ .

وَوَجَدَ به وَجْدًا: في الحُبِّ لا غير، وإنه ليَجِدُ بفلانة وَجْدًا شديدًا إذا كان يهواها ويُحِبُّها حُبًّا شديدًا..)[1].

والحب والغضب هما نوع من العاطفة التي تهيج بفعل محبة أو بغض.

ولذلك فالبناء العاطفي مهم جدًا في حياة الفرد عامة وعبر جميع مراحله العمرية. فلا يمكن لأيّ فرد كان أن يحيا في جو مكهرب بالكراهية والبغضاء والحقد طول حياته. ولا يمكن أن نتصور فردًا يعيش بين الناس دون عواطف، تمده بهم من قريب أو بعيد. فما وظيفة القلب والفؤاد المخلوقين في الإنسان حين ذلك؟.

ومادامت العواطف أمرًا تدفع إليه جوارح الإنسان، كان لابد من الاهتمام بها على الوجه الأمثل في حياة الإنسان. وخاصةً في صغره، لما في ذلك من انعكاسات سلبية قد تحدث.

و(تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي تُكَوِّنُ نفسه وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنسانًا سويًا في مستقبله وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك، سواء بالزيادة أو النقصان، تشكلت لديه عُقد لا تُحمد عقباها فالزيادة تجعلهُ مُدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط، ونقصانها يجعله إنسانًا قاسيًا عنيفًا على كل من حوله. لذلك فالبناء العاطفي له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه...)[2].

والطفل في صغره إنما يستمد العاطفة من الوالدين أساسًا. ويظل هذا الأساس في مصدر العاطفة له إلى أن يكبر، فلا يستغني عنه أبدًا. ولذلك فـ:(مِنْ أَوْلَى واجبات الوالدين أن يُشعروا أولادهم بالرحمة والحنان والعطف والحب، لينشأوا نشأة نفسية صحيحة، تغمر قلوبهم الثقة، ويشيع في نفوسهم الصفاء، ويغمر أخيلتهم التفاؤل، وتُبنى في قلوبهم العاطفة.)[3]. ولا ينبغي الاستهتار بهذا الجانب من الطفل والانكباب فقط على توفير أكله وشربه ونومه، ومتابعة تحصيله الدراسي، وسلامة جسده من الأمراض، وإذا ما أخطأ في شيء عُوقب وانتهى!. فلا جلسات عاطفية حميمة، ومراجعة لأحداثه اليومية، ولا كلام على أصدقائه المقربين، ومتابعة أحواله معهم. ولا أيضا باصطحابه إلى نزهة في حديقة أو إلى أماكن ثقافية وترفيهية. ولا حتى تعبير عن الحب لهم بكلمة بسيطة يستطيع قولها كل الأولياء لأولادهم. أو غيرها من النظرات الحنونة و الحركات، أو التلميحات والإيحاءات الكلامية، التي يَعِي منها الطفل حبهم له واهتمامهم به.

ومن انعكاسات النقص العاطفي عند الطفل أن يظهر عليه انحرافُ كثيرٍ من غرائزه. وطغيان غريـــــزة من

---

[1]: ابن منظور: المصدر السابق ، مادة (وجد) ، 880/6 .

[2]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 655/2.

[3]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص: 232.

غرائزه عليه، فقد يصير بذلك عدوانيًا مع عائلته ومحيطه. وقد يأخذه الأمر إلى الهجران قصد الهروب من الجو المظلم، إلى المتعة والحرية الشخصية، وقد يجره ذلك أيضا إلى جو المتعة الجنسية، فيجد فيها كما يُخيل إليه تعويضًا لما فقده من عاطفة. فيبحث الكثير منهم عن (...الاتصال الجنسي للحاجة إلى العطف، ولذا نرى مع بعض الحالات أنّ تفكك روابط الأسرة عامل أساسي يتبعه أحيانًا فَقْدُ الطفل لعطف أسرته، ويقع كثير من الفتيات في حبائل الشبان...إذ أنّ نفورهنَّ من الجو الجاف أو القاسي، يسهل لهنَّ الوقوع في جو آخر يبدو أكثر عطفًا وأكثر حنوًا. والعلاقة الجنسية يشعر فيها الشخص عادةً بنوع من عطف الفاعل، أو على الأقل بنوع من اللذة الجنسية يطغي على الألم أو الشقاء النفسي.)[1]. والنبيﷺ قد نبَّه إلى هذا الأمر ودعا إلى توفيره بشكل صريح، وأعطى الكثير من الوسائل والطرق لتحقيقه، ومارس الكثير منه مع أطفاله وأطفال المسلمين. ومن ذلك:

عن أنس بن مالكرضي الله عنه، قال:« **ما رأيتُ أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول اللهﷺ** »[2].

رُوي عن أبي هريرةرضي الله عنه قال:« **قبَّل رسول اللهﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إنّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول اللهﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم** »[3].

وعن عائشة(رضي الله عنها)، قالت:« **قَدِم ناسٌ من الأعراب على رسول اللهﷺ فقال: أَتُقبِّلون صبيانكم؟. فقالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله ما نُقبِّل، فقال رسول اللهﷺ: أو أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة** »[4]. هذا عن عموم طلب رحمته بالأطفال ﷺ أما عن نماذج هذه الرحمة بهم فمنها:

تخفيفه من الصلاة رحمة بالصبي وأمه إذا سمعه يبكي عليها وهي تصلي. فعن أبي قتادةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال:« **إني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطوِّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشقَّ على أمه** »[5]. فَيُجوِّزُﷺ رحمة بأمه التي صار قلبها معلقًا بابنها، تنتظر ختام الصلاة لتضمه

---

[1]: عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، ص: 471.

[2]: مسلم: الصحيح، الفضائل، رحمتهﷺ الصبيان والعيال..، ح(2316)، 1808/4.

[3]: البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته..، ح(5997)، 7/8.
مسلم: الصحيح، الفضائل، رحمتهﷺ الصبيان والعيال، ح(2318). 1808/4.

[4]: مسلم: الصحيح، الفضائل، رحمته ﷺ الصبيان والعيال..، ح(2317)، 1808/4.

[5]: البخاري: الصحيح، الأذان، من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح(707)، 143/1.
مسلم: الصحيح، الصلاة، أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، ح(470)، 343/1.

وتسكنه، فيبادرﷺ لتقصير الرّكعة ليأذن لأمه باحتضانه رحمة بهما، وإدراكًا منهﷺ لغريزة الأمومة وقوتها على الطرفين.

ومما جاء عنهﷺ أيضا في الرحمة بالصبيان، رواية قصة فيها نكتة عاطفية لأصحابه. عن أبي هريرةرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ قال:« **كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داودعليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه. فقال: ائتُوني بالسّكين أَشُقُّه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى** »[1]. وفي الحديث بيان للمصدر الحقيقي والأول للرحمة من بين الناس، وهو الأم، فينبغي عدم مقايضته بغيره.

ومن رحمتهﷺ بالأطفال وعطفه عليهم، تفكره فيما يلزمهم من حاجيات ومتاع يسرهم ويبهجهم.

روى البخاري من حديث أم خالد بنت خالد قالت:« **أُتي النبيﷺ بثياب فيها خَمِيصَةٌ سوداء صغيرة فقال: من ترون أن نَكسُو هذه. فسكت القوم قال: ائْتُوني بأم خالد. فأُتي بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أبلي وأخلقي. وكان فيها علم أخضر أو أصفر فقال: يا أم خالد هذا سناه. وسناه بالحبشية حسن** »[2].

ومثله عن المسور بن مخرمة أنّ أباه مخرمة قال له:« **يا بني إنه بلغني أن النبيﷺ قدمت عليه أقْبِيَة فهو يقسمها فاذهب بنا إليه فذهبنا فوجدنا النبيﷺ في منزله. فقال: لي يا بني ادع لي النبيﷺ. فأعظمت ذلك فقلت: أدعو لك رسول اللهﷺ!.فقال: يا بني إنه ليس بجبَّار. فدعوته فخرج وعليه قَباء من ديباج مُزَرَّر بالذهب فقال: يا مخرمة هذا خبأناه لك فأعطاه إياه** »[3]. وفيه بيان لنيل الطفل المتع المشروعة التي يحبها، ووجوب مراعاتها. لأنّ منع الطفل من كسب مبتغاه من المتع المباحة المستطاعة قد يولد في نفسه الرغبة في تملك أي شيء يريده وبأي طريقة لتعويض ما حُرِمَهُ في صغره.

وعن أنسرضي الله عنه قال:« **كان رسول اللهﷺ يزور الأنصار ويُسلم على صبيانهم ويمسح رُؤوسهم**»[4].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الحدود، إذا ادعت المرأة ابنا، ح(6769)، 156/8.

مسلم: الصحيح ، الأقضية ، بيان اختلاف المجتهدين ، ح(1720)، 1344/3.

[2]: البخاري: الصحيح، اللباس، ما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا، ح(5845)، 153/7.

[3]: البخاري: الصحيح، اللباس، المزرر بالذهب، ح(5862)، 156/7.

[4]: ابن حبان: الصحيح، البر والإحسان، الرحمة، ح(459)، 205/2. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة،ح(2112)، 147/5.

وعن جابر بن سمرةﷺ قال:« **صلَّيتُ مع رسول اللهﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلدَان، فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خَدَّي، قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤْنَةِ[1] عَطَّار** »[2].

ونراهﷺ لم يُهمل أيَّ طفل في محيطه حتى ولو كان طفلاً يهوديًا، فنجده يحنوُ عليه. عن أنسﷺ قال:« **كان غلام يهودي يخدُم النبيﷺ فمرض فأتاه النبيﷺ يَعودُه فقعد عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسمﷺ فأسلم. فخرج النبيﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار** »[3]. وفي الحقيقة هذا الحديث فيه ملامح جليلة تمس جوانبًا شتى، منها:

خدمة الطفل اليهودي للمسلم، وعيادة المسلم للمريض من اليهود، وفاء النبيﷺ لخادمه وزيارته له، وذلك علامة على التواضع، دعوتهﷺ الجهرية للإسلام أمام والده اليهودي، إذن الأب لابنه بالإسلام دلالة على تصديقه للرسالة المحمدية، حَمدُ النبيﷺ لله ﷻ على هدايته للصبي. ذلك أنّ الله ﷻ يهدي من يشاء، والرسولﷺ لا يهدي من يحب إلا بإذنه ﷻ. وقولهﷺ:"الحمد لله الذي أنقذه من النار"، لأن مفتاح الجنة كلمة :"لا إله إلا الله محمد رسول الله ".

وهذا الحديث الشريف يحتاج إلى دراسة معمقة في كل نقطة منه. والذي نحتاجه في هذه الدراسة هو صورة العطف النبوي على هذا الغلام. ففي زيارتهﷺ له تفريج لخاطره ومسرة لقلبه. وعسى أن يكون قلب الغلام معلقًا بهﷺ حبًا، فيسعد لرؤيته وهو يَعُودُه،كما في ذلك تسريعًا في شفائه لرؤيته من يحب. ففي زيارة المريض:(أثر طيب في نفس المريض وتأليف قلبه وجذبه إلى الخير والصلاح.)[4].

ومن عاطفتهﷺ بالأولاد أن كان يُلاعبهم ويمزح معهم. ورغبة الطفل باللعب لا ينبغي الاستهانة بها أو محاولة كفه عنها، فهي تؤدي دورًا في بنائه الجسماني و الفكري. وأيضا تجمع بينه وبين أقرانه وتقوي صلته بمجتمعه، هذا ناهيك على أنّ الكثير من العلماء عَدُّو اللعب غريزة في حدِّ ذاته، يجب مراعاتها. ومما ورد عن النبيﷺ في لعبه مع الأطفال.

---

[1]: جُؤْنَة: الجمع جون وَ جؤن، والجونة سُلَيْلَةٌ مُسْتديرةٌ مُغَشَّاة أَدَمًا تكون مع العطَّارين...ينظر:ابن منظور: لسان العرب، مادة(جون)، 101/13.

[2]: مسلم: الصحيح، الفضائل ، طيب رائحة النبيﷺ ولين لمسه...، ح(2329)، 1814/4.

[3]: البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه..، ح(1356)، 94/2.

[4]: مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ص: 106.

ما رواه يَعلَى بن مرّةرضي الله عنه أنهم خرجوا مع النبيﷺ إلى طعام دُعُوا له: فإذا حسينٌ يلعب في السِّكَّة، قال: فتقدم النبيﷺ أمام القوم، وبسط يديه فجعل الغلام يفرُّ هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبيﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يَدَيْه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه. فقبَّلهُ وقال:« **حسينٌ مني، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حُسينًا، حسين سَبطٌ من الأسباط** »[1]. وفيه إعلان المحبة زيادة في القوة وثبات على الاستقامة والطاعة، خاصة إذا كانت ممن يحبهم الطفل ويُجِلهم كوالديه.

وعن أنسرضي الله عنه قال:« **كان النبيﷺ أحسن الناس خُلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عُمَيْرٍ قال: أَحسِبُه فَطِيمًا. وكان إذا جاء قال: يا أبا عُميرٍ ما فعل النُّغَير. نُغَر كان يلعب به. فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فَيُكنس ويُنضَح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا** »[2].

وفي هذا الحديث كما قال ابن حجر:(..الفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح)[3] فلكل مقام مقال.

ومن حديث عائشة(رضي الله عنها)، قالت:« **كنت ألعب بالبنات عند النبيﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول اللهﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعنَ[4] منه فَيُسَرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعبن معي** »[5].

والرغبة الغريزية في اللعب لا تقتصر فقط على الصبيان والأطفال، بل حتى الكبار يرغبون فيه أحيانًا. فعنها أيضا (رضي الله عنها) قالت:« **خرجت مع النبيﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أَبْدُن فقال للناس: تَقدَّمُوا فَتقدَّمُوا. ثم قال لي: تَعَالي حتى أُسابِقك. فسابقتُه فَسَبقتُه. فسكت عني حتى إذا حملتُ اللحم وبَدُنتُ ونسِيتُ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تَقدَّمـــوا.**

---

[1]: ابن ماجه: السنن، المقدمة، فضل الحسن والحسين...، ح(142)، 51/1.

أحمد: المسند، حديث يعلى بن مرة الثقفي، ح(17561)، 103/29.

ابن حبان: الصحيح، إخبارهﷺ بمناقب الصحابة، ذكر إثبات محبة الله ﷻ، ح(6971)، 427/15.

الحاكم:المستدرك،معرفة الصحابة،أول فضائل أبي عبد الله الحسين..ح(4820)،177/3.قال الحاكم:(صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح(364)، 133/1. وفي مصباح الزجاجة:(هذا إسناد حسن رجاله ثقات)، ح(53)،22/1.

[2]: البخاري: الصحيح ،الأدب ، الكنية للصبي...،ح(6203)، 45/8.

مسلم: الصحيح، الأدب، استحباب تحنيك المولود، ح(2150)، 886/3.

[3]: ابن حجر: فتح الباري، 600/10.

[4]: يَتَقَمَّعْنَ: من القمع يقال: انقمع الرجل في بيته. إذا دخل فيه مستخفيًا...، وفي الحديث: انقمعنَ بأي: تغيبنَ ودخلن في بيت، أو من وراء سِترٍ...، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (قمع)، 294/8.

[5]: البخاري: الصحيح، الأدب، الانبساط إلى الناس، ح(6130)، 31/8.

فتقَدَّمُوا. ثم قال تعالي حتى أُسابِقك. فسابَقتُه فسبَقَني.فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك »[1].

ومن رحمتهﷺ أن دعا إلى العدل بين الأولاد في الأعمال التي فيها تعبير عن المحبة لهم.

عن أنسرضي الله عنه:« **أنّ رجلا كان عند النبيﷺ فجاء ابن له فقبَّله، وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه، فقال رسول اللهﷺ: ألا سويت بينهم** »[2].

ولأنّ العرب قديمًا عَهِدَتْ على نفسها تناسي حقوق المرأة المادية والمعنوية في الأحكام العرفية العامة. فقد حث النبيﷺ في عدد من الأحاديث على الرأفة بالنساء والإحسان إليهنَّ. ومن ذلك:

ما رواه أبو سعيد الخدريرضي الله عنه. قال: قال رسول اللهﷺ:« **من كان له ثلاث بنات فصبر عليهنّ وأطعمهنَّ وسقاهنَّ وكساهنَّ من جِدَته كنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة**»[3]. وقولهﷺ:« **إني أُحَرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة** »[4].

وفي أمر اليتيم نبَّهﷺ على حقه في الرعاية، وعلى ضرورة الالتفات إلى هذه الفئة المحرومة، التي لا تحتاج فقط إلى كفالة مادية. بل إلى الرعاية المعنوية أكثر، بعد حرمانها من المنبع الأول للعاطفة. وفي ذلك قولهﷺ:«**كافلُ اليتيم له أو لغَيرِه أنا وهو كهاتين في الجنة** » وأشار مالك بالسَّبَّابة والوسطى[5].

---

[1]: أبو داود: السنن، الجهاد، في السبق على الرجل، ح(2580)،334/2.

النسائي: السنن الكبرى، مواقيت الصلاة، تعجيل العصر، ح(8895)، 304/5.

أحمد: المسند، مسند عائشة، ح(26277)، 313/43. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على مسند أحمد:(إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عمر بن أبي حفص المعيطي – وهو ابن حفص– فقد ذكره الحافظ في "التعجيل"، ونقل عن ابن أبي حاتم قوله: سألت أبي عنه، فقال: لا بأس به).

[2]: البزار: المسند، ح(6361)،45/13. قال الهيثمي:(رواه البزار فقال: حدثنا بعض أصحابنا ولم يسمه وبقية رجاله ثقات)، ينظر: مجمع الزوائد، ح(13489)، 286/8.

[3]: الترمذي: السنن، البر والصلة، النفقة على البنات والأخوات، ح(1913)، 319/4.

ابن ماجه: السنن، الأدب، بر الوالدين والإحسان إلى البنات..، ح(3669)، 1210/2.

أحمد: المسند، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر، ح(17403)، 622/28. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(294)، 590/1.

[4]: النسائي: السنن الكبرى، مواقيت الصلاة، من أدرك ركعة من الصلاة، ح(9104)، 363/5.

ابن ماجه: السنن، الأدب، حق اليتيم، ح(3678)، 1213/2.

أحمد: المسند، مسند أبي هريرة، ح(9666)، 416/15.

الحاكم: المستدرك، الإيمان، ح(211)، 63/1. قال الحاكم:(هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه). وقال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(4212)، 422/1.

[5]: مسلم: الصحيح، الزهد والرقاق، الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ح(2983)، 2287/4.

وعليه فالنبيﷺ استعمل عديدًا من الوسائل التي يتم بها إظهار المودة والمحبة والعاطفة للطفل من:القبلة والرأفة والرحمة، الملاعبة والممازحة، الهدايا والعطايا، مسح رأس الطفل بيد حنونة عطوفة،حسن استقبال الطفل أو إقباله عليه، تفقد حال الطفل والسؤال عنه في صحته ومرضه...وغيرها.

كلها وسائل يستطيع بها كل من يحيط بالطفل أن يمده بالعاطفة ويلبي حاجته فيها، وعلى رأسهم والداه. كي لا تنحرف عن جادة الصواب وتبحث عن ضالتها في الطرق المحظورة.

وقد أعطى النبيﷺ في المؤمنين مثلاً عامًا مبنيٌّ على العاطفة. قالﷺ:« **ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطُفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عُضوًا تَداعَى له سائر جسده بالسّهر والحُمَّى** »[1].

فالعاطفة بين المؤمنين تسري بين جميع الأفراد كبيرهم وصغيرهم، نسائهم ورجالهم،كالهواء الذي يحيون به. قال ابن رجب في معنى الحديث:(...يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد...)[2] .

وهذا الحديث لو تطبق معانيه السامية كما يرمي إليها النبيﷺ.لا يجد الناشئون منفذًا إلى الانحراف من جدار العاطفة الذي يحيط بهم.(فعلى الوالدين والمربين أن يقفوا مع أفعال النبيﷺ ومعاملته وسيرته وهديه مع الأطفال، وقفات تأمل وتفكر. ويستخلصوا منها الطرق التربوية الكفيلة بصون الطفل وحفظه في فكره، وسلوكه وأخلاقه، وعقيدته وتصرفاته.)[3].

والبناء العاطفي الذي ينبغي تأسيسه في نفس الناشئة.لا يكون فقط بإحاطتهم بنسمات عاطفية، وإنما أيضا: بيان مفهوم العاطفة، وأنواعها أو مواطنها بين الناس، ودرجات هذه المواطن، ومدى أهميتها في كل موطن.فينبغي أن يوجه الناشئ في كيفية استقباله لها وتعامله معها. وكيفية بيانه لعاطفته حسب كل جهة وبالكيفية والقدر اللازمين، كي يتقي الانحراف العاطفي الذي هو سبب أغلب الانحرافات بين الناس.

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الناس والبهائم، ح(6011)، 10/8.

مسلم: الصحيح ، البر والصلة والآداب ، تراحم المؤمنين وتعاطفهم ،ح(2586)، 1999/4.

[2]: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط1، دار البيان العربي، القاهرة، 1421هـ- 2002م، ص:129.

[3]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص: 236.

المطلب السابع: البناء الجسمي.

التربية الجسمية في الإسلام هي:(عملية حفظ وتنمية الجانب البدني، ليقوم بدوره الذي خلق من أجله)[1]. والإسلام لا يرى الجسم طاقة حيوية لتلبية الرغبات الدنيوية فحسب، ولا هو معبود غرائزه الشهوانية خُلِقَ وسيلة لخدمتها.

فالإسلام لا ينظر للجسد من زاويته المادية بل هو يمزج في نظرته إليه بين المادة والروح المكون منهما ليدرك غايته الوجودية ووظيفته الرسالية. قال تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف/179].

والتربية الجسمية لا يقصد منها ما يحمله الجسم من(...عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب، وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس. طاقة الدوافع الفطرية والنزوعات والانفعالات...طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق)[2].

وإذا كانت التربية الجسمية بهذا المعنى الواسع فهي بذلك تشمل كل الأبنية التي تلزم الإنسان وتحيط به، فمن جانبه الروحاني العقدي، إلى الفكري، إلى الأخلاقي، والاجتماعي، إلى غيرها. وإذا كان الأمر على هذا النحو فإن المقام لا يقتضي منّا العودة إلى ما سبق ذكره منها. وإنما يكون الكلام في هذا الجزء عن الجسم كقوة بدنية يجب العناية بها لتسمح لبقية الجوانب الأخرى أن تبنى على وجهها الأكمل والأصح.

والجسم إن كان صحيحًا سليمًا تمكن من أداء وظائفه الدينية والدنيوية المنوطة به، وإن كان غير ذلك تَزَعزَعَ كل ما يتصل بالجسد في وظيفته. وعلى رأسها العبادة قال رسول اللهﷺ:« **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعُك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قُل قدر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان** »[3]. قال النووي في شرح الحديث:(والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشدّ عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله

---

[1]: خالد بن حامد الحازمي: من أهداف التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ-2002م، ص:97.

[2]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 104/1.

[3]: مسلم: الصحيح، القدر، في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله..، ح(2664)، 2052/4.

تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات...)[1].

(...ومن المعلوم بداهة أنّ الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال، وتربى على الفجور والمنكر، ودرج على الهزل وعدم الاكتراث...فإنّ شخصيته تتحطم، ونفسيته تتعقد وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض)[2].

وعليه فإنّ البناء الجسماني مهم جدًا، ولا بدّ من إعطائه نصيبه من العناية. ولا بدّ أن تبدأ هذه العناية منذ الصغر كسائر الأبنية اللازمة للإنسان.

(...وحيث إنّ الطفولة البشرية هي أطول الطفولات بين الكائنات الحية، حيث إنّ نمو العضلات ونمو الجسم كلّه يكون في هذه الفترة، إذ بعدها يصعب على الجسم أن ينمو أكثر أو يقوي بشكل أجود.)[3].

وتقوية الجسم في جوارحه وأعضائه هي عملية(...يقوم الفرد (أو من يرعاه) خلالها بنشاط جسمي منظم بهدف تنمية قدرات الجسم المختلفة، وزيادة كفاءته الحركية، فهي تهدف إلى المحافظة على الجسم قويًا نشيطا قادرًا...)[4]. والإسلام قد دعا إلى تقوية البدن فقد كفل المسألة بجملة من الضوابط أساسها عدم الإضرار بالجسم في الحال أو المآل وعدم الإضرار بالغير فيه.

(إنّ تربية الجسم وسيلة لغاية قد تكون واجبة أو مستحبة أو محرمة أو مكروهة أو مباحة، فتأخذ الوسيلة حكم الهدف والغاية...)[5].

وعليه فإنّه لا خيار للممارسات الرياضية بعيدًا عن المنهج الإسلامي، والأسلوب الرياضي لا يعطي ثماره الزكيّة المطلوبة إلاّ إذا كان ممزوجًا بالتعليمات والمبادئ الإسلامية[6]. والإسلام قد(حرّم أنواعًا معينة من اللهو لأضرارها الروحية والنفسية والخلقية والاجتماعية...فإنّه في الوقت نفسه فتح أبوابًا كثيرةً من اللهو المباح ترفيهًا عن أبناء الإسلام، وترويحًا لهم حتى ينشطوا للواجبات والقيام بالمسؤوليات من ناحية، وحتى يتدربوا على معاني القوة...)[7].

ومن جملة ما دعا إليه الإسلام لتحقيق البناء الجسمي الصحيح، ما جاء في مضامين المنهـــج النبوي،

---

[1]: النووي: شرح صحيح مسلم، 382/8.

[2]: عبد الله ناصح علون: تربية الأولاد في الإسلام، 167/1.

[3]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 781/2.

[4]: حنان بنت عطية الطوري : الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، 65/1 .

[5]:خالد بن حامد الحازمي: من أهداف التربية الإسلامية، ص:98.

[6]: ينظر: عبد الله ناصح علوان: المرجع السابق، 650/2.

[7]: المرجع نفسه، 678/2.

ومنها: دعوة النبيﷺ إلى توفير متطلبات الجسم الأساسية للأولاد. فعن عقبة بن عامرﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول:« **من كان له ثلاث بنات فصبر عليهنَّ وأطعمهنَّ وسقاهنَّ وكساهنَّ من جدته كنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة** »[1].

وقال رسول اللهﷺ:« **دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدَّقت به على مسكين ودينار أنفقتَهُ على أهلك أعظمُها أجرا الذي أنفقْتَه على أهلك** »[2].

وفي ذلك تصديق لقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة/233].

(وإذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل والإنفاق على العيال...فإنّ عليه بالتالي الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق، وقتَّر على الأهل والأولاد وهو مستطيع...)[3]. وذلك في قولهﷺ:« **كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع من يَقُوت** »[4].

وأيضا الدعوة إلى ممارسة مختلف الرياضات البدنية المشروعة ولقد(حضَّ الإسلام على تعليم الأولاد رياضات معينة لأنّ لها دورًا خاصًا ومهمًا في حياة الطفل الحالية والمستقبلية لما تُحدِثُه من ثقة في نفسه وقوة في شخصيته)[5]. فعن أبي هريرةﷺ قال:« **بينا الحبشة يلعبون عند النبيﷺ بحرابِهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فَحَصَبهم بها فقال: دعهم يا عمر** »[6].

وقد جاء في عدد من الأحاديث أنّ النبيﷺ كان يفضل الرمي من بين الرياضات. فروى عقبة بن عامر قال: سمعت رسول اللهﷺ وهو على المنبر يقول:«﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾. **ألا إنّ القوّة الرّمي ألا إنّ القوّة الرّمي ألا إنّ القوّة الرّمي** »[7].[الأنفال/60]

---

[1]: سبق تخريجه، ص:153.

[2]: مسلم: الصحيح، الزكاة، فضل الصدقة على العيال والمملوك، ح(995)، 692/2.

[3]: عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، 161/1.

[4]: أبو داود: السنن، الزكاة، في صلة الرحم، ح(1694)، 59/2.

أحمد: المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(6495)، 36/11.

الحاكم: المستدرك، الزكاة، وأما حديث محمد بن أبي حفصة، ح(1515)، 114/1. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد،ولم يخرجاه)

[5]: أحمد خالد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص: 242.

[6]: البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، اللهو بالحراب ونحوها، ح(2901)، 38/4.

مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، ح(893)، 610/2.

[7]: مسلم: الصحيح، الإمارة، فضل الرمي والحث عليه، ح(1917)، 1522/3.

وعن سلمة بن الأكوعﷺ، قال:« **مرَّ النبيﷺ على نفر من أسلم يَنتَضِلُون فقال النبيﷺ: ارمُوا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً ارمُوا وأنا مع بني فلان. قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم. فقال رسول اللهﷺ ما لكم لا ترمون قالوا: كيف نرمي وأنت معهم. قال النبيﷺ: ارمُوا فأنا معكم كلكم**»[1]. قال الشوكاني:(واللعب بالحراب ليس لعبا مجردا، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب، والاستعداد للعدو)[2]. ومن وسائل المنهج النبوي أيضا: ملاعبته لمن حوله.(والإسلام دين الفطرة، فاللهﷻ فطر الناس على أمور كثيرة وجعل الإسلام متمشيًا ومقرًا لما يصدر عن الفِطَرِ السليمة، فاللعب طبيعة فطرية في الطفل جعلها الله غريزة في نفسه لينمو جسمه نموًا طبيعيًا بشكل قوي وسليم)[3]. كما أنّ(...منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما يميت القلب، ويبطل ذكاءه، وينغص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا)[4].

عن عبد الله بن الحارثﷺ قال:« **كان رسول اللهﷺ يصف عبد الله وعُبيد الله وكثيرًا من بني العباس ثم يقول: من سبق إلي فله كذا وكذا. قال فَيَستَبقُون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيُقَبِّلُهم ويلزمُهم**»[5].

وعن عائشة (رضي الله عنها):« **أنها كانت مع النبيﷺ في سفر قالت: فسابَقتُه فسَبقتُه على رجلي فلما حملتُ اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك السَّبقَة** »[6].

وعنها أيضًا، قالت:« **رأيت النبيﷺ يَستُرني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أَسْأم فَاقدُروا قَدْرَ الجارية الحديثة السِّنِّ الحريصة على اللّهو** »[7].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، التحريض على الرمي، ح(2899)، 38/4.

[2]: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية، 414/12.

[3]: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ص: 242.

[4]: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 781/2.

[5]: أحمد: المسند، حديث تمام بن العباس بن عبد المطلب، ح(1836)، 335/3. قال الهيثمي:(إسناده حسن)، ينظر: مجمع الزوائد، ح(15537)، 465/9. وقال الألباني:(ضعيف)، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ح(6547)، 115/14.

[6]: أبو داود: السنن، الجهاد في السبق على الرجل، ح(2578)،140/7. قال الألباني:(وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير الأنطاكي، وهو ثقة)،ينظر:صحيح أبي داود، ح(2323)، 329/7.

[7]: البخاري: الصحيح، النكاح، نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم، ح(5236)، 38/7.

مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، ح(892)، 609/2.

ومن وسائله أيضا: تمرين الجسم عن طريق أدائه العبادات، فالعبادات جميعا فيها بعث للطاقة الحيوية في الجسم وتنشيط له، فالصلاة وتوزيع أوقاتها على اليوم والليلة وطريقة أدائها من قيام وركوع وسجود. وكذا الصيام وأسراره الصحية وكذا الحج في طوافه وسعيه ووقوفه، وغير ذلك. كلها تحمل في طياتها حيويةً تزيد الجسم قوة ونشاطًا وتجديدًا.

قال رسول اللهﷺ:« **مرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقُوا بينهم في المضاجع** »[1].

ومن وسائل العناية بالجانب الصحي للإنسان تحريم الإسلام للمحرمات عناية بالجسد وصيانة له من الهلاك. وإنزال الدواء له لكل داء. قال رسول اللهﷺ:« **لكلِّ داءٍ دواءٌ فإذا أُصيب دواء الدَّاء برأ بإذن اللهﷻ** »[2]. وفي مقابل تحريمه الخبائث المضرة، من لحم الخنزير والخمر والزنا وغيرها أحلَّ للإنسان الكثير من الطيبات التي يمكن له أن يجول فيها ويستغني بها عن الحرام، قالﷻ:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ** ﴾[سبأ/15].

وقال تعالى:﴿ **قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ** ﴾[الأعراف/32]. وقال تعالى:﴿ **نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ** ﴾[البقرة/223]. وفي ذلك قولهﷺ:« **وفي بُضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر؟. قال: أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وِزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرًا** »[3]

فقد حرّم الإسلام ما يضر بالصحة وأحلّ لها ما ينفعها. وممّا أرشد إليه النبيﷺ في الوقاية الصحية النهي عن التنفس في الإناء، ففي الصحيحين عن أبي قتادةرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ:« **نهى أن يُتَنَفَّس في الإناء**»[4]. وفي رواية عن أنسرضي الله عنه، قال:« **كان رسول اللهﷺ يتنفَّسُ في الشَّراب ثلاثا ويقول إنه أَرْوَى**

---

[1]: سبق تخريجه، ص: 120.

[2]: مسلم: الصحيح، السلام، لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح(2204)، 1729/4.

[3]: سبق تخريجه، ينظر: ص: 105.

[4]: البخاري: الصحيح، الأشربة، النهي عن التنفس في الإناء، ح(5630)، 112/7.
مسلم: الصحيح، الأشربة، كراهة التنفس في نفس الإناء، ح(267)، 1602/3.

وأَبْرَأ وأَمْرَأُ»[1]. وذلك أنّ النفس تعود مع الإناء عند التنفس فيه، وقد تعود معها بعض الأمراض المعْدِية التي قد تكون في الشارب من الإناء.

ومن ذلك أيضًا منع رسول اللهﷺ زيارة المريض للصحيح كي لا ينقل المرض إليه وإلى أهل بيته ذلك أنّ بعض الأجسام ضعيفة المقاومة للأمراض. قال رسول اللهﷺ:« **لا يُوردَنَّ مُمرِضٌ على مُصِحٍّ** »[2].

وممّا أرشد إليه رسول اللهﷺ في صحة الجسم ووقايته من العلل، ما رواه أبو هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لا يَشربنَّ أحد منكم قائماً فمن نَسي فَليَستَقِئ** »[3].

ومن التربية الجسدية تنظيم أوقات التمتع بالحلال، فمثلا الأكل والشرب يفيد الجسم بل وضروري له، ولكنّ تناوله في كل وقت وحين مضرة له، فيلزم تنظيم وقته وتناوله وقت الحاجة وعلى قدرها، كما قال رسول اللهﷺ:« **ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بَطنٍ بحسب ابن آدم أُكُلات يُقِمن صُلبَه فإن كان لا محالة فَثُلث لطعامه وثُلث لِشَرابه وَثُلث لِنَفسه** »[4].

(والإسلام صريح غاية الصراحة في معالجة الأمور الجسدية، في الغسل والوضوء. كما هو صريح في معالجة الأمور الجنسية،﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾[البقرة/222])[5] فكل من غريزة الأكل والشرب والنوم، والغريزة الجنسية وغريزة اللعب...هي غرائز تحتاج إلى تنظيم ورعاية، وتلبية سليمة لحاجاتها، تتصل بشكل مباشر بالجسد. فرعايتها من رعايته ورعايته من رعايتها.

وخلاصة القول أنّ العناية بالجسم من حيث متطلباته أمر ضروري وحتمي، ليتمكن من القيام بدوره في جميع المجالات وعلى رأسها العبادة. وكذا ليَحْدُث التوازن في جسم الإنسان، وتتمكن باقي الأبنية من التفاعل الناجع وتكتمل قدرة الإنسان لموجهة التحديات والمغريات الموجودة في زمانه.

---

[1]: مسلم: الصحيح، الأشربة، كراهة التنفس في نفس الإناء، ح(2028)، 1602/3.

[2]: البخاري: الصحيح، الطب، لا هامة، ح(5770)، 138/7.

مسلم: الصحيح، السلام، لا عدوى ولا طيرة ولا هامة..، ح(2221)، 1743/4.

[3]: مسلم: الصحيح، الأشربة، كراهة الشرب قائمًا، ح(2026)، 1601/3.

[4]: الترمذي: السنن، الزهد، ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ح(2380)، 590/4.

ابن ماجه: السنن، الأطعمة، الاقتصاد في الكل وكراهة الشبع، ح(3349)، 1111/2.

الحاكم: المستدرك، الرقاق، ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه..،ح(7945)، 331/4. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

وقال الحاكم:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

[5]: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، 105/1.

الفصل الرابع

تهذيب الغرائز في السنة النبوية ونماذج من الغرائز وتعامل السنة معها

المبحث الأول: تهذيب الغرائز في السنة النبوية.

المبحث الثاني: نماذج من الغرائز وتعامل السنة معها.

يتناول هذا الفصل مبحثين، الأول في منهج السنة النبوية في تهذيب الغرائز بعد انحرافها. والثاني في نماذج من الغرائز وكيفية تعامل السنة معها في جميع أحوالها ومظاهرها.

المبحث الأول: تهذيب الغرائز في السنة النبوية.

يمر تهذيب الغرائز في التشريع الإسلامي عبر وسائل ومراحل من الترغيب والترهيب، عن طريق النصح والإرشاد، وعرض التوبة عليه قبل إيقاع العقوبة المقدرة لنوع الجرم الذي ارتكبه.

والأصل أنّ تهذيب الغرائز في الإسلام يتم أولاً عن طريق البناء الصحيح والسليم لشخصية الفرد منذ الطفولة في جميع جوانب حياته. فإن جنحت إحدى الغرائز بعد ذلك عن منهج الاعتدال الذي نُظّم لها لتسير فيه، كان لا بدّ حينذاك من تهذيبها لتصحيح مسارها بأحد الطرق المناسبة والمشروعة.

المطلب الأول: تهذيب الغرائز بالترغيب.

ويكون ذلك عن طريق النصح والإرشاد والتوجيه، وبيان الخطأ الكامن خلف السلوك الغريزي المنحرف والدعوة إلى تصحيحه وتقويم السلوك، وأيضًا بالدعوة إلى التوبة والاستغفار من الجرم الذي أحدثه على نفسه أو غيره بالاستسلام للغرائز والانصياع لها بعيدًا عن الضوابط الشرعية.

الفرع الأول: الترغيب بالنصح والإرشاد.

إنَّ من حكمة التشريع الإسلامي أنّه يدعو أولاً إلى الإصلاح والاستقامة وتقويم السلوك بطرق حِوَارية بَنَّاءة، قبل تقريع العقوبة عليه (فما دام التوصل إلى الإصلاح بغير الضرب ممكنًا، فلا يُصار إلى الضرب...)[1]. و(...المربي في المنهج الإسلامي لن يلجأ إلى العقوبة الحسية إلا حين يستنفذ كل الوسائل الأخرى ...وعلى هذا...بنى ابن خلدون قوله في مقدمته:"فصل في أنّ الشدة على المتعلمين مضرة بهم"...)[2]. أي أنّ استعمال العنف بشكل دائم وفي جميع الأحوال مضرة بالمتعلمين، فلابدّ أن يُمزج أسلوب التعليم والتربية بين الترغيب والترهيب، بترتيب أولوي وبما تستوجبه كل حالة.

ولذلك جعل علماء التربية المسلمون التهذيب على مراحل هي:(النصح والإرشاد، ثم التأنيب على اِنفراد، ثم تقريع على رؤوس الأشهاد، ثم الضرب في آخر الأمر إذا لم تصلح جميع الإجراءات السابقة)[3].

---

[1]: مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ص:170.

[2]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:268.

[3]: المرجع نفسه، ص:236.

وهذا هو المنهج التربوي الذي أُثِرَ على النبيﷺ، فعن عائشة (رضي الله عنها) أنَّها قالت:« **ما خُيِّرَ رسول اللهﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انْتَقم رسول اللهﷺ لنفسه إلا أن تُنْتَهك حُرمَة الله فينتقم لله بها** »[1].

وهوﷺ يدعو إلى الرفق في الأمور كلها، ومن الرفق: النصح والإرشاد قبل العقاب. قالﷺ:« **إنّ الرِّفق لا يكون في شيء إلا زَانَه ولا يُنزع من شيء إلا شانه** »[2]. وقولهﷺ:« **من يُحرَم الرِّفق يُحرم الخير**»[3].

ومن توجيهاتهﷺ التعليمية في التربية التي تضمنت الرفق، قولهﷺ:« **علِّمُوا ويسِّرُوا ولا تعسِّرُوا وإذا غضب أحدكم فليسكت** »[4].

وأُثر عليهﷺ من السنة العملية أنّهﷺ:« **ما ضرب رسول اللهﷺ شيئًا قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يُجاهد في سبيل الله وما نِيلَ منه شيء قطُّ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم للهﷻ** »[5].

واستعمال النصح والإرشاد أولاً عائد للمقصد الأساسي من التهذيب في حدّ ذاته وهو الإصلاح. فلا حاجة لإنزال العقوبة الحسية ما دام النصح قد حقّق المقصد.

ومما يساعد على نجاعة الأسلوب التهذيبي، معرفة طبيعة النفس، وتحديد الأسلوب المناسب لاستقامة نوع الغريزة المنحرفة حسب درجة انحرافها(..وذلك لأنّ الجبلات مختلفة، بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول، إضافة إلى أنّ منها ما هو أقدم وجودًا من الأخر، فإنّ قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان، ولكنّ أصعبها مراسًا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة، فإنها أقدم وجودًا. وعليه فإنّ طريقة المجاهدة والرياضة تختلف من إنسان لآخر بحسب اِختلاف أحواله)[6]. وكما يقول الإمام الغزالي:(لا يغني

---

[1]: البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبيﷺ ح(3560)، 189/4.
مسلم: الصحيح، الفضائل، مباعدته ﷺ للآثام، ح(2327)، 1813/4.

[2]: مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الرفق، ح(2594)، 2004/4.

[3]: مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الرفق، ح (2592)، 2003/4.

[4]: أحمد: المسند، بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2136)، 39/4. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح(245)، 95/1. وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(1375)، 363/3.

[5]: مسلم: الصحيح، الفضائل، مباعدته ﷺ للآثام، ح(2328)، 1814/4.

[6]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:55.

علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكنّ المباشرة دون العلم غير ممكن)[1].

ومما جاء من نماذج في المنهج النبوي في تهذيب الغرائز بالترغيب عن طريق النصح والإرشاد.

عن رافع بن عمروﷺ قال:« **كنت أرمي نخل الأنصار فأخذوني فذهبوا بي إلى النبيﷺ فقال: يا رافع لم ترمي نخلهم قال:قلت يا رسول الله الجوع.قال: لا ترم وكل ما وقع أشبعك الله وأرواك** »[2].

ففي هذا الحديث يوجه النبيﷺ في طريقة إشباعه لغريزة الأكل، فبين له أنّ الأسلوب الذي استعمله خاطئ، برميه للحجارة على النخل وأنّ عليه الأكل وإشباع حاجته بما هو مشروع، أي بالتقاط ما هو ساقط على الأرض، ولم يلجأ النبيﷺ إلى التعنيف عليه لأنّ الأمر لم يستدعِ أكثر من توجيهه وإرشاده.

عن أبي هريرةﷺ أنّ رسولﷺ قال:« **أنّ رسول اللهﷺ قال: والذي نفسي بيده لقد هممتُ أن آمُر بحطب فيُحطَب ثم آمُر بالصلاة فيُؤذَّن لها ثم آمُر رجلا فَيَؤُمَّ الناس ثم أُخالف إلى رجال فأُحرِّق عليهم بيوتهم. والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مِرْمَاتَيْنِ[3] حَسَنتين لشهد العِشَاء** »[4]. قال ابن حجر في شرح الحديث:(وفي الحديث...تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة، وسِرّه أنّ المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفي به من الأعلى من العقوبة...)[5]. فالنبيﷺ لم يوقع عليهم العقوبة ولكنّه قَدَّم لهم تهديدًا على فعلهم، لتخويفهم وزجرهم.

وورد عن النبيﷺ من أساليب التوجيه والإرشاد أنّه كان إذا ما رأى أمرًا ينكره من أعمال الناس وأقوالهم خَطَبَهُم فيه ونبههم عليه، وكان في غالب خطابه لهم عند ذلك أن يبتدئه بصيغة:"ما بال أقوام.."، وقد جاءت في عدة مواقف يريد بها النبيﷺ الإنكار عليهم أو التوبيخ على ما صدر منهم. وهي عمومًا يراد بها تصحيح اعتقادهم وعملهم في ذلك الأمر.

وجاء في تصحيح سلوك الناس مع الغرائز بهذه الصيغة، عن أنسﷺ:« **أنّ نَفرًا من أصحاب النبيﷺ سألوا أزواج النبيﷺ عن عمله في السِّر فقال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا آكل اللحم**

---

[1]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: 54/1.

[2]: الترمذي: السنن، البيوع، ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار، ح(1288)، 548/3. وقال:(حسن غريب صحيح).

[3]: المرماتين:(وهُما مَا بَيْنَ ظِلْفَيِ الشّاةِ، ويُقال: مَرْمَاةٌ أيضاً.). ينظر: الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، مادة" واي"، 443/2.

[4]: البخاري: الصحيح، الأذان، وجوب صلاة الجماعة، ح(644). 131/1.

مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد، ح(1040)، 379/3.

[5]: ابن حجر: فتح الباري، 170/2.

وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ! لكني أُصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء. فمن رغب عن سُنّتي فليس مني »[1].

وحديث أبي حميد الساعديﷺ، قال:« **استعمل النبيﷺ رجلا من بني أسد يُقال له ابن الأُتَبِيَّة على صدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدِي لي فقام النبيﷺ على المنبر قال سفيان أيضا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لك وهذا لي فهلاَّ جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا. والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رُغَاء أو بقرة لها خُوار أو شاة تَيْعَر ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرَتَيْ إبطَيه ألا هل بلغت ثلاثًا** »[2]. وفي هذا الحديث توجيه لغريزة التملك، فالأصل أنّ المرء لا يتملك أيّ شيء إلا بحقه، بعيدًا عن الرشوة والسرقة والربا، والنبيﷺ وبَّخَ العامل على قبوله الهدية، لأنها لم تكن من عملٍ قام به، أو جاءته من محبة خاصةٍ له، بل قُدِّمت إليه لعلاقته بعمله، ولذلك أنكر عليه النبيﷺ.

وأيضًا ما جاء في قصة الشاب الذي أراد الزنا فجاء يطلب الإذن فيه من النبي ﷺ[3]. ولكنّ النبيﷺ لم يوبخه ولم يعاقبه على قوله ولكن وَجَّه فكره في أمر الزنا إلى أمرٍ كان نوعًا ما خفيًا عليه عند طلبه له. ذلك أنّ كل فرد غيور على عرضه، كما هو غيور عليه، يأبى أن يخدشه أحد. والأمر لا يتوقف فقط عند مجرد الشهوة كما خطر بباله بادئ الأمر.

وخلاصة الكلام أنّ النبيﷺ كان يستعمل أسلوب الترغيب من الوعظ والإرشاد والنصح والتوجيه الفكري والتصحيح الاعتقادي، ونحوها في الحالات التي لا تستوجب غير ذلك، أو أكثر منه.

الفرع الثاني: الترغيب بالتوبة والاستغفار.

دعا رسول اللهﷺ إلى التوبة والاستغفار من الذنب أيًّا كان عِظمه ونوعه. وحثّ على ذلك في كثير من الأحاديث لأنّ في التوبة تصحيح للسلوك واستقامة للفرد. إلى جانب ملاقاته لله تعالى طاهرًا من الذنوب متخلصًا منها بتوبته. وشعور التخلص من الذنب يبعث في النفس راحةً وطمأنينة تجدد حياة الإنسان وتقوي في نفسه العزيمة والإرادة في مقاومة مغريات الهوى الغريزي.

---

[1]: سبق تخريجه، ص: 104.

[2]: البخاري: الصحيح، الأحكام، هدايا العمال، ح(7174)، 70/9.

مسلم: الصحيح، الإمارة، تحريم هدايا العمال، ح(1832)، 1463/3.

[3]: سبق تخريجه، ص: 82.

(هذه هي التربية البناءة الحقيقية التي تحرص على فتح سبيل إصلاح المنحرفين باستمرار ليرجعوا عن غَيِّهم، ويتركوا ضلالهم، ويعودوا إلى مجتمعهم أعضاء صالحين عاملين على الخير والبر والتقوى.)[1].

والتوبة دستور إلهيٌ جعله اللهﷻ فرصة لعباده المذنبين كي يعودوا إلى صراطه المستقيم.قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[التوبة/104]

ومما ورد من أحاديث نبوية تحثّ على توبة المذنب، ومنه من وقع في الذنب جرّاء اتباعه لغرائزه، فإنّ من كبائر الذنوب التي يقع فيها ابن آدم يكون سببها اللذة الغريزية، أو ينجرُّ عنها انحراف لغريزة.

عن أبي بكرﷺ أنّ رسول اللهﷺ قال:« **ما من عبد يُذنب ذنباً فَيُحسن الطُّهُور ثم يقوم فيصلّي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾**[آل عمران/135] **إلى آخر الآية.**»[2].

وعن جُندَبﷺ أنّ رسول اللهﷺ حدَّث:« **أنّ رجلا قال: والله! لا يغفر الله لفلان. وإنّ الله تعالى قال: من ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك.أو كما قال** »[3].

ومما ورد عن رسول اللهﷺ أيضا في الحثّ على التوبة من الذنب حتى ولو كان حديث نفس بالإثم، ما رُوي عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: سألت عائشة عمّا كان رسول اللهﷺ يدعو به الله، قالت: كان يقول:« **اللهم إني أعوذ بك من شرّ ما عملتُ ومن شرّ ما لم أعمل** »[4].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:« **يا أيّها الناس تُوبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة** »[5].

وأكثر الذنوب والخطايا التي تصدر من بني آدم يكون سببها الشهوات والغرائز فإنها أكبر مداخل

---

[1]: الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: 231.

[2]: أبو داود: السنن، الصلاة، في الاستغفار، ح(1523)، 561/1.

الترمذي: السنن، الصلاة، ما جاء في الاستغفار عند التوبة، ح(406)، 257/2.

ابن ماجه: السنن، إقامة الصلاة والسنة فيها، ما جاء في أن الصلاة كفارة،ح(1395)،446/1. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(10676)، 1068/1.

[3]: مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب. النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، ح(2621)، 2023/4.

[4]: مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح(2716)، 2085/4.

[5]: مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح(2702)، 2075/4.

الشيطان للإيقاع بهم. ومن ذلك أكل آدم من الشجرة رغم نهي اللهﷻ له عن ذلك.ومقتل قابيل لهابيل. وهما أول ذنبين وقعا في بني آدم، وتظلّ الشهوات سبب لانزلاق الإنسان في الخطايا إلى قيام الساعة، كما أخبر النبيﷺ عن كثرة الفتن آخر الزمان. ولذلك يلزم الإنسان دائمًا إذا ما أذنب ذنبًا أن يعود إلى الله تعالى ويستغفره، يقول تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة/37]

عن أنس ابن مالكﷺ، قال:«**كنت عند النبيﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أَصَبتُ حدًّا فَأَقِمهُ عليَّ. قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة فصلّى مع النبيﷺ فلما قضى النبيﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله إني أَصَبتُ حدًّا فأقم فيَّ كتاب الله. قال: أليس قد صليت معنا. قال: نعم. قال فإن الله قد غفر لك ذنبك أو قال حدَّك.**»[1].

وقد جاء في عمل النبيﷺ مع الرجل أقوال كثيرة، منها ما ذكره المنذري:(...وقيل هو على وجهه وإنما لم يحده لأنّه لم يفسر الحدّ فيما لزمه فسكت عنه النبيﷺ ولم يستفسره لئلا يجب عليه الحدّ. قالوا وفيه حجّة على ترك الاستفسار وأنّه لا يلزم الإمام إذا كان محتمَلاً، بل قد نبَّه النبيﷺ المقِر في غير هذا الحديث على الرجوع بقولهﷺ « **لَعلَّك لمستَ أو قبَّلَت** »، مبالغة في الستر على المسلمين..)[2].

وهذا موافق لما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن النبيﷺ، قالت: قال رسولﷺ:« **ادْرَءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلُّوا سبيله فإنّ الإمام أن يُخطئ في العفو خير من أن يُخطئ في العقوبة** »[3]. وقد قالﷺ أيضا:« **تَعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حدٍّ فقدْ وجب** »[4].

وروي عن أبي هريرةﷺ قال:« **أتى رسول اللهﷺ رجل من الناس وهو في المسجد فناداه يا رسول الله:**

---

[1]: البخاري: الصحيح، المحاربين من أهل الكفر، إذا أقر بالكفر...، ح(6823)، 166/8.

مسلم: الصحيح، التوبة، قوله تعالى:"إن الحسنات يذهبن السيئات"، ح(2764)، 2117/4.

[2]: أبو الطيب العظيم آبادي المنذري: عون المعبود شرح سنن أبي داود، 31/11.

[3]: الترمذي: السنن، أبواب الحدود، ما جاء في درء الحدود، ح(1424)، 33/4.

الحاكم: المستدرك، الحدود،وأما حديث شرحبيل بن أرس،ح(8163)، 384/4. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

[4]: أبو داود: السنن، الحدود، العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، ح(4378)، 232/4.

النسائي: السنن، قطع السارق، ما يكون حرزًا وما لا يكون، ح(4885)، 70/8.

الحاكم: المستدرك، الحدود، وأما حديث شرحبيل، ح(8156)، 383/4. قال الألباني:(حسن)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(5265)، 527/1.

إني زنيت يريد نفسه. فأعرض عنه النبيﷺ فتنحى لشقِّ وجهه الذي أعرض قبله، فقال: يا رسول الله: إني زنيت فأعرض عنه، فجاء لشقِّ وجه النبيﷺ الذي أعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبيﷺ فقال: أبك جنون؟ قال: لا يا رسول الله. فقال: أحصنت؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: اذهبوا به فارجموه »[1].

قال ابن حجر:(ويؤخذ من قضيته أنّه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز. وأنّ من أطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا ولا يفضحه، ولا يرفعه إلى الإمام...)[2]. وقال ابن العربي:(هذا كله في غير المجاهر، فأمّا إذا كان متظاهرًا بالفاحشة مجاهرًا فإني أُحِبُّ مكاشفته والتبريح به لينزجر هو وغيره.)[3].

عن يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه:« **كان ماعز بن مالك يتيمًا في حجر أبي فأصاب جاريةً من الحي فقال له أبي ائْتِ رسول اللهﷺ فأخبره بما صنعت لعلّه يستغفر لك وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجا فأتاه فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم علي كتاب الله. فأعرض عنه فعاد فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله. فأعرض عنه فعاد. فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله. حتى قالها أربع مرار. قالﷺ: إنك قد قُلتَها أربع مرات فبمن؟. قال: بفلانة. فقال: هل ضاجعتها؟. قال: نعم. قال: هل باشرتها؟. قال: نعم. قال: هل جامعتها؟. قال: نعم قال: فأمر به أن يُرجَم فأُخرِج به إلى الحرَّة فلما رُجِم فوجد مسَّ الحجارة جَزِع فخرج يَشتدُّ فلَقِيه عبد الله بن أُنَيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله. ثم أتى النبيﷺ فذكر ذلك له فقال: هلاَّ تركتموه لعلّه أن يتوب فيتوب الله عليه.»**[4].

روى مالك عن صفوان بن عبد الله بن صفوان:« **أنّ صفوان بن أُميَّة قيل له إنّه من لم يُهاجر هلك. فقدم صفوان بن أُميَّة المدينة فنام في المسجد وتوسَّدَ رِدَاءه فجاء سارق فأخذ رِدَاءه. فأخذ صفوان السَّارق فجاء به إلى رسول اللهﷺ فأمر به رسول اللهﷺ أن تُقطَع يده فقال له صفوان: إنـــي لم أُرِد**

---

[1]: البخاري: الصحيح، الحدود، سؤال الإمام المقر: هل أحصنت؟، ح(6825)، 167/8.
مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالزنا، ح(1691)، 1318/3.

[2]: ابن حجر: فتح الباري، 152/12.

[3]: االمصدر نفسه.

[4]: البخاري: الصحيح، الحدود، هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو قبلت أو غمزت، ح(6825)، 167/8.
مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالونا، ح(1694)، 1320/3.

هذا يا رسول الله، هو عليه صدقة. فقال رسول اللهﷺ: فهلاّ قبل أن تأتيني به.»[1].

ورُوي عن زيد بن أسلم: « **أنّ رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول اللهﷺ فدعى له رسول اللهﷺ بسوط فأُتِي بسوط مكسور فقال: فوق هذا فأُتيَ بسوط جديد لم تُقطَع ثمرتُه فقال: دون هذا فأُتيَ بسوط قد رُكب به ولان فأمر به رسول اللهﷺ فجُلد ثم قال: أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يُبدي لنا صفحته نُقِم عليه كتاب الله.**»[2].

وقد كان رسول اللهﷺ يحثّ على التوبة ويدعو لها حتى بعد نيل المذنب لعقوبته. لما في التوبة النصوح من منع صاحبها من العودة للذنب. فعن أبي أمية المخزوميرضي الله عنه:« **أنّ النبيﷺ أُتيَ بلصٍّ قد اعترف اعترافًا ولم يُوجد معه متاعٌ. فقال رسول اللهﷺ ما إِخَالُك سرقت قال: بلى. فأعاد عليه مرَّتين أو ثلاثًا. فأمر به فقطع وجيء به فقال: استغفر الله وَتُب إليه. فقال: أستغفر الله وأتوب إليه فقال: اللهم تُب عليه ثلاثًا** »[3]. قال الشوكاني:(فيه دليل على أمر المحدود بالاستغفار والدعاء له بالتوبة...وفيه دليل على أنه يستحب تلقين ما يسقط الحد)[4]. فالتوبة علامة قوية على صلاح الفرد واستقامة سلوكه، وهذا هو المقصد الرباني، وأساس الدعوة المحمدية، والمغزى من اتخاذ القدوة الحسنة.

وخلاصة القول أنّ النبيﷺ كان يحرص على التوبة والاستغفار قبل إيقاع العقوبة على المذنبين في جرائم الحدود أو ما دونها. لأنها الأصل والمبتغى من مراجعة الناس في أعمالهم غير الشرعية، سواء بالنصح والإرشاد، أو بتقريع العقوبة عليهم.

---

[1]: النسائي: السنن، قطع السارق، ما يكون حرزا وما لا يكون، ح(4884)، 70/8.

مالك: الموطأ، الحدود، ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان،ح(1521)،ص:514. قال الألباني:(صحيح)، ينظر:صحيح ابن ماجه، ح(2585)، 88/2.

[2]: مالك: الموطأ، الحدود، ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا، ح(1503)، ص:508.

الحاكم: المستدرك، الحدود، وأما حديث شرحبيل بن أوس،ح(8158)،383/4. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

[3]: أبو داود: السنن، الحدود، رجم ماعز بن مالك، ح(4382)، 234/4.

النسائي: السنن، قطع السارق، تلقين السارق، ح(4877)، 67/8.

ابن ماجه: السنن، الحدود، تلقين السارق، ح(2597)، 866/2. قال الألباني: (ضعيف)، ينظر: ضعيف أبي داود، ح(3807)، 435/1.

[4]: الشوكاني: نيل الأوطار، 180/7.

المطلب الثاني: تهذيب الغرائز بالترهيب.

والترهيب يقع عندما لا يُجدي الترغيب ولا ينفع في تقويم سلوك الغريزة . فيلجأ إلى تقريع العقوبة عليه لردعه عن مواصلة السلوك المنحرف، ويكون ذلك في التشريع الإسلامي بطرق ووسائل مختلفة حسب طبيعة الفعل المنحرف ودرجته. وتنحصر جميع هذه الطرق في ثلاثة أقسام كبرى هي: الحدود، القصاص، التعزيز.

الفرع الأول: الترهيب بالحدود والقصاص.

الحدود عقوبات تختص بجرائم معينة، والقصاص عقوبة تجب في جريمة القتل وما دونه من الجروح. وكلاهما –الحدود والقصاص– إختصت بجرائم هي من كبائر الذنوب التي تمس مقاصد الشريعة الكبرى الضرورية. من الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وكلها ذات علاقة بالغرائز. حيث أنّ كل جريمة تمثل شكل إنحراف لغريزة ما، وبيان ذلك فيما يأتي:

أ- الحدود:

الحَدُّ في اللغة معناه:(الفصل بين الشيئين لِئَلاَّ يختلط أحدهما بالآخر أَوْ لِئَلاَ يتعدى أحدهما على الآخر، وجمعه حُدود. وفصل ما بين كل شيئين: حَدٌّ بينهما...وحَدُّ السارق وغيره: ما يمنعه عن المعاودة، ويمنع أيضًا غيره عن إتيان الجنايات، وجمعه حُدُود...وحدود الله تعالى: الأشياء التي بيَّنَ تحريمها وتحليلها...)[1]. فقال تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[البقرة/187]. أي المعاصي التي نهى عن الاقتراب منها.

والحد عند الفقهاء هو:(عقوبة مقدرة حقًا لله تعالى..)[2]. يعني أنَّ الله تعالى اختص بعض الجرائم بعقوبات محدودة. لا يُزاد فيها أو يُنْقَص، وفي حديث عن عائشة(رضي الله عنها) يوضح فيه هذه الخصوصية الربانية للحدود، فعنها:« **أنّ قريشًا أَهَمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يُكلِّم فيها رسول اللهﷺ فقالوا: ومن يَجتَرِئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول اللهﷺ فكلمه أسامة فقال رسول اللهﷺ: أتشفع في حدٍّ من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أَهلك الذين قبلكم**

---

[1]: ابن منظور: لسان العرب المحيط، ط1. دار الجيل- دار لسان العرب، بيروت، 1408هـ-1988م، 583/1. ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، 03/2.

[2]: عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة ،ت: أحمد فريد المزيدي، محمد فؤاد رشاد،المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، 2008م، 11/5.

أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، وايْمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[1].

والمراد منها:(الانزجار عمَّا يتضرر منه العباد، وصيانة دار السلام عن الفساد ولهذا كان حقًّا لله تعالى، لأنّه شرع لمصلحة تعود إلى كافة الناس.)[2]. فالنّاس أصناف مختلفة. فمنهم من ينتهي بالكلمة النصوح، ومنهم من يحتاج إلى شدة في الخطاب وتغليظ فيه، ومنهم ينزجر بالتهديد والوعيد، ولكن صنف من الناس وحالات تعتري الإنسان لا ينتهي فيها عن فعل المنكر إلاَّ إذا أحسَّ لدغ العقوبة على جلده.

قال ﷻ: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[النمل/90].

وجرائم الحدود[3] التي تتصل بالغرائز هي:

1- **حد الرِدَّة:** ويُقام على من دخل الإسلام ثم خرج منه، وقد توافرت فيه شروط التكليف(...فمن دخل الإسلام ذاق نعمة الإسلام، وهو أهم نعمة عرفها الإنسان، ومن ارتد عن الإسلام كفر بالله. وبهذه النعمة...)[4].

والرِّدة عن الإسلام تمسّ غريزة التدين التي فطر الله الناس عليها. فَتَضيِّعُ الدين والبُعد عنه يستلزم ضياع الإنسان وبعده عن الاستقامة والاعتدال في شؤونه كافة، ويصبح عبدًا لأهوائه ونزواته، مستسلمًا لغرائزه- كما سبق بيانه-. ولذلك ورد عن النبيﷺ في عقوبة المرتد، عن عكرمة قال:« **أُتيَ عليﷺ بزنادقة فأحرقهم. فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أُحرقهم لِنَهي رسول اللهﷺ لا تُعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول اللهﷺ من بدَّل دِينه فاقتُلُوه** »[5]. فكان القتل عقوبة من حرَّف الفطرة الإلهية

---

[1]: البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، حديث الغار، ح(3475)، 175/4.

مسلم: الصحيح، الحدود، قطع السارق الشريف وغيره، ح(1688)، 1315/3.

[2]: فَخْر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي:تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق،ط1،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،1313هـ،163/3

[3]: في المذاهب الأربعة بعض التباين في تقسيمها من حيث الزيادة والنقصان كالآتي:(**الشافعية:** قالوا: إن الجنايات الموجبة للحد سبعة أقسام وهي: الأول: كتاب الجروح. ويشمل القصاص في النفس والأطراف، والديات، وغيرها، الثاني: كتاب البغاة، الثالث: كتاب الردة، الرابع: كتاب الزنا، الخامس: كتاب حد القذف، السادس: كتاب قطع السرقة، السابع: كتاب الأشربة المحرمة. **الحنفية:** قالوا:إن الحدود ماثبتت بالقرآن الكريم. وهي خمسة فقط. الأول: حد الزنا..، الثاني: حد السرقة..، الثالث: حد شرب الخمر..، الرابع:حد قطع الطريق..، الخامس: حد القذف.. **المالكية:** قالوا: 1- باب الجناية على النفس أو على ما دونها، 2- باب حد البغي، 3- باب الردة وأحكامها،4- باب حد الزنا، 5- باب حد القذف، 6- باب حد السرقة. 7- باب ذكر الحرابة وما يتعلق بها، 8- باب حد الشرب وأشياء توجب الضمان). ينظر: عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة،11/5.

[4]: محمد حسن أبو يحي: أهداف التشريع الإسلامي، ص:607.

[5]: البخاري: الصحيح، في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ح(6922)، 15/9.

وأبدلها بالكفر الداعي إلى الانحراف والفساد.

وغريزة التدين من أهم الغرائز في الإنسان إن لم نقل أهمها جميعًا. وهي الركيزة الأساسية لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة. ولذلك كان ضياعها يعني ضياع الإنسان وضياع حياته.

وعليه فتطبيق الحدّ ضروريًا لكي:(...يرتدع من يفكر في الردَّة، فيقلع عنها قبل أن يُقْدِمَ عليها، وإذا لم يرتدع ثم ارتد قُتِلَ إن لم يتب...، وإذا قتل طُهر المجتمع من هذا المجرم.)[1].

عن عبد الله بن عباس(رضي الله عنهما) قال:« **كانت أم ولد لرجل كان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت تشتم النبيﷺ فينهاها ولا تنتهي ويزجرها ولا تنزجِر، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبيﷺ فما صبر أن قام إلى مِغْول فوضعها في بطنها ثم اتَّكأ عليها حتى أَنفَذها، فقال رسول اللهﷺ: أشهد أن دمها هَدر** »[2].

هذا، وقد رُوي أن النبيﷺ شهد حالات رِدَّة ظاهرة ولم يعاقب عليهاﷺ لحكمة بالغة يعلمها الله تعالى ويعلمها رسول اللهﷺ. ومن ذلك عن جابر بن عبد الله(رضي الله عنهما):« **أنّ أعرابيا بايع رسول اللهﷺ على الإسلام فأصابه وعك فقال: أقلني بيعتي فأبى. ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى فخرج. فقال رسول اللهﷺ: المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها** »[3].

وعن ابن مسعودرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة** »[4].

وشريعة الإسلام تعطي فرصة للمرتدين كي يتوبوا ويعودوا إلى الصراط المستقيم، لأنَّ الهدف ليس هو عقابه والتنكيل بهم على ردتهم، وإنما هو الترهيب من هذا العمل والتنفير منه، ولكي يُغلَقَ الباب أمام السفهاء والمستهزئين المستهترين بأمر الدين. فإن حصلت التوبة قبل إنزال العقوبة فيكون الهدف قد تحقق ولا حاجة

---

[1]: محمد أبو يحي: أهداف التشريع الإسلامي، ص:607.

[2]: أبو داود: السنن، الحدود، الحكم فيمن سبَّ النبيﷺ، ح(4363)، 226/4.

الحاكم: المستدرك، الحدود، أشهد أن دمها هدر..، ح(8042)، 354/4. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه).

[3]: البخاري: الصحيح، الأحكام، بيعة الأعراب، ح(7209)، 79/9.

مسلم: الصحيح، الحج، المدينة تنفي شرارها، ح(1383)، 1006/2.

[4]: البخاري: الصحيح، الديات، قول الله تعالى:" أن النفس بالنفس.."، ح(6878)، 5/9.

مسلم: الصحيح، القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ما يباح به دم المسلم، ح(1676)، 1302/3.

للعقاب. فإصلاح سلوك الناس هو هدف التشريع الإسلامي.

رُوي أنّه:« **قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبي موسى الأشعري فسأله عن الناس فأخبره ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُغَرِّبَة خبر؟ فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه قال: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه. فقال: عمر أفلا حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفا واسْتَتَبْتُمُوه، لعله يتوب ويُراجع أمر الله. ثم قال عمر: اللهم إني لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغني** »[1].

2- **حدّ الزنا:** هو حدٌّ من حدود الله تعالى وُضع لحماية النسل الإنساني و الأنساب من الاختلاط.

والزنا هو:(الوطء الحرام الخالي عن حقيقة الملك، وحقيقة النكاح، وعن شبهة الملك، وشبهة النكاح..)[2]، في حال الاختيار، والزنا يُعدُّ شكلاً من أشكال تلبية الغريزة الجنسية في الإنسان، ولكن بصورة منحرفة غير شرعية. لما يجر من أضرار كثيرة على النفس والجسم. وهو يتنافي والمقاصد الربانية من فطرة الإنسان على هذه الغريزة. التي جعلها في الإنسان أساسًا للحفاظ على النسل الإنساني. ولأنّ هذه الغريزة ككلّ الغرائز خُلِقَتْ ممزوجة بلذة تعتري الإنسان عند تلبيته حاجاتها، فقد يقوده طلب هذه اللذة إلى ممارسات سلوكية منحرفة تتعارض والصور الصحيحة السليمة في تغذية هذه الغريزة، ومنها الزنا. ولذلك فقد سنَّ الله تعالى في هذه الممارسات عقوبات مقدرة تجب في حق كل من يرخي حبل نفسه لغريزة الجنس.

والغريزة الجنسية من أقوى وأعتى الغرائز في الإنسان، ولذلك كانت العقوبة المقدرة في حقّ مظاهر اِنحرافها بما يساويها قوة. قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[النور/02].

وتفصيل عقوبة الزاني على حالتين: إن كان ثيبًا أم بكرًا، فإن كان ثيبًا فعقوبته الرجم. وقد جاء بيان ذلك في عدد من الأحاديث النبوية. فعن عبادة بن الصامِتِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **خذوا عني فقد جعل الله لهنَّ سبيلاً الثَّيبُ بالثَّيبِ والبكر بالبكر الثَّيبُ جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفي سنة** »[3].

---

[1]: مالك: الموطأ، الأقضية، القضاء فيمن ارتد عن الإسلام، ح(1220)، 12/5.

[2]: علاء الدين السمرقندي: تحفة الفقهاء،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1414هـ- 1993م، 138/3. ينظر: عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة، 49/5.

[3]: مسلم: الصحيح، الحدود، حد الزنى، ح(1690)، 1316/3.

وعن جابر بن عبد اللهﷺ:« **أنّ رجلا من أَسْلَم جاء النبيﷺ فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبيﷺ حتى شهد على نفسه أربع مرات قال له النبيﷺ: أَبِك جنون؟ قال:لا. قال: آحْصَنت؟ قال:نعم. فأمر به فرُجِم بالمصلّى. فلما أَذلَقَته الحجارة فرَّ فأُدرِك فرُجِم حتى مات فقال له النبيﷺ خيرًا وصلّى عليه**»[1].

وعن عِمرانَ بن حُصينﷺ:« **أنّ امرأة من جُهَينَة أتت نبي اللهﷺ وهي حُبلَى من الزنى فقالت: يا نبي الله أصبتُ حدًّا فأَقِمه عليَّ فدعا نبي اللهﷺ وَليَّها فقال: أحسن إليها فإذا وَضَعَت فأْتِني بها ففعل. فأمر بها نبي اللهﷺ فَشُكَّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرُجِمت ثم صلّى عليها. فقال له عمر: تُصلّي عليها يا نبي الله وقد زنت. فقال: لقد تابت توبةً لو قُسمَت بين سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جَادَت بنفسها لله تعالى** »[2].

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال النبيﷺ:« **الولد للفراش وللعَاهِر الحَجَر** »[3]. قيل في معنى"الحجر" أي:(للزاني الخيبة والحرمان...وقيل: المراد أن يرجم)[4].

هذا فيما يخص عقوبة الزاني المحصن، يُرجم حتى الموت دونما تفريق بين كونه رجلاً أو امرأة. أمّا البكر فعليه الجلد مئة جلدة، وتغريب عام للرجل. فعن زيد بن خالد الجهنيﷺ قال:« سمعت النبيﷺ يأمر فيمن زنى ولم يُحصن جلد مائة وتغريب عام »[5].

وعن أبي هريرة وزيد بن خالد(رضي الله عنهما):« **أنّ رسول اللهﷺ سُئل عن الأَمَةِ إذا زنت ولم تُحصن قال: إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فبيعوها ولو بِضَفِيرٍ** »[6].

وأيضًا عنهما قالاَ:« **جاء أعرابي فقال: يا رسول الله اقْضِ بيننا بكتاب الله. فقام خَصمُه فقال: صدق**

---

[1]: البخاري: الصحيح، ، الرجم بالمصلى، ح(6820)، 166/8.

مسلم: الصحيح، ، من اعترف على نفسه بالزنى، ح(1691)، 1318/3.

[2]: البخاري: الصحيح، جزاء الصيد، الحج والنذور عن الميت، ح(1852)، 18/3.

مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالزنى، ح(1696)، 1324/3.

[3]: البخاري: الصحيح، الحدود، للعاهر الحجر، ح(6817)، 165/8.

[4]: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: التوشيح شرح الجامع الصحيح، ت:رضوان جامع رضوان، ط1، مكتبة الرشد- شركة الرياض، الرياض، 1419هـ-1998م، 3997/7.

[5]: البخاري: الصحيح، الحدود، البكران يجلدان وينفيان، ح(6831)، 171/8.

[6]: البخاري: الصحيح، الحدود، بيع العبد الزاني، ح(2154)، 71/3.

اقْضِ بيننا بكتاب الله. فقال الأعرابي: إنّ ابني كان عَسِيفًا على هذا فزنى بامرأته فقالوا لي على ابنك الرجم فَفَدَيتُ ابني منه بمائة من الغنم ووَلِيدَة ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائة وتَغرِيب عام فقال النبيﷺ: لأَقضِيَنَّ بينكما بكتاب الله. أما الوليدة والغنم فَرَدٌّ عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام. وأما أنت يا أُنَيس لِرجُلٍ فاغْدُ على امرأة هذا فارجمها فغدا عليها أُنَيْس فرجمها »[1]. وفي هذا الحديث بيانٌ لحدِّ الحالتين- البكر والمحصن- في الإسلام. ونظرًا لهذا البيان الواضح لعقوبة الزاني في الإسلام، فإنّ كل من يفكر في مقارفة هذه الجريمة حَالَمَا يتذكر العقوبة المقررة في حقّه بعدها، أو حَالَمَا يرى ويُعاين زانٍ محصن أو بكر قد لاقى عقوبته جرَّاء اتباعه لغريزته واستسلامه لها. فإنّه ينْزجر ويرتدع ويقلع عن التفكير فيها من حين ذلك.

3- **حدُّ السرقة:** السارق في اللغة هو:(من جاء مُستترا إلى حِرزٍ فأخذ منه ما ليس له. فإن أخذ من ظاهر فهو مُخْتَلِس ومُسْتَلِب ومُنْتَهِب ومُخْتَرِس فإن مَنَعَ مما في يديه فهو غاصب...)[2].

والسرقة عند الفقهاء هي:(أخذ مكلّف حرًا لا يعقل لصغره، أو مالاً محترمًا لغيره نصابًا. أخرجه من حرزه، بقصد واحد خفية لا شبهة له فيه)[3].

والسرقة تقع من الإنسان عند انحراف غريزة التملك فيه، فيصبح يرغب في تملك ما يريده ولو بطريق غير شرعية. لا يرضاها لا الدين ولا المجتمع. وقد يربوا جبروت هذه الغريزة في نفسه، فيصبح يَمُدُ يده بالسرقة إلى ما تشتهي نفسه تَمَلكَهُ وما لا تشتهيه.

ولذلك كان من حكمة اللهﷻ أن جعل لهذا الانحراف الغريزي قدره من العقوبة اللائقة به، فالمال عماد حياة الناس. ولو يُترك أمره دون ضوابط دينية وقانونية تمنع من التعدي على الآخرين في ممتلكاتهم لَيَكون ذلك مدخلاً لفتنٍ كبيرةٍ وكثيرة.

قال الكاساني:(فإنّ الله تعالى قد جعل الأموال مهيأة للانتفاع بها. فكانت موضع أطماع الناس، وموطن رغباتهم واقتضت حكمته جل شأنه اختصاص الناس بالملك لأنّه ترك الأشياء مباحة للكل يجعل النفوس في جشع دائم، وحرص شديد لِمَا جُبِلَتْ عليه من الأثرة وحُبِّ الذات فيكون ذلك مثار الفتن، وسبب النزاع

---

[1]: البخاري: الصحيح، الحدود، إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح(2695)، 184/3.

[2]: ابن منظور: لسان العرب، مادة" سرق"، 155/10.

[3]: علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ت:علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 275/9.

المستمر.)[1]. ثم قال:(وإذا كانت رغبة النفوس في المال...وشغفها به أمر مطبوعة عليه ووجد الاختصاص في الملكية كان لابدّ من شيء يحفظ المال على من اختص به. لذلك وُجِدَ النهي والزجر عن أخذ مال الغير بدون رضاه ليرتدع بذلك أصحاب المروءة والديانة. كما وجه الأمر للمالك بحفظ ماله حتى لا يكون طعمة لذوي الأطماع الخبيثة، والنفوس الدنيئة. الذين لا تأثر فيهم الموعظة، ولا تفيدهم النصيحة حتى يروا العذاب رأي العين. فإذا قام المالك بما طُلب منه...ثم اقتحم الغير عليه مأمنه..كان من الحكمة أن يعاقب بالقطع لارتكابه تلك الجريمة بعد توجيه النهي إليه وزجره بالعقاب الأخروي.)[2].

وفي حدِّ السارق قال تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[المائدة/38]. وقد جاء حدُّ السرقة واضحًا أيضًا في عدد من الأحاديث النبوية ومنها حديث السيدة عائشة(رضي الله عنها) في شأن المرأة المخزومية التي سرقت بقولهﷺ:«...**وايْمُ الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** »[3].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لَعَن الله السارق يسرق البيضة فَتُقطَع يده ويسرق الحبل فتُقطَع يده** »[4]. وقالﷺ:« **تُقطَع يد السارق في رُبع دينار** »[5].

وعن الحارث بن حاطب:« **أنّ رسول اللهﷺ أُتِي بلصٍّ فقال: اقْتُلُوه. فقالوا: يا رسول الله إنما سرق. فقال: اقْتُلُوه. قالوا: يا رسول الله إنما سرق. قال: اقْطَعُوا يده. قال: ثم سرق فَقُطِعت رجله ثم سرق على عهد أبي بكررضي الله عنه حتى قُطِعَت قَوَائِمه كلها ثم سرق أيضا الخامسة. فقال: أبو بكررضي الله عنه كان رسول اللهﷺ أعلم بهذا حين قال اقتُلُوه. ثم دَفَعه إلى فِتْيَة من قريش لِيَقتُلوه منهم عبد الله بن الزبير وكان يحب الإمارة فقال: أَمِّرُوني عليكم. فأَمَّرُوه عليهم فكان إذا ضرب ضربوه حتى قتلوه** »[6].

وعليه فإنّ السارق يُقطع من أطرافه على عدد المرات التي سرق فيها، فإن بلغ الخامسة يُقتل لعدم توبته

---

[1]: الكاساني: بدائع الصنائع، 280/9.

[2]: المصدر نفسه.

[3]: البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، حديث الغار، ح(3475)، 175/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الحدود، لعن الله السارق، ح(6783)، 159/8.

مسلم: الصحيح، الحدود، حد السرقة ونصابها، ح(1687)، 1314/3.

[5]: البخاري: الصحيح، الحدود، قول الله تعالى:"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"، ح(6790)، 160/8.

[6]: النسائي: السنن، قطع السارق، قطع الرجل من السارق بعد اليد، ح(7977)، 89/8.

الحاكم: المستدرك، الحدود، ح(8153)، 382/4. وقال :(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني:(منكر)، ينظر: إرواء الغليل، 88/8.

وانتهائه عن فعله،ولعدم جدوى عقوبة القطع فيه، فيصبح مفسدًا لا يتوقف عن فعله إلا مع اِنتهاء حياته.

قال النووي في الشرح:(...وأجمعوا على أنّه إذا سرق أولاً قطعت يده اليمنى، قال الشافعي ومالك أهل المدينة والزهري وأحمد وأبو ثور وغيرهم: فإذا سرق ثانيًا قطعت رجله اليسرى، فإذا سرق ثالثًا قطعت يده اليسرى، فإذا سرق رابعًا قطعت رجله اليمنى، فإذا سرق بعد ذلك عزر...)[1]. وتعزيره عند ذلك استنادا إلى حديث الحارث بن حاطب هو القتل. وفي ذلك كله تأديب لغريزة التملك في الإنسان.

4- حدّ شرب الخمر: وهو حدٌ:(...سبب وجوبه الشرب، وهو شرب الخمر خاصة، حتى يجب الحد بشرب قليلها وكثيرها، ولا يتوقف الوجوب على حصول السكر منها...)[2]. وقد حُرِّم(...تناول القطرة الواحدة منه فما فوق من أي نوع من أنواع المسكرات الحديثة منها والقديمة.)[3].

والخمر مُذهبة لعقل الإنسان الذي يُعد أحد الدعائم والقوى التي جعلها اللهﷻ فيه لتسيّير شؤونه وتوجيه سلوكه على الوجهة الصحيحة.

ويُعد شرب الخمر أحد وجوه انحراف غريزة الأكل والشرب في الإنسان. وهي غريزة قوية فيه لارتباطه الدائم بها. فحياته متعلقة بدوام ارتباطه بها. وعندما يكون حال الإنسان كذلك مع إحدى الغرائز، فإنّه يصبح مدخلاً لكثير من المغالطات والانحرافات السلوكية.

وهو حاصل مع غريزة الأكل والشرب في شرب الخمر. رغم أنَّ أضرارها الصحية قد توضحت وبَانَ خطرها على عقل الإنسان وجسمه، بل على حياته كلها. إلاَّ أنَّ عمى الغريزة المندفعة التي لايهمها غير إشباع حاجاتها وتحقيق لذاتها، لا تنفك تدفعه إلى تناول المزيد. وعند ذلك يكون الإنسان بحاجة إلى رادعٍ قوي يمنعه من مواصلة ذلك، وهذا الرادع في الإسلام هو إقامة الحدّ عليه.

عن معاويةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب فاقتلُوه** »[4].

---

[1]: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، 165/6.

[2]: الكاساني: بدائع الصنائع، 213/9.

[3]: أحمد زكي تفاحة: الإسلام عقيدة وشريعة، ص:248.

[4]: أبو داود: السنن، الحدود، إذا تتابع في شرب الخمر، ح(4487)، 282/4.

النسائي: السنن، الأشربة، ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر، ح(5661)، 313/8.

الحاكم: المستدرك، الحدود، ح(8114)، 371/4. وقال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وقال الألباني: (صحيح) ، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(11255)، 1126/1.

وعن أبي هريرة ﷺ قال:« **أُتِي النبيﷺ برجلٍ قد شرب قال: اضربوه قال: أبو هريرة فمنّا الضّارب بيده والضّارب بنعله والضّارب بثوبه فلما انْصَرف قال بعض القوم: أخْزَاك الله. قال: لا تقولوا هكذا لا تُعينُوا عليه الشيطان** »[1].

وفي مقدار الجلد الواجب في حق شارب الخمر، روى أنسﷺ عن النبيﷺ:« **أنّ النبيﷺ أُتِي برجلٍ قد شرب الخمر فجلده بجريدَتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن: أخَفَّ الحدود ثمانين فأمر به عمر** »[2]. قال الترمذي:(...والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبيﷺ وغيرهم أنّ حَدَّ السكران ثمانون)[3]. وهل يقتل شارب الخمر عند تكرار شُربه للمرة الرابعة أو الخامسة أم لا يقتل؟.

إنّ(جمهور العلماء على أنّ حكم قتل الشارب بعد الرابعة منسوخ بعد أن أمر به النبيﷺ في بعض أحاديث عنه. ولكن لم يفعله رسول اللهﷺ مرة واحدة طوال حياته. وكذلك لم يفعله أحد من الصحابةﷺ وهذا يدل على نسخه بالإجماع...)[4].

ودليل ذلك ما رواه الزهري عن قبيصة بن ذؤيبﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:« **من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه فإن عاد في الثالثة أو الرابعة فاقتلوه فأُتِي برجلٍ قد شرب فجلده ثم أُتِي به فجلده ثم أُتِي به فجلده ثم أُتِي به فجلده ورفع القتل وكانت رُخْصة** »[5].

وهذا ما يدل على أنَّ(فعل النبيﷺ من جلد الشارب بعد الرابعة رخصة من الشارع في رفع القتل عنه، ونسخ الحكم الذي سبق أن ذكره ولم ينفذه.)[6].

ولِيَرْتدعَ من فعله ويكون عبرة لغيره فإنّه(...يجرد من جميع ثيابه عند إقامة حد الشرب عليه، إلا إزارًا يستر عورته، كسائر الحدود، لتحقق جريمته، حتى يشعر بالألم، ويحصل المقصود من إقامة الحد وهو الزجر عن اِرتكاب مثلها.)[7].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الحدود، الضرب بالجريد والنعال، ح(6777)، 158/8.

[2]: مسلم: الصحيح، الحدود، حد الخمر، ح(1706)، 1330/3.

[3]: الترمذي: السنن، 48/4.

[4]: عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة، 31/5.

[5]: أبو داود: السنن، الحدود، إذا تتابع في شرب الخمر،ح(4487)،282/4. قال الألباني:(ضعيف مرسل)، ينظر: ضعيف أبي داود، ح(3888)، 448/1.

[6]: عبد الرحمن الجزيري: المصدر السابق.

[7]: المصدر نفسه، 32/5.

5- حد الحِرَابة: المحارب هو:(...من يجرد السلاح برًا أو بحرًا ليلاً أو نهارًا في بلدٍ أو غيره، لإخافة الناس للسلب والنهب...)[1].

وقد تقع الحرابة على أربع حالات. فإمَّا أن يكون ذلك(...بأخذ المال لا غير، وإما أن يكون بالقتل لا غير، وإما أن يكون بهما جميعًا، وإما أن يكون بالتخويف من غير أخذ ولا قتل...)[2].

والحِرابة من أبشع الأعمال الإجرامية، و هي محرمة في الإسلام لما قد يقع فيها من اِجتماع القتل والنهب. وهي وليدة انحراف في غريزة التملك وغريزة حب السيطرة، والغريزة العدوانية في الإنسان، وإذا لم تجد رادعًا يردعها من الشرع والقانون تجاوزت أحكامهما مطلقًا، واِسترسلت في التجبر والاعتداء على الآخرين.

وفي حدّ المحارب وكيفيته ومقداره. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة/33].

وروى أنس بن مالكﷺ قال:« **قدم على النبيﷺ نَفَر من عُكْل فأسلموا فاجْتَووا المدينة فأمرهم أن يأْتُوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فَصَحُّوا فارتَدُّوا وقتلوا رُعاتها واستَاقُوا الإبل فبعث في آثارهم فأُتِي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسِمهُم حتى ماتوا** »[3].

فكان ذلك حدُّ المحارب في الإسلام، وهو من باب الترهيب الذي يمنع غيره عن فعل مثله أو التفكير فيه.

ب- القصاص:

يقع القصاص على جريمة القتل وجرائم الجروح العمدية. فيقع على من (يتعمد قتل النفس بما يُقطع بحده،كالحديد أو بما يمُورُ في اللحم مَوْر الحديد أو يقتل غالبًا بثقله: كالحجارة والخشب، فهو قتل عمد يوجب القود.)[4]، ويقع أيضًا على كل:(...طرف قطع من مفصل ففيه القود. وتقاد اليد باليد، والرجل بالرجل، والإصبع بالإصبع، والإبهام بالإبهام، والسن بمثلها...)[5].

---

[1]: أحمد زكي تفاحة: الإسلام عقيدة وشريعة، ص: 249.

[2]: الكاساني: بدائع الصنائع، 366/9.

[3]: البخاري: الصحيح، الحدود، لم يسق المرتدين المحاربين حتى ماتوا، ح(6804)، 163/8.

مسلم: الصحيح، القسامة والمحاربين والقصاص والديات، حكم المحاربين والمرتدين، ح(1671)، 1297/3.

[4]: أبو يعلي محمد بن الحسن الفراء الحنبلي: الأحكام السلطانية، ت: محمود حسن، دار الفكر، بيروت– لبنان،1414هـ-1994م، ص:307.

[5]:أبو يعلى محمد الفراء: المصدر السابق، ص:311.

والإنسان تدفعه إلى القتل أو ما دونه من الجروح غريزة الغضب أو الغريزة العدوانية. وقد يكون السبب في وقوعه دافع التملك لمال أو متاع، أو دافع السيطرة أو تنازع البقاء، وقد يكون وراءه أيضًا الدافع الجنسي. وهو ما يؤكده قولهﷺ:« **من قُتِل دون ماله فهو شهيدٌ ومن قُتِل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيدٌ** »[1]. ورغم أنّ الدوافع لهذا الفعل مختلفة، إلاّ أنّ العقوبة في التشريع الإسلامي واحدة، وهي القصاص. ذلك أنَّ الجُرمَ واحدٌ، وهو حدوث القتل أو القطع.

والقصاص عقوبة تمنع الجاني من معاودة الجريمة إن تمَّ العفو عنه. أو كان القصاص في الأطراف. وأيضًا تمنع غيره من ارتكاب جرائمه خوفًا من إنزال العقوبة عليهم أيضًا.(..فإذا علم أنّه حين يقتل غيره إنما يقتل نفسه أيضًا، امتنع في الغالب عن القتل. فالشريعة بتقريرها عقوبة القتل دفعت العوامل النفسية الداعية للقتل بالعوامل النفسية الوحيدة المضادة، التي يمكن أن تمنع من ارتكاب الجريمة بحيث إذا فكر الإنسان في قتل غيره ذكر أنّه سيعاقب على فعله بالقتل فكان في ذلك ما يصرفه غالبًا عن الجريمة)[2]. وذلك مصداقًا لقوله تعالى:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة/179]

وعن ابن عباسرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **العَمْدُ قَودٌ إلاّ أن يَعفو وليُّ المقتُول** »[3].

وقولهﷺ أيضًا:« **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاثٍ النفس بالنفس والثيِّبُ الزاني والمارقُ من الدين التارك للجماعة** »[4].

وأمّا في القصاص على ما دون القتل. فقد رُويَ:« **أنّ رسول اللهﷺ عدل صُفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قِدحٌ يعدل به القوم، فمرَّ بسَوَاد بن غُزَيَّة –حليف بني عُدَي بن النجار– وهو مُستَنتِل من الصَّف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال:استَوِ يا سواد، فقال: يا رسول الله! أَوجَعتَني وقد بعثك الله**

---

[1]: أبو داود: السنن، السنة، في قتال اللصوص، ح(4774)، 391/4.

الترمذي: السنن، الديات، ما جاء في فيمن قتل دون ماله...، ح(1418)، 28/4.

النسائي: السنن، تحريم الدم، من قاتل دون دينه، ح(4086)، 115/7. قال الترمذي:(هذا حديث حسن صحيح)، قال الألباني (صحيح)، ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(4772)، 2/1.

[2]: عبد القادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي: مقارنة بالقانون الوضعي، دار الكتب العلمية، 217/2.

[3]: الدارقطني: السنن، الحدود والديات وغيره، ح(3136)، 82/4.

ابن أبي شيبة: المصنف، النكاح، من قال العمد قود، ح(628340)، 365/9. قال الألباني:(صحيح بلفظ: العمد قود والخطأ دية)، ينظر:السلسلة الصحيحة، ح(1986)، 640/4.

[4]: البخاري: الصحيح، الديات، قول الله تعالى:﴿ إن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف﴾، ح(6878)، 5/9.

مسلم: الصحيح، القسامة، ما يباح به دم المسلم، ح(1676)، 1302/3.

بالحقّ والعدل، فأَقِدني. قال: فكشف رسول اللهﷺ عن بطنه، وقال: استَقِد، قال: فاعتَنَقَه فقَبَّل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟. قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك. فدعا له رسول اللهﷺ بخير.»[1]. جاء في شرح الحديث ما نصّه: (وقد دلَّ الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أنّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ جَـزَآءً وِفَـاقًا ﴾. أي: وفق أعمالهم، وهذا ثابت شرعًا وقدرًا.)[2] [النبأ/26].

وقد شدَّد النبيﷺ في حُرمة القتل والتعدي على النفس بغير حق في أحاديث كثيرة منها.

عن أبي الدرداءرضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺيقول:« **كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاّ من مات مشركًا أو مؤمن قتل مؤمنًا مُتعمِّدًا** »[3]. وعن ابن مسعودرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **أوَّل ما يُقضَى بين الناس بالدِّماء** »[4].

وعن البراء بن عازبرضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺقال:«**لزوال الدنيا أَهوَنُ على الله من قتل مؤمن بغير حقّ**»[5].

وروي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال:« **إنّ من وَرَطَات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلِّه** »[6].

وعليه فإنّ القتل جريمة عظيمة تمس النفس التي حرَّم الله تعالى الاعتداء عليها إلاَّ بالحق، وتبعث عليه في الإنسان عدة دوافع مرتبطة في غالبها بغريزة من الغرائز. تُسيطر على الإنسان فتعمي بصيرته وتدفعه إلى الاعتداء على غيره بالقتل أو ما دونه من الجروح. لتحقق غايتها ومرادها وهي اللذة الغضبية. ولذلك شُرّع القصاص كعقوبة لردع وزجر الفرد عن الوقوع فيها.

---

(1): أحمد: المسند، مسند أبي سعيد الخدري، ح(10797)، 342/22. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة،ح(2835)، 334/6.

(2): أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، 58/10.

(3): أبو داود: السنن، الفتن، في تعظيم قتل المؤمن، ح(4272)، 167/4.

النسائي: السنن، تحريم الدم، باب، ح(3984)،81/7.

أحمد: المسند، حديث معاوية بن أبي سفيان، ح(16907)، 112/28.

الحاكم: المستدرك، الحدود،كل ذنب عسى الله أن يغفره، ح(8031)، 351/4. وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

(4): البخاري: الصحيح، الرقاق، القصاص يوم القيامة، ح(6533)، 111/8.

مسلم: الصحيح، الديات، المجازاة بالدماء في الآخرة، ح(1678)، 1304/3.

(5): الترمذي: السنن، الديات، ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ح(1395)، 16/4.

ابن ماجه: السنن، الديات، التغليظ في قتل مسلم ظلمًا، ح(2619)، 874/2.قال الترمذي:(هذا حديث حسن).

(6): البخاري: الصحيح، الديات، قول الله تعالى:﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم﴾، ح(6863)، 2/9.

الفرع الثاني: الترهيب بالتعزير.

التعزير في اللغة:(العَزْر اللَّوْم وعَزَرَهُ يَعْزِره عَزْراً وعَزَّرَه ردَّه والعَزْرُ والتَّعْزِيرُ ضرب دون الحدّ لِمَنْعِه الجانِيَ من المعاودَة ورَدْعِه عن المعصية...وتأْويل عَزَرْت فلاناً أَي أَدَّبْتُه إنما تأْويله فعلت به ما يَرْدَعُه عن القبيح ...وعَزَرَه عَزْراً وعَزَّرَه أَعانَه وقوَّاه ونصره قال الله تعالى:"لِتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه".)[1].

وعند الفقهاء، التعزير هو:(عقوبة غير مقدرة تجب حقًا لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة...)[2]. ومنه فإنَّ التعزير يُقام على جناية تمس حقًا من حقوق الله تعالى أو حقًا من حقوق العباد. وعليه فالجرائم التي يمكن أن يحتويها التعزير أكثر من الجرائم التي تضمنتها الحدود.

وجرائم التعزير أيضا أكثر تنوعًا من حيث طبيعة الجريمة ودرجتها. وللتعزير دور بارز في محاربة الجريمة والتقليل منها، وتوجيه السلوك الغريزي وتصحيحه.

وقد انعقد الإجماع على أنّ التعزير(...عقوبةٌ الغرض منها التأديب والإصلاح، لأنّ بتأديب الجاني وإصلاحه تستقيم النفس وتبتعد عن الجريمة، وفي ذلك صلاح للجماعة وتقويم لبنائها...ومن هذا القبيل قول الفقهاء: إنّ التعزير شُرِّع للتطهير، فإنّ ذلك سبيل إلى إصلاح الجاني بتقويم نفسه وصقلها وغسلها من أدران الجريمة، حتى تكون هذه النفس الطاهرة بمنجاة عن محيط الإجرام، وتدخل في عداد الأنفس النافعة للمجتمع)[3]. وبإنزال العقوبة التعزيرية على المجرم يرتدع هو عن معاودة فعله، وتمنع غيره من الوقوع فيها، فتكون بذلك منفعة الزجر بالتعزير مزدوجة .

ومما يقع فيه التعزير من الجرائم فيما مصدره انحراف في الغريزة،(...تعزير من يمرح في أحكام الشريعة...وجواز تعزير من لا يحضر صلاة الجماعة بالغرامة في ماله.)[4]. وفي هذا علاج لمظهر انحراف في في غريزة التدين عند الإنسان. فالأصل في النفس أنها تُجِلُّ الدين وتُوَقِرُ تعاليمه. فإذا أخذت في التلاعب فيه فذاك علامة انحراف. وقد قالﷺ في تعزير الصبيان على تركهم للصلاة:« **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقُوا بينهم في المضاجع** »[5].

---

[1]: ابن منظور: لسان العرب، مادة" عزر"، 561/4.

[2]: عبد العزيز عامر: التعزير في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، ص:52.

[3]: المرجع نفسه، ص:297.

[4]: المرجع نفسه، ص:280.

[5]: سبق تخريجه، ينظر: ص: 119.

ويقع التعزير على(الذي يشرب الخمر في نهار رمضان مختارًا، فإنّه يحدّ للخمر ثمانين جلدة، ثم يحبس حتى يخف عنه الضرب، ثم يعزر لإفطاره في شهر رمضان، وهو بشرب الخمر يلزمه الحدّ، وبهتك حرمة شهر الصوم يستوجب التعزير.)[1].

ويكون أيضا في كل(...زنى ليس فيه حد، ومن ذلك الجرائم التي تعتبر من مقدمات الزنى.)[2].

ويكون أيضًا من بعض أحوال السرقة، فيقع العقاب التعزيري في(...كل سرقة ليس فيها حد: كأن يسرق نصابًا من غير حرز، أو يسرق أقلّ من نصاب من حرز، أو أقلّ من نصاب من غير حرز، وهكذا كل سرقة لا قطع فيها، ومثل السرقة الشروع فيها...)[3].

وأيضا(من يتهم بالقتل والسرقة وضرب الناس يحبس ويُخلَّد في السجن حتى يُظهر التوبة...ذلك بأنّ شر هذا الجاني موجه إلى الناس ففي حبسه وتخليده في السجن دفع لهذا الشر عنهم.)[4].

نفى عمر بن الخطاب مَعْن بن زائدة لَمَّا(عمل خاتما على نقش خاتم بيت المال، ثم جاء به صاحب بيت المال، فأخذ منه مالا، فبلغ عمرﷺ فضربه مائة وحبسه، فَكُلِّمَ فيه، فضربه مائة أخرى، فَكُلِّمَ فيه من بعد فضربه مائة ونفاه.)[5].

ومن ذلك:(...من يغش في الكيل أو الوزن أو القياس، يعتبر مرتكبًا لمحرم يستوجب التعزير،...كما يعزر كل من صنع المكاييل والمقاييس والموازين المزورة...)[6]. ففي ذلك تكسب وتملك بغير وجه حق.

ويتم التعزير بوسائل وطرق عديدة ومتباينة من حيث نوع الجريمة ودرجتها. فيكون بـ:(...التوبيخ وبالزجر وبالكلام ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب.)[7].

وقد يكون أيضا بـ:(...بتعريك الآذان...وقد يكون بنظر القاضي إليه بوجه عبوس...)[8].

ومن نماذج التعزير التي وردت عن النبيﷺ: عن المِعْرُورِ بن سُوَيدٍ قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلَّة وعلى

---

[1]: عبد العزيز عامر: التعزير في الشريعة الإسلامية،ص:367.

[2]: المرجع نفسه، ص:330.

[3]: المرجع نفسه. ينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، 478/1.

[4]: المرجع نفسه، ص:373.

[5]: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، 324/10

[6]: عبد العزيز عامر: المرجع السابق، ص:286.

[7]: ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ت:سيد عِمران، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ-2002، ص:225.

[8]: فخر الدين الزيلعي: تبيين الحقائق، 208/3.

غلامه حلَّة فسألته عن ذلك فقال: إني سابَبْت رجلا فعَيَّرتُهُ بأمه فقال لي النبيﷺ:« **يا أبا ذرٍّ أَعَيَّرته بأمه إنك امرُؤٌ فيك جاهلية. إخوانكم خَوَلُكُم جَعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فَليُطعِمه مما يأكل وليُلبِسه مما يلبس ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم فإن كَلَّفتُموهم فأعِينُوهم** »[1].

وعن عروة عن عبد الله بن الزبير (رضي اللهُ عنهما) أنّه حدّثه:« **أنّ رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبيﷺ في شِرَاج الحرَّة التي يَسقُون بها النخل فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يمر فأَبَى عليه فاختصما عند النبيﷺ فقال رسول اللهﷺ للزبير: أَسْقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري. فقال: أن كان ابن عمتك. فتَلَوَّن وجهُ رسول اللهﷺ ثم قال: اسْقِ يا زبير ثم احْبِس الماء حتى يرجع إلى الجدر. فقال الزبير والله إني لأَحسِب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾**»[2] [النساء/65].

ورُوي عن سويد بن غفلة قال:« **شهدنا اليرموك، قال: فاستَقبَلَنَا عمر وعلينا الدِّيبَاج والحرير، فأمر برمينا بالحجارة، قال: فقلنا: ما بلغه عنَّا؟ قال: فنزعناه وقُلنا: كَره زِيَّنا، فلما استَقبَلَنَاه رَحَّب بنا، وقال: إنَّكم جئتُمُوني في زيِّ أهل الشرك، إنّ الله لم يرضَ لمن قبلكم الدِّيبَاج، ولا الحرير** »[3].

فعزَّر النبيﷺ بالتوبيخ، فإمَّا قولاً كما فعل مع أبي ذر الغفاري، وإمَّا فعلاً كما في قصة عبد الله بن الزبير مع الأنصاري.

ومما ورد أيضًا في تعزير النبيﷺ. تعزيرهﷺ للثلاثة الذين خُلِّفُوا عنه في غزوة تبوك بالهجر. فامتنع عن محادثتهم ومنع الناس عن الكلام معهم والاتصال بهم خمسين ليلة. حتى تابوا وتاب الله عليهم. قالﷻ:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة/114]. والتخلف عن الجهاد وعدم دخول الحرب أصله خوف الإنسان من الموت وهروبه منها. فمن غرائزه الفطرية حب البقاء، ولذلك كان سلوك التخلف مطاوعًا لأمر هذه الغريزة.

---

[1]: البخاري: الصحيح، الإيمان، المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر، ح(30)،15/1.

[2]: البخاري: الصحيح، المساقاة، سكر النهار، ح(2359)، 111/3.

مسلم: الصحيح، الفضائل، وجوب إتباعهﷺ، ح(2357)،1829/4.

[3]: ابن أبي شيبة: المصنف، الحج، من رخص في لبس الحرير في الحرب، ح(25168)،169/8.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنّ النبيﷺ:« **حبس رجلاً في تُهمَة ثم خلَّى عنه** »[1].

وعن سَمُرة بن جندبﷺ:« **أنه كانت له عَضُدٌ من نخل في حائط رجلٍ من الأنصار قال ومع الرجل أهله قال فكان سَمُرة يدخل إلى نخله فيتأَذَّى به ويَشُقّ عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبَى فطلب إليه أن يُنَاقِله فأبَى فأتى النبيﷺ فذكر ذلك له فطلب إليه النبيﷺ أن يبيعه فأبَى فطلب إليه أن يُنَاقِله فأبَى قال: فَهِبه له ولك كذا وكذا أمرًا رَغَّبه فيه فأبَى. فقال: أنت مُضَار. فقال رسول اللهﷺ للأنصاري: اذهب فاقْلَع نخله** »[2]. وفي ذلك تعزير لغريزة السيطرة فيه والتملك التي دعته إلى رفض إبدال الشجرة أو التبرع بها لصاحب الأرض.

وفي التعزير للغرائز المنحرفة أيضًا ما رُويَ عنهﷺ عن سليمان بن أبي عبد الله قال:« **رأيت سعد بن أبي وقَّاص أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذي حرَّم رسول اللهﷺ فسَلَبَه ثيابه فجاء مَوَاليه فكلَّموه فيه فقال إنّ رسول اللهﷺ حرَّم هذا الحرَمَ وقال من أخذ أحدا يصيد فيه فليَسْلُبه ثيابه...**»[3]. فكان الصيد في الحرم سلوك خاطئ في التكسب وطلب الرزق عزَّر عليه النبيﷺ بأخذ لباسه منه.

وثبت أنَّ النبي ﷺ عزَّر الذي أرسله لجمع الزكاة ثم عاد بهدية معها أهْديت له. عن أبي حميد الساعديﷺ قال:« **استعمل رسول اللهﷺ رجلاً على صدقات بني سُليم يُدعى ابن الْلُّتَبِيَّة فلمّا جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول اللهﷺ: فهلاّ جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً.ثم خَطَبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإني أَستَعمِل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أُهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته. والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقّه إلا لقيَ الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفَنَّ أحدًا منكم لقيَ الله يحمل بعيرًا له رُغَاء أو بقرة لها خُوَار أو شَاة تَيْعَر. ثم رفع يده حتى رُئِي بياض إبْطه يقول: اللهم هل بلَّغت بَصْرَ عَينِي وسَمْعَ أُذُني** »[4].

وقد قالﷺ في تعزير أهل البيت فيما يمكن أن يقع منهم من سلوك خاطئ :« **علِّقـــوا السّوط حيث**

---

[1]: أبو داود: السنن، الأقضية، في الحبس في الدين وغيره. ح(3632)، 350/3.

الترمذي: السنن، الديات، ما جاء في الحبس في التهمة، ح(1417)، 28/4.

النسائي: السنن، قطع السارق، امتحان السارق بالضرب والحبس، ح(4876)، 67/8.

الحاكم: المستدرك، الأحكام، حبس رجلا في تهمة، ح(7063)، 102/4. قال الترمذي:(حديث حسن)، وقال الحاكم:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

[2]: أبو داود: السنن، الأقضية، من القضاء، ح(3638)، 352/3. قال الألباني:(ضعيف)،ينظر:ضعيف أبي داود، ح(3152)،361/1.

[3]: أبو داود: السنن، المناسك،في تحريم المدينة، ح(2039)،168/2.قال الألباني:(صحيح)،ينظر:صحيح أبي داود، ح(1775)،276/6

[4]: سبق تخريجه، ص: 165.

يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب »[1]. ففي الحديث تعزير بالتخويف من الضرب بالسوط لأيّ سلوك يكون الضرب هو الأنسبُ له.

وقد روى أبو بردة الأنصاريﷺ في حدِّ التعزير بالضرب قال:« **كان النبيﷺ يقول لا يُجلَد فوق عشر جلدات إلا في حدٍّ من حدود الله** »[2]. وقالﷺ:« **لا عُقوبة فوق عشر ضربات إلا في حدٍّ من حدود الله** »[3].

وممَّا عزَّر فيه النبيﷺ أيضًا الذين أبوا أن ينتهوا عن الوصال في الصوم، فقد روى أبو هريرةﷺ قال: «**نهى رسول اللهﷺ عن الوصال في الصوم. فقال له رجل من المسلمين: إنك تُواصل يا رسول الله. قال: وأيُّكم مِثلي إني أَبِيتُ يُطعمني ربّي ويَسقينِ. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخَّر لَزِدتُكم. كالتَّنْكِيل لهم حين أبوا أن ينتهوا** »[4].

ففي فعلهﷺ زجر وتهديد لمن خالف منهج السنة في التعامل مع الغرائز، سواء بإرخاء الحبل لها والسعي خلف طلباتها، أو بكبتها وقتلها داخل النفس.

وخلاصة القول أنّ النبيﷺ استعمل في كثير من الحالات التعزير كأسلوب علاجي لانحراف الغرائز عندما لا تنفع معها الأساليب الحوارية من النصح والإرشاد والوعظ. وقد كانت طرق التعزير ووسائله التي اِستعملها النبيﷺ في ذلك عديدة ومتنوعة تناسب كل منها نوع الجريمة ودرجتها.

---

[1]: عبد الرزاق: المصنف، العقول، ضرب النساء والخدم، ح(17963)، 447/9.

الطبراني: المعجم الكبير، أحاديث عبد الله بن العباس،ح(10671)، 284/10. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(7468)، 747/1.

[2]: البخاري: الصحيح، الحدود، كم التعزير والأدب، ح(6848)، 174/8.

[3]: البخاري: الصحيح، الحدود، كم التعزير والأدب، ح(6849)، 174/8.

[4]: البخاري: الصحيح، الصوم، التنكيل لمن أكثر الوصال، ح(1965)، 37/3.

المبحث الثاني: نماذج من الغرائز وتعامل السنة معها.

وفيه ثلاث غرائز: الغريزة الجنسية، وغريزة الأكل والشرب، وغريزة التملك. وبيانها كالآتي:

المطلب الأول: الغريزة الجنسية وتعامل السنة معها.

يعتبر الدافع الجنسي من أكبر الدوافع في النفس الإنسانية التي تحرك السلوك وتؤثر عليه. وقد غرزه الله في الإنسان وجعله فطرةً فيه، ليؤدي وظيفة محدّدة للإنسان. وهي الاستمرار في الحياة لعمارة الأرض. وإلى جانب ذلك مزجه الله تعالى كباقي الغرائز بلذّة يجدها في نفسه وهو يلبي حاجته الغريزية الجنسية ولولا هذه اللذّة لما أقدم الإنسان على تلبية طلبات غريزته في غالب الأمر، ولأحجم عنها.

والله ﷻ زين حبّ هذه الغريزة في النفس فقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ [آل عمران/14]. وهذه الزينة في النفس واللذة والشهوة تكون جبارة في بعض الأحيان تعمل على تدمير كل ما هو أمامها من قوانين وضوابط اجتماعية، وأحكام دينية لتصل إلى غرضها وتحقق مطلوبها. فهي ضرورية من جهة، وخطرةٌ من جهة أخرى.

فما هي الغريزة الجنسية؟ وما هي وجوه انحرافها؟.وكيف ضبط الإسلام هذه الغريزة ونظَّم لها مسارها؟.

الفرع الأول: معنى كلمة جنسي.

يتداخل مصطلح "جنسي" في الإطلاق مع بعض المصطلحات العلمية، وأيضا الشرعية.

فنجدها تتصادم مع كلمة تناسل، وتكاثر، وتزاوج. وهناك من فرَّقَ بين هذه المصطلحات فقال:(...لفظ جنسي يختلف عن لفظ تناسلي فبعض الأحياء الدنيا وحيدة الخلية مثلا تتناسل أو تتكاثر دون زواج إذ لا يتمايز أفراها، وإنما يتم التكاثر بمجرد انقسام الكائن إلى اثنين، فهو تناسل أو تكاثر لا جنسي أو تزاوجي. أمّا الكائنات الراقية في مملكتي النبات والحيوان ومنها الإنسان فيتمايز أفراد النوع على فريقين: ذكور وإناث..)[1]، وهو ما يميز الدافع الجنسي عن المصطلحات التي تتداخل معه.

وهو ما بنَى عليه علماء النفس تعريف الجنس بقولهم هو:(تميز في النوع ذو علاقة بالتوالد يقسم النـــــوع

---

[1]: الحسيني الحسيني معدّى: التربية الجنسية للمراهقين والشباب من منظور إسلامي، ط1، دار العلم والإيمان، مصر، 2004م،ص:25. ينظر: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد:24، رجب 1415هـ- ديسمبر 1994م، ص: 160.

إلى جنسين: ذكر وأنثى.)[1].

أمّا في الاصطلاح الإسلامي: فيستخدم بدلاً من كلمة "جنس" عدة اصطلاحات أخرى تعبر جميعًا عن مفهوم الجنس. ومن ذلك: المعاشرة الزوجية، الزواج، النكاح، الجماع، الفراش، والوطء ونحوها. وهي جميعًا اصطلاحات يكسوها الأدب والاحتشام في التعبير عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة.

فنجد من تعريفات النكاح مثلاً أنّه:(عقد لحلّ تمتّع بأنثى غير محرم ومجوسية، بصيغة، لقادر، محتاج، أو رَاجِ نسلاً.)[2]. وقيل هو:(عقد يفيد حِلّ العشرة بين الرجل والمرأة، وينظم تعاونها ...ويكون هذا العقد بلفظ النكاح أو التزويج)[3]. وعليه فإن الاصطلاحات تتعدد ولكن المراد واحد.

الفرع الثاني: أهمية الغريزة الجنسية في حياة الفرد:

تعدّ الغريزة الجنسية من أكبر وأقوى الغرائز في النفس الإنسانية إن لم نقل أقواها وأكبرها، فهي لا تتوانى في طلب لذتها والإلحاح عليها إلى أن تُحققها، سواءٌ بطريق شرعي أو غير شرعي.

وهي في ذات الوقت مهمة جدًا في حياة الإنسان وضرورية لاستمراره، فهي.(...طاقة من أكبر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم. كما يعدّ الجنس من أهم مشاكل الحياة التي تصادف الفرد منذ طفولته، فقد تؤثر المشكلات الجنسية على بعض الانحرافات الجنسية والاضطرابات النفسية والمشكلات في الجنس، إنّه ضرورة وضرر في آن واحد..)[4]. وهو ما ذهب إليه الغزالي بقوله:(اعلم أنّ هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل..)[5]. وقد سمّاها بالشهوة العظيمة.

إنّ الغريزة الجنسية مهمة بمكان سواء من حيث قوتها في النفس وجبروتها في تلبية حاجاتها وإلحاحها عليها إلى أن تحقق غايتها ولو بأدنى صورة مما كانت تسعى إليه وتريد. أو من حيث وظيفتها في الوجود وأهميتها في استمرار النسل الإنساني وضرورته لذلك. فهي بذلك جُعلت لوظيفتين:

(1- الاستمتاع الجنسي... 2- المحافظة على النوع...)[6].

---

[1]: الحسيني الحسيني معدّى: التربية الجنسية للمراهقين والشباب من منظور إسلامي، ص:26.

[2]: الحبيب بن طاهر: الفقه المالكي وأدلته، ط4، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، 1426هـ- 2005م، 183/3.

[3]: عز الدين الخطيب التميمي: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب، باتنة، ص: 153.

[4]: الحسيني الحسيني معدى: المرجع السابق، ص: 09.

[5]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 92/3.

[6]: معروف زريق: علم النفس الإسلامي، ص: 65.

وقد قال الله تعالى في أهمية اجتماع الرجل والمرأة من الناحية النفسية:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم/21].

وفي أهمية الدافع الجنسي للإكثار من الولد، قال رسول الله ﷺ عن معقل بن يسار قال: « **جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أَصَبتُ امرأةً ذات حَسَب وجمال وإنها لا تَلِد أَفَأَتَزوجُها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة. فقال: تزَوجُوا الوَدُود الولُود فإني مُكَاثِر بكم الأمم** »[1].

إنّ إهمال الدافع الجنسي وكبته داخل النفس يؤدي إلى كثير من العلل النفسية الناتجة عن تصادمات فيزيولوجية جسدية ونفسية مع إرادة الفرد التي قرر بها كبح جماح نفسه وإلغاء طلباتها. وفي المقابل فإنّ العلل النفسية تدخل أيضا على من أرخى الحبل للغريزة الجنسية يتركها تأتي بكل ما تطلبه وتأمر به. فإنّ النفس عند ذلك تصاب أولاً وقبل كل الأضرار الممكن الإصابة بها جراء الممارسات غير المنظمة والسليمة للغريزة الجنسية، إنها تفقد لذّة المتعة التي كانت تسعى لتحقيقها وتصبح النفس تلهث خلف لذّة جنسية لا تجد لها طعمًا، وهمُّها الوحيد حين ذاك هو إسكات صوت الشهوة غير المنقطع.

ولذلك فهذا الدافع لقوته إن لم يجد ضبطًا وتحكمًا خرج عن نطاقه المنصوص له وقاد صاحبه إلى الهلاك، فبدل من أن يتحكم به صاحبه ويلبي طلباته حسب إرادته وبالكيفية التي يريد. يصبح الدافع الجنسي هو المسير له، والمتحكم به، فتتحول الغريزة الجنسية إلى شهوة طاغية متمردة.

(ذكر "جورج بالوشي" في كتابه "الثورة الجنسية" مايلي: وفي سنة 1962 صرح "كنيدي" بأنّ مستقبل أمريكا في خطر، لأنّ شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يُقَدِّر المسؤولية الملقاة على عاتقه وإنّ من بين كل سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأنّ الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية...)[2].

ولذلك دعا الكثير من المربين والمفكرين إلى أهميـــة وضـرورة التربية الجنسية وتعريف الناشـــئ بأســس

---

[1]: أبو داود: السنن، النكاح، النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ح(2052)، 175/2.

النسائي: السنن، النكاح، كراهية تزويج العقيم، ح(3227)، 65/6.

أحمد: المسند، مسند أنس بن مالك، ح(12613)، 63/20.

الحاكم: المستدرك، النكاح، تزوجوا الودود الولود، ح(2685)، 163/2. وقال:(حديث صحيح الإسناد،ولم يخرجاه بهذه السياقة).

[2]: عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، 684/2.

المعاملات الجنسية الصحيحة لحمايتهم من الوقوع في الآثام والمنزلقات الغريزية. وقد عُرِّفت عملية التربية الجنسية بعدّة تعريفات منها: أنّها (هي العملية التي يكتسب من خلالها الإنسان المعارف الصحيحة التي تتعلق بوظائف الجنس في حياته، والتي تساعده على تنمية الاتجاهات الصحيحة. والقيم الأخلاقية المرتبطة بالدافع الجنسي)[1].

ولكن وفوق كل هذه الدراسات البشرية لتنظيم السلوك الغريزي، وكل هذه التنظيرات والبحوث والتوجيهات ونحوها، إلا أنَّا لن نجد أفضل من التنظيم الإسلامي لها. الذي وجه الغريزة الجنسية بما يتوافق والطبيعة الإنسانية المجبول عليها بتشريعاته وتنظيماته الحكيمة.

الفرع الثالث: ضوابط الغريزة الجنسية في السنة النبوية.

لقد قدمت الشريعة الإسلامية عدّة حلول ووسائل تقي الغريزة الجنسية من الوقوع في الانحراف والضلال، حلول تتدرج بالفرد بين الوقاية أولا ثم العلاج بعده، وهي أيضا حلول تتناسب وحالة النفس ومستوى طلبها لحاجتها الجنسية. ومن ذلك:

- **غض البصر**: والغَضُّ لغة يراد به:(الخفض، والكف والكَسْرُ، وأصل الكلمة: غَضَّ يَغُضُّ غِضًّا... وغَضًّا...)[2].

وفي الاصطلاح الشرعي:(أن يُغْمِضَ المسلم بَصَره عمَّا حُرِّم عليه، ولا ينظر إلا لما أُبِيحَ له النظر إليه..)[3].

وقد قال الله تعالى في الأمر بغض البصر:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[النور/30]. وقال تعالى في تكرار الأمر به للمؤمنات خاصة، رغم أنّ الأمر العام بصيغة الجمع المذكر يحوي الخطاب به الرجال والنساء معًا، إلا أنّ اللهﷻ في الأمر بغض البصر أكده أيضًا عليهنَّ. بقوله تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور/31].

وأَمرُ الشريعة الإسلامية بغض البصر إلى مواضع الشهوات وإثارة اللذات لأنّ النظر مدخل لكثير من الشرور في النفس. ولذلك كان لابدّ من غلق بابها وصرف النفس عنها بصرف النظر، والشاهد على ذلك

---

[1]: الحسيني الحسيني معدى: التربية الجنسية...، ص:29.

[2]: ابن منظور: لسان العرب، مادة" غضض"، 196/7. الجوهري: الصحاح في اللغة، مادة" غضض"، 1095/3.

[3]: مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، 3071/7.

أنّ الله تعالى قَرَنَ الأمر بغض البصر في الآيتين من سورة النور بالأمر بحفظ الفرج، وكأنّ البصر يقود إلى الوقوع في الزنا وغض البصر يمنع منه. فالبَصَر كان ولا يزال سبب لكثير من الانحرافات الغريزية التي تقع بين الناس. فقد تجد فرداً يشاهد صورةً أو مشهدًا عاطفيًا مغرقًا في شهوانية يظلّ يتكرر في مخيلته ذلك المشهد إلى أن يقوده إلى فعل منكر، أو يظلّ حبيس مخيلته ليعود إليه في لحظة ثورة غريزته، فتتدعّم النفس الشهوانية به حتى تصبح قوة لا يحاكيها العقل ولا الإرادة ولا غيرها في طلبها.

عن أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال:« **إنّ الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا أَدرَك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنَّى وتشتهي والفرجُ يُصدِّق ذلك كله ويُكذبه** »[1]، أي عندما يكون(النظر عن شهوة سبب في الوقوع في الحرام، فيكون حرامًا)[2].

ومما ورد عن النبيﷺ في منع النظر إلى ما يثير الغريزة الجنسية، ما رُوي عن أبي سعيد الخدريﷺ أنّه قال: قالﷺ:« **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد** »[3].

وعن عبادة بن الصامتﷺ أنّه قال: قال رسول اللهﷺ:« **اضمَنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدُقوا إذا حَدَّثتم وأَوفُوا إذا وعدتم وأَدُّوا إذا اؤْتُمنتم واحفظُوا فُروجكم وغُضُّوا أَبصَاركم وكفُّوا أيديكم** »[4].

وعن ابن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول اللهﷺ لعلي:« **يا علي لا تُتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة** »[5]. أي أنّ الأولى لا إثم عليك فيها ولكن الثانية يحاسب عليها. ذلك أنّ الأولى هي

---

[1]: البخاري: الصحيح، الاستئذان، زنا الجوارح دون الفرج، ح(6243)، 54/8.

مسلم: الصحيح، القدر، قدر على ابن آدم حضه من الزنا وغيره، ح(2657)، 2046/4.

[2]: محمد عبد العزيز عمرو: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط1، دار النفائس، الأردن، 1429هـ- 2009م، ص:135.

[3]: مسلم: الصحيح، الحيض، تحريم النظر إلى العورات، ح(338)، 266/1.

[4]: أحمد: المسند، حديث عبادة بن الصامت، ح(22757)، 417/37.

ابن حبان: الصحيح، البر والإحسان، الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح(271)، 506/1.

الحاكم: المستدرك، الحدود، اضمنوا لي ستًا من أنفسكم..، ح(8067)، 359/4. وقال:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، قال الألباني:(حسن)، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(1470)، 1470/3.

[5]: أبو داود: السنن، النكاح، ما يؤمر به من غض البصر، ح(2151)، 212/2.

الترمذي: السنن، الأدب، ما جاء في نظرة المفاجأة، ح(2777)، 101/5.

أحمد: المسند، من مسند علي بن أبي طالب، ح(22991)، 95/38.

الحاكم: المستدرك، النكاح، وأما حديث عيسى، ح(2788)، 195/2. قال الترمذي:(هذا حديث حسن غريب)، وقال الحاكم:(هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، قال الألباني:(حسن)،ينظر:صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(3047)،1316/2.

نظرة الفجأة التي لا تتدخل فيها إرادة الإنسان، أما الثانية فتأتي عن إرادة في النظر وتعمد، وعن رغبة من القلب في النظر وهنا تقع الفتنة المحذور منها.

عن جرير بن عبد اللهرضي الله عنه قال:« **سألت رسول اللهﷺ عن نظر الفُجاءَة فأمرني أن أَصرِف بصري** »[1].

فالفتنة لا تقع من نظرة الفجأة وإنما من تتبع النظر بعدها لذلك أمره النبيﷺ بصرف بصره.

ويكون المنع أكبر عند الخوف من وقوع الفتنة أو التيقن من وقوعها. عن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال:« **أردَفَ رسول اللهﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عَجُز راحلته وكان الفضل رجلاً وَضِيئًا. فوقف النبيﷺ للناس يُفْتِيهم وأَقبَلت امرأة من خَثْعَم وَضِيئَة تَستَفتي رسول اللهﷺ فطفق الفضل يَنظر إليها وأَعجبَه حُسنها، فالتَفت النبيﷺ والفضل يَنظر إليها فَأخلفَ بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها. فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده أَدرَكَت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الرّاحلة فهل يَقضِي عنه أن أَحُجَّ عنه؟. قال: نعم** »[2].

ولأنّ النظرة سهم من سهام إبليس تصيب القلب بالفتنة، كان لزامًا على الفرد وخاصة الناشئة والشباب ممن لم يحصن نفسه أن يجنب نظره التبصر في مواضع الفتنة والصورة المشينة العارية، وكل ما من شأنه أن يثير غريزته الجنسية. لأنّ الأمر لن يتوقف عند مجرد لذة البصر التي هي زنًا في حدّ ذاته، وإنما يتعداه إلى ما هو أكبر منه وهو الوقوع في جريمة الزنا ذاتها. وهذا هو المنهج الشيطاني في الدعوة إلى الفاحشة، فيبدأ بما هو صغير محتقرٌ هينٌ في نظر المرء ليقوده إلى ما هو أعظم منه، ويوقعه في مراده بالتدريج. فمن أراد لنفسه السلامة من الكيد الشيطاني والبعد عن الفواحش فعليه أن يجتنب مقدماتها، كالنظر بالنسبة للزنا.

- **الاستئذان:** ومما يلحق بالنظر الاستئذان، ذلك أنّ الاستئذان في الأحكام الشرعية لم يجعل إلاّ لأجل النظر. كما ورد في حديث النبيﷺ، فعن سهل بن سعدرضي الله عنه قال:« **اطَّلَع رجلٌ من جُحْر في حُجَر النبيﷺ ومع النبيﷺ مِدْرًى يَحُك به رأسه فقال: لو أَعلم أنك تنظر لطَعَنتُ به في عَينك، إنما جُعِل الاستئذان من أجل البصر** »[3].

والاستئذان كما قال ابن حجر هو:(...طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن...)[4].

وقد أُمر بالاستئذان على الغير قبل الدخول عليهم في حُجَرِهم لعدّة أسباب أهمها:

---

[1]: مسلم: الصحيح، الأدب، نظر الفجاءة، ح(2159)، 1699/3.

[2]: البخاري: الصحيح، الاستئذان، قول الله تعالى:﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾، ح(5760)، 238/19.
مسلم: الصحيح، الحج، الحج عن العاجز لزمانة وهرم..، ح(2375)، 35/7.

[3]: البخاري: الصحيح، الاستئذان، الاستئذان من أجل البصر، ح(6241)، 54/8.
مسلم: الصحيح، الآداب، تحريم النظر في بيت غيره، ح(2156)، 1698/3.

[4]: ابن حجر: فتح الباري، 05/11.

(...لئلا تُعرف الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها.)[1].

ويكون الاستئذان أيضا لأجل أن لا تقع العين على ما تكره رؤيته من الأهل إذا ما دخل عليهم فجأة. وأيضا لأجل أن لا تدرك العين ما لا يحل لها رؤيته من العورات، سواء للنساء المحارم والرجال أو غيرهم. وهذا الأخير من أكبر مقاصد الاستئذان. قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[النور/58]. ففي الآية أمرٌ بالاستئذان في أوقاتٍ يضع فيها الإنسان ثيابه، وقد يكون فيها مع أهله فلا يصح عند ذلك الدخول المباشر دون إذن. فإن لم يُؤذن له فعليه بالعودة دون الدخول، كما ورد عن النبيﷺ فيما رواه جندب بن سفيانرضي الله عنه، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول:« **إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فلْيَرجِع** »[2].

فالاستئذان بذلك يكون حتى على المحارم في البيت لأنّ الكثير من المغالطات قد تقع فيه، جراء الدخول العشوائي على بعضهم البعض. وعلّة ذلك ما جاء عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍرضي الله عنه:« **أنّ رسول اللهﷺ سأله رجلٌ فقال: يا رسول الله أَستَأْذنُ على أمي؟ فقال: نعم. قال: الرجل إني معها في البيت! فقال رسول اللهﷺ: استَأْذِنْ عليها. فقال الرجل: إني خَادِمُها. فقال له رسول اللهﷺ: استَأْذِنْ عليها أَتُحِب أن تراها عُرِيَانَة؟. قال: لا. قال: فَاستَأْذِنْ عليها** »[3].

فهذا هو توجيه الحُكم بالاستئذان، لصيانة العين من أن تقع على ما تُمنَع من رؤيته. وإنّ الكثير من مشكلات الفحش والزنا الواقعة اليوم ومن بينها زنا المحارم سببها عدم التأدب بالآداب الإسلامية داخل الأُسر وفي المجتمع عامةً، وأيضا عدم التمنع من النظر في الحرام أيًّا كان ولأيٍّ كان.

- **الزواج:** والزواج هو الرباط الشرعي الذي يجمع بين الرجل والمرأة، وما عداه من الطرق كلّه مردود لا

---

[1]: علي عبد الحليم محمود: التربية الإسلامية في سورة النور،ط1،دار التوزيع والنشر الإسلامية،القاهرة،1415هـ-1994م،ص:122.

[2]: البخاري: الصحيح، الاستئذان، التسليم والاستئذان ثلاثا، ح(6245)، 54/8.

مسلم: الصحيح، الأدب، الاستئذان، ح(2153)، 1694/3.

[3]: مالك: الموطأ، الاستئذان، الاستئذان، ح(1749)، ص:593.

ابن أبي شيبة: المصنف، الصلاة، ما قالوا في الرجل يستاذن على أمه، ح(17890)، 398/4. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح(1060)، 364/1. قال ابن الأثير:(وقال الزرقاني في شرح الموطأ قال أبو عمر: مرسل صحيح)، ينظر: جامع الأصول من أحاديث الرسول، ح(4826) ،586/6

يصح، فلم يجعل الله غيره سبيل للإنسان ليلبي حاجته الغريزية الجنسية، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾[المؤمنون/5-7].

والزواج جُعل كوسيلة صحيحة نافعة لتلبية حاجة الغريزة الجنسية، فقد أثبت الواقع والعلم أنّ كلّ الارتباطات الجنسية الأخرى لها أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية. أمّا الزواج فله فوائد عدّة تعود على الزوجين، ويؤدي وظائف متنوعة تمس جوانب كثيرة من حياتهما، من وظائف نفسية وصحية واجتماعية وتربوية ودينية.

فمن وظائفه النفسية أنّه يؤدي إلى السكينة والطمأنينة في النفس، قال تعالى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم/21]. فإنّ الحب الجنسي الغريزي الذي يربط المرأة والرجل هو في حقيقته:(أن يحب الرجل المرأة ويكون بينهما رباط الزوجية الشرعي، ويحدث من خلال هذا الحب الود والرحمة والسكينة. وهذا الحب السوي ينتج من خلاله الذرية والأحفاد حيث لا يكون هذا الحب غريزة في حدّ ذاته، إنما يكون له أهداف أخرى...)[1].

ومن فوائده الصحية وقاية الجسم من العلل والأمراض الخبيثة المستعصية التي تنجم عن الممارسات غير المنظمة للغريزة الجنسية. ومن وظائفه الاجتماعية التقليل من مظاهر الفحش والفساد الخلقي في المجتمع فإنّه يدفع الفرد إلى الرضى بالحلال والبعد عن الحرام. قال رسول اللهﷺ في ذلك:« **إذا خَطَبَ إليكم من ترضون دِينَه وخُلُقه فَزَوجُوه إلا تَفعَلوا تَكُن فِتنَة في الأرض وفساد عَريض** »[2].

ومن وظائفه التربوية: تربية النفس على الحلال والبعد عن الحرام بالتحصن. أمّا من الناحية الدينية فإنّ المؤمن يجازَى على كل فعل مشروع ويتقرب به إلى الله تعالى، كما أنّه يعاقب على كل فعل محرم ومن ذلك الزواج، عن أبي ذررضي الله عنه:« **أنّ ناسًا من أصحاب النبيﷺ قالوا للنبيﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدُّثُور بالأُجُور يُصلُّون كما نُصلِّي ويصُومُون كما نصوم ويَتصدَّقون بفُضُول أموالهم. قال: أو ليس قد جعل**

---

[1]: سعد رياض: موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي،ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008م، ص:291.

[2]: الترمذي: السنن، النكاح، ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ح(1084)، 394/3.

ابن ماجه: السنن، النكاح، الأكفاء، ح(1967)، 632/1.قال الألباني:(حسن)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(1022)، 20/3.

الله لكم ما تصَّدَّقون، إنّ بكلِّ تَسبِيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة،وكل تَهلِيلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة،ونهيٌ عن منكر صدقة، وفي بُضْعِ أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتِي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟. قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وِزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا»[1]. وقد حثّ النبيﷺ على فضيلة الزواج لتحصين النفس في عدد من الأحاديث، منها:

عن عبد الرحمن بن يزيد قال:« **دخلتُ مع عَلقمة والأَسوَد على عبد الله فقال عبد الله: كُنَّا مع النبيﷺ شبابًا لا نجدُ شيئًا فقال لنا رسول اللهﷺ: يا معشر الشباب من استطاع البَاءَة فليتزوج فإنه أَغَضُّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء** »[2].

قال ابن حجر:(خصّ الشباب بالخطاب لأنّ الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ. وإن كان المعنى معتبرا إذا وُجد السبب في الكهول والشيوخ أيضا)[3]. أي إذا وُجد داعي الشهوة فلا بدّ من تطبيق النص الشرعي.

وقال معلقًا على الحل الذي قدّمه النبيﷺ لعلاج ثورة الغريزة الجنسية:(...لأنّ الشباب مظنة ثوران الشهوة الداعية إلى الجماع فلا يلزم من كسرها في حالة أن يستمر به الكسر المذكور، فيكون قسَّم الشباب إلى قسمين: قسم يتُوقُون إليه ولهم اقتدار عليه فندبهم إلى التزويج دفعًا للمحذور، بخلاف الآخرين فندبهم إلى أمر تستمر به حالتهم...)[4]. وهذا الأمر هو الصيام فيكون قد قدّم حَلَّين: إمّا الزواج لمن قدِر على مؤنه، أو الصيام لمن لم يقدر. وأمر النبيﷺ بالصيام لأنّ الصيام يخفف من الميل الجنسي فهناك ارتباط بين الغريزة الغذائية والغريزة الجنسية حيث أنّ تهيج الأولى يصاحبه تهيج الثانية في الغالب والعكس. ولذلك قال ابن حجر:(...فعليه بالجوع وقِلّة ما يثير الشهوة ويستدعي طغيان الماء من الطعام والشراب إلى ذكر الصوم...وفيه إشارة إلى أنّ المطلوب من الصوم في الأصل كسر الشهوة.)[5].

هذا ناهيك على أنّ الصيام في الشرع هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، ولذلك فإنّ الصائم يمنع نفسه من الجماع ويمنع نفسه من التفكير فيه.

ومن الأحاديث التي ندب فيها النبيﷺ إلى التحصن بالزواج:

---

[1]: مسلم: الصحيح، الزكاة، بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح(1006)، 697/2.

[2]: سبق تخريجه، ينظر: ص:125.

[3]: ابن حجر: فتح الباري، 136/9.

[4]: المصدر نفسه، 137/9.

[5]: المصدر نفسه، 138/9.

ما روته عائشة(رضي الله عنها) قالت:«**النكاح من سُنَّتي فمن لم يعمل بِسُنتي فليس مني وتزوجوا فإني مُكاثر بكم الأمم. ومن كان ذا طَوْل فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصّيام فإنّ الصوم له وِجَاء** »[1].

وهذا الحديث موافق لحديث الرهط الثلاثة الذين تقالوا عمل رسول اللهﷺ لما سألوا عنه، فقال لهم رسول اللهﷺ:«...**أنتم الذين قُلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أَصوم وأُفطر وأُصلّي وأَرقُد وأتزوج النساء فمن رَغِب عن سُنّتي فليس مني** »[2].

وقد دعا النبيﷺ المتحابَّين إلى الاجتماع بينهم بالزواج كي لا تغالبهم الشهوات والأشواق فتوقعهم في مهاوي الرذيلة والفاحشة. عن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال: قال رسول اللهﷺ:« **لم نر للمُتحَابَّينِ مثل النكاح** »[3].

وقد حذَّر من فتنة الغريزة الجنسية التي تُعد أحد أبرز أسباب الفتن التي تظهر آخر الزمان، في قولهﷺ :« **ما تركت بعدي فتنةً أَضَرَّ على الرجال من النساء** »[4].

وعليه فليس خير من الزواج الشرعي لإطفاء نار الشهوة الجنسية وتلبية رغباتها. به تُلبى وبه تُنظم ولا تخرج عن نطاقها المرسوم لها، وأيضا به تحقق مقاصدها الإنسانية والوجودية. ثم يكون على المؤمن غير القادر على الزواج أن يعمل على تخفيف حدّة الغريزة في نفسه بالصيام والعبادات وسائر الأعمال الصالحة التي تلهيه عن التفكير فيها.

- **وسائل أخرى متفرقة:** ومن الوسائل التي دعا إليها الإسلام وحضّ عليها النبيﷺ لعلاج شهوة الغريزة الجنسية والتقليل من حدّة توترها خاصة لمن لم يحصن نفسه بالزواج بعدُ نجد:

- **العفة:** دعا الإسلام إلى الاستعفاف في حال عدم القدرة على النكاح في كثير من النصوص الشرعية ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النور/33].

وقال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات/40-41].

---

[1]: ابن ماجه: السنن، النكاح، ما جاء في فضل النكاح، ح(1846)، 592/1. قال الألباني:(وإسناده ضعيف، رجاله ثقات، غير عيسى عيسى بن ميمون..وهو ضعيف..قلت: لكن الحديث صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(2383)، 382/5.

[2]: البخاري: الصحيح، النكاح، الترغيب في النكاح، ح(4675)، 493/15

مسلم: الصحيح، النكاح، استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح(2487)، 175/7.

[3]: ابن ماجه: السنن، النكاح، ما جاء في فضل النكاح، ح(1837)، 593/1.

ابن أبي شيبة: المصنف، النكاح، لا نكاح إلا بولي، ح(16163)، 128/4.

عبد الرزاق: المصنف، النكاح، وجوب النكاح وفضله، ح(10377)، 168/6. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(624)، 196/2.

[4]: البخاري: الصحيح، النكاح، ما يتقى من شؤم المرأة، ح(5096)، 8/7.

مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، أكثر أهل الجنة الفقراء..، ح(2740)، 2097/4.

وقد قال رسول اللهﷺ داعيًا إلى التحلي بها:« **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[1].

- **ستر العورة:** لأنّ كشف العورات مما يهيج الشهوة في النفس وأحد مداخل الشيطان، ولذلك كان لزاما سترها لتوقي شرها على الفرد والمجتمع. قال تعالى:﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا** ﴾[الأعراف/ 20].

وفي التوجيه النبوي لحفظ العورة بالنسبة للمرأة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت:« **أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول اللهﷺ وعليها ثياب رقاقٌ فأعرض عنها رسول اللهﷺ وقال: يا أسماء إنّ المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه** »[2].

- **التفريق بين الأولاد في المضاجع:** وقد ورد ذلك في قولهﷺ:« **مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقُوا بينهم في المضاجع** »[3].

قال المناوي في قولهﷺ:"وفرقوا بينهم في المضاجع":(أي فرقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشرا حذرا من غوائل الشهوة وإن كنّ أخواته)[4]. فالإنسان حال النوم قد تصدر منه سلوكات لا شعورية يكون في بعض منها كبت غريزي جنسي، ولذلك ينبغي التفريق في المضاجع توقياً لحدوث احتكاك وملامسة التي قد تفضي إلى الوقوع في الفاحشة.

ويكون التفريق سواء بين الجنسين الأخوين أو غير الأخوين، ويكون أيضا بين أبناء الجنس الواحد ذكورًا كانوا أم إناثًا، ففي(اتحاد المضجع تكشفٌ للعورات واحتكاك بين الأجسام بما يهيج على الشر والفساد خاصة بين المراهقين والمراهقات، وبين المراهقين أنفسهم، وبين المراهقات أنفسهن.)[5].

ثم حتى ولو لم يقع تلاصق للأجساد ونحوه فإنّ وُلوج شخصين في فراش قد يشعر الثاني بسلوك الأول الذي يحدث له بينه وبين نفسه مما لاشعور له به من السلوكات الجنسية وقد يوقعه ذلك في حرج إن فضح أمره. ولذلك ينبغي التحرز من هذه المسألة ذات الامتداد الغريزي الجنسي.

---

[1]: البخاري: الصحيح، الرقاق، حفظ اللسان...،ح(5993)، 115/20.

[2]: أبو داود: السنن، اللباس، فيما تبدي المرأة من زينتها، ح(4106)، 106/4.

البيهقي: السنن الكبرى، الصلاة، عورة المرأة الحرة، ح(3343)، 226/2. قال الألباني:(حسن لغيره)، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(2045)، 223/2.

[3]: سبق تخريجه، ص: 119.

[4]: المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1415هـ- 1994م، 665/5.

[5]: مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ص:146.

الفرع الرابع: مظاهر انحراف الغريزة الجنسية وتعامل السنة معها.

لانحراف الغريزة الجنسية مظاهر عدّة طَفَت على السلوك الإنساني، وقد كان من أبرزها:

- الاستمناء (العادة السرية):

الاستمناء في اللغة من مَنِي وهو:(ماء الرجل...وجمعه مُنْيٌ...وقد مَنَيْتُ مَنْيًا وأمنيتُ...يقال:مَنَى الرجل وأَمْنَى من المنِيِّ بمعنًى، واستَمْنَى أي استدعى خروج المنيّ.)[1].

أمّا من الناحية الشرعية فقد عرف الفقهاء الاستمناء بأنّه:(...طلب استخراج المني بشهوة بغير جماع سواء كان بيده أو بيد زوجته أو أَمَتِهِ أو كان بسبب مباشرة أو بسبب تقبيل أو لمس أو ما شابه ذلك وكما يكون الاستمناء من الرجل يكون من المرأة.)[2].

والاستمناء بهذا المعنى يُعدُّ خروجًا عن الطريق الصحيح والسليم لإنفاذ رغبة الغريزة الجنسية. وقد سمي أيضا بالعادة السرية لأنّ المستمني يتخير ساعات الخلوة والبعد عن الأعين لممارسة فعله، وليس عنده خير من غرفة مظلمة مغلقة في ساعة من الليل تتهيج فيها الغريزة.

ويلجأ الفرد – رجلا كان أو امرأة – إلى الاستمناء عند عدم الزواج، أو تأخره، أو عند عدم القدرة عليه، وأحيانًا يقع بفعل المثيرات الخارجية التي تثير النفس نحو الجنس من مثل الصور العارية والمشاهد الفاضحة. فعندما يعلوا صوت الرغبة الجنسية في النفس يلجأ إلى الاستمناء الذاتي لِ (...يزيل عنه، ولو جزئيًا، بعض التوتر الذي يقع فيه من حين لآخر. وقد تتكون لديه نتيجة لذلك عادة سهلة سلبية لحل مشكلاته...)[3].

والاستمناء يُعد(أسهل الطرق لمواجهة الصعوبات الجنسية الذاتية وكثرة الالتجاء إليه تؤدي الاكتفاء به، والشعور بالاكتفاء بالذات لتحقيق الملذات. وهذا يجعل النشء بعد اكتمال نموه أقلّ جرأة على الاتصال بالجنس الآخر، وأَميل إلى العزلة والابتعاد والسلبية، وأميل إلى اتباع أسهل الطرق لإشباع اللذة الجنسية...والذين يميلون للاستمناء أميل للاتصاف بأغلب خصائص الانطواء الجنسي...)[4].

ومن جهة الحُكم الشرعي للمسألة فجمهور الفقهاء على حرمته ومنهم المالكية والشافعية[5]، استنادًا لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ

---

[1]: ابن منظور: لسان العرب المحيط، 539/5.

[2]: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: موسوعة الفقه الإسلامي، دار الكتاب المصري- دار لكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت،77/8.

[3]: محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد: الصبي والمراهق، ط1، دار القلم، الكويت،140هـ-1989م،194/2.

[4]: عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، ص:475.

[5]:ينظر:المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:موسوعة الفقه الإسلامي،77/8.عبد الحليم عويس:موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر،620/3 شمس الدين أبو عبد الله الحطّاب:مواهب الجليل شرح مختصر خليل،ت:زكريا عميرات،بيروت،عالم الكتب،1423هـ2003، 298/8

﴿مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[المؤمنون/5-7]. فكان من التعدي في حفظ الفرج هو الاستمناء باليد وغيرها من الوسائل.

وأمّا الحنفية فقالوا:(إنّه يحرم إذا كان لاستجلاب الشهوة وإثارتها. وقالوا: إنّه لا بأس به إذا غلبت الشهوة، ولم يكن عنده زوجة أو أمة واستمنى بقصد تسكينها.)[1]. أمّا الحنابلة فقالوا: يُحرم إلا بقيد الضرورة في حالة الخوف من الوقوع في الزنا والشهوة تغالبه تحاول دفعه إليه أو خوفا على صحته، مع عدم قدرته على النكاح ولو لأمة[2].

والأصل في الاستمناء كعمل غريزي خارج عن الفطرة فإنّ انعكاساته كانت كثيرة على النفس والجسم ومنها: أنها تصبح عادة في النفس قد يعسر على صاحبها مفارقتها. ثم(فُقدان الرغبة في الجماع مع الزوجة وإعطاؤها حقها من الإشباع الجنسي، ذلك أنّ هذا الزوج –كثير الاستمناء– قد حوّل عملية الجماع إلى نوع من الاستمناء...)[3].

ومن أضراره أيضا:(...أنّ الاستمناء المتكرر يسبب نوعًا من الاكتئاب والإرهاق والدوار والغثيان، بالإضافة إلى الشعور بالذنب وصراع النفس والتوهم المرضي خاصة في مجال الجنس، بالإضافة إلى تأثيره في القوة الجنسية واحتقان الجهازين التناسلي والبولي.)[4]. حيث تجعل(من يمارس العادة السرية بكثرة قليل القدرة بعد زواجه على الاتصال الجنسي الطبيعي..)[5]. إضافة إلى فَقْدِ الثقة بالنفس، وغير ذلك من الأضرار النفسية والصحية. والوسيلة لدفع الاستمناء وتجنب الوقوع فيه، ومن ثمة البعد عن الإصابة بأضراره هو منع التفكر في الجماع ومقدماته والاشتغال بما ينفع من عبادة أو عمل أو علم.

- **الزنا:** وقد سبق الحديث عنه في فصول سابقة في معناه، وأثاره، وعقوبته في الإسلام.

- **فعلة قوم لوط**عليه السلام:

قال تعالى في طبيعة هذا الانحراف الشهواني:﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف/81].

واللواط من أبشع الانحرافات وأسوئها التي تبتعد فيها الفطرة الإنسانية في الغريزة الجنسية بعدًا شاسعًا وتخرج عن نطاقها المرسوم لها. واللواط من الكبائر، وهو من(الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدين والدنيا، بل

---

[1]: السيد سابق: فقه السنة، ط1، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1421هـ- 2000م، 277/2.

[2]: ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 573/10.

[3]: محمد داوود الجزائري: الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، الطبعة الأخيرة، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 2000م، ص:104

[4]: المرجع نفسه.

[5]: عبد العزيز قوصي: أسس الصحة النفسية، ص:475.

وللحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة، فخسف الأرض بقوم لوط، وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة...)[1].

وقد قال رسول اللهﷺ في حرمته:« **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يُفضِي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تُفضِي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد** »[2].

وقالﷺ أيضًا:« **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** »[3]. وذلك لقبح الفعل. وللواط كغيره من الممارسات المنحرفة أضراره الاجتماعية والصحية والنفسية. فعلاوة على كونه يُفسد المجتمع وأخلاقه العامة وينشر الرذيلة والانحلال، فإنّه أيضا يجرُّ إلى أضرار صحية خطيرة وسيئة، فهو يعمل على(...نقل الأمراض التناسلية...مثل الزهري، والسيلان بما لهما من مضاعفات خطيرة...وهناك أيضا الورم الليفي التناسلي الذي ينتشر بصورة كبيرة بين اللواطيين، ويظهر هذا المرض على صورة قرح تنتشر في الأعضاء التناسلية...فإذا تفاقم المرض حدث تورم كبير في الأعضاء التناسلية الخارجية لكل من الذكر والأنثى، ويحدث هذا التورم عادة نتيجة انسداد في الأوعية الليمفاوية بسبب الالتهاب المزمن الذي أصابها.)[4].

إلى جانب ذلك فإنّه يؤدي إلى(...إفرازات صديدية وقروح كثيرة. وفي النهاية يحدث ضيق شديد في فتحة الشرج ينتج عنه زيادة في الإفرازات الصديدية مع نزف دموي من الشرج، مما يسبب انسدادًا كاملا في فتحة الشرج. وقد يُصاب المريض نتيجة هذا بأورام خبيثة في الأعضاء التناسلية لاسيما سرطان المستقيم. ولا يقتصر الضرر الذي يسببه اللواط على نقل الأمراض التناسلية والجنسية ولكن ثبت أنّ هناك علاقة وطيدة بين اللواط وبين التهاب الكبد الوبائي...)[5]. وقد ذكر السيد سابق للواط عدة أضرار صحية ونفسية، منها أنّه(...يصيب مقترفيه بضيق الصدر ويرزئهم بخفقان القلب، ويتركهم بحال من الضعف العام يعرضهم للإصابة بشتى الأمراض، ويجعلهم نهبة لمختلف العلل...)[6].

---

[1]: السيد سابق: فقه السنة، 272/2.

[2]: مسلم: الصحيح، الحيض، تحريم النظر إلى العورات، 238/2.

[3]: أبو داود: السنن، الحدود، فيمن عمل عمل قوم لوط، ح(4464)، 269/4.

الترمذي: السنن، الحدود، ما جاء في حد اللوطي، ح(1456)، 57/4.

ابن ماجه: السنن، الحدود، من عمل عمل قوم لوط، ح(2561)، 856/2.

أحمد: المسند، بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2732)، 464/4.

الحاكم: المستدرك، الحدود، من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط،ح(8047)،355/4. وقال:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وقال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(15535)، 1154/1.

[4]: محمد داوود الجزائري: الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، ص:107.

[5]: المرجع نفسه.

[6]: السيد سابق: المصدر السابق، 274/2.

ورغم هذه الاكتشافات العلمية الخطيرة فيما يخص هذا السلوك الشنيع إلاّ أنَّا نسمع عن بعض الدول الغربية التي تحمل لواء التطور العلمي تبيح مثل هذه السلوكات القبيحة وعلى رأسها "هولندا". وهذا ما يؤكد لنا نجاعة الدين الإسلامي وتقدمه على كل التشريعات والقوانين البشرية فهو دين العلم والعمل، وهو ما يبرز حكمته البالغة في تحريمه لمثل هذه السلوكات وعقابه عليها، فالله تعالى هو خالق الإنسان ومُسير شؤونه وقد سطَّر له كل الأحكام التي تتوافق وفطرته التي جُبل عليها، وهو لم يُشرِّع له في إطار العلاقات الجنسية غير الزواج فلا ينبغي على الإنسان التعدي ومجاوزة الحدِّ لأنّ في ذلك هلكة له.

- **السحاق:**

وهو أيضا من الشذوذ الجنسي ولكنّه عكس سابقه فالأول يقع بين جنس الرجال، والسحاق يكون بين النساء. وهو في حرمته وبشاعته كاللواط، وأيضا يعود بأضرار كثيرة على مقترفيها. وعلى رأسها فقد المرأة للرغبة الجنسية السليمة بطريق الزواج فتصبح تبحث عن العاطفة الجنسية في بنات جنسها.

وقد يكون الدافع إليه والبداية التي تنطلق منها في كثير من الحالات الشائعة هو حدوث تعلق بشخصية امرأة أخرى ترى فيها كل الصفات التي تحبها وتريدها في نفسها، ويكون ذلك في ذات الحين ممزوجًا بفقر عاطفي جنسي مما يسبب تحولاً عاطفيًا من حب أخوي إلى تفكير جنسي، وإن حصل توافقٌ بينهما – المرأتين– على ذات الأفكار والمشاعر حدث المنكر والانحراف، وهو الدافع أيضا في كثير من حالات اللواط، وفوق أنّ هذين الصورتين — اللواط والسّحاق– انحراف للطبيعة البشرية فإنهما أيضا تقودان لانقطاع النسل الإنساني.

- **التَّبَتُّل:**

والتبتل من حالات الانحراف في التعامل مع الغريزة الجنسية. وهو لغة مصدر"بتل" وهو بمعنى:(القَطْع بَتَله يَبْتِله ويَبْتُله بَتْلاً وبَتَّله فانْبَتَل وتَبَتَّل أَبانَه من غيره...وتَبَتَّلَ إِلى الله تعالى انقطع وأَخلص وفي التنزيل وتَبَتّل إِليه تبتيلاً...والتَّبَتُّلُ الانقطاع عن الدنيا إِلى الله تعالى...)[1].

وفي التبتل المأمور به في الآية القرآنية، فقد قال ابن كثير في تفسيره:(أي: أخلص له العبادة. وقال الحسن: اجتهد وبتّل إليه نفسك. وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي: أنّه نهى عن التبتل، يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج.)[2]. والتبتل في الاصطلاح يراد به أحد أمرين:

(– الانقطاع إلى الله في العبادة وإخلاص النية انقطاعًا يختص به...

– الانقطاع عن النكاح. والأول مأمور به شرعًا، والثاني منهي عنه.)[3].

---

[1]: ابن منظور: لسان العرب، مادة" بتل"، 42/11.

[2]: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 2987/4.

[3]: مجموعة من المختصين: نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، 872/3.

ونص حديث النبيﷺ الذي نهى فيه عن التبتل بالمعنى الثاني. هو عن سعد بن أبي وقَّاصٍرضي الله عنه قال:« **ردَّ رسول اللهﷺ على عثمان بن مظعون التَّبتُّل ولو أذن له لاخْتَصَينَا** »[1].

وعليه فيكون الحديث مخصّصٌ لمعنى الآية في مفهوم التبتل، وإلاّ فالنبيﷺ كان له تسع نسوة توفي عنهنَّ، ولو كان الأمر في الآية يحتمل معنى الانقطاع لما تزوج النبيﷺ.

والتبتل في طبيعته خروج عن الفطرة الممزوجة بتكوين الإنسان فكيف يمكن إنكار هذا الدافع في النفس وهو يصارعه بين الحين والآخر يريد تلبية حاجاته، وبهذا يدخل الإنسان في صراع داخلي بين متطلباته التي يريد من الجانب الروحاني وبين متطلبات جسده الغريزية. ولذلك لا منأى أبدًا من الحل الشرعي السليم وهو الوسطية بين المتطلبات جميعًا، فَبِهِ يتم التكامل بين المطلبين والتكميل لهما دون تعطيلٍ لأيٍّ منهما.

وخلاصة الانحرافات جميعها أنّ هذه السلوكات الخاطئة قد تتعدد وتختلف باختلاف الحيل والوسائل الشريرة للاستجابة الغريزية، ولكنّ الإنسان لن يجد أبدًا أفضل من التشريع الإسلامي في جميع قضاياه ومن ذلك أحكام الغريزة الجنسية.

المطلب الثاني: غريزة الأكل والشرب وتعامل السنة معها.

تُعدُّ غريزة الأكل والشرب من أهم الغرائز في النفس وأقواها، بل من العلماء من عدَّها أقوى الغرائز على الإطلاق. ذلك أنّ حاجاتها في اليوم تتسع لعدة مرات، فلا يمكن للفرد أن لا يأكل ولو مرة واحدة في اليوم. ولا يمكنه أن يستغني عن شرب الماء إذا ما أصابه عطش، ولا يمكنه أن يستغني عن شرب الماء يومًا كاملاً. ولذلك فهو دافع يلازم حياة الإنسان اليومية إلى آخر عمره. ولكنّ هذا الدافع يعمل في إطار محدّد له لا يصح تعديه وتجاوز مقداره، كما لا يصح إغفاله وإهماله.

الفرع الأول: أهمية غريزة الأكل والشرب في حياة الفرد.

قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران/14]. وغريزة الأكل والشرب مهمة أولاً وقبل كل شيء من حيث أنها فطرة في الإنسان لا يمكنه تجاوزها. وتماشيًا مع متطلبات هذه الغريزة بثَّ اللهعزوجل في الأرض أنواعًا كثيرةً من الأطعمة

[1]: البخاري: الصحيح، النكاح، ما يكره من التبتل والخصاء، ح(5073)،4/7.
مسلم: الصحيح، النكاح، استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح(1402)، 1020/2.

والأشربة على اختلاف مذاقها وألوانها وأشكالها. قال تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[عبس/24-31]. وقال ﷻ:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد/04].

وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة/29].

وفي الأمر بأكل الطيبات منها جميعًا، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[البقرة/172].

والذي نلحظه في التشريع الإسلامي هو إعطاء هذه الغريزة حقّها من الأهمية، سواء من حيث طبيعتها كفطرة إنسانية أو من حيث الأحكام التي تختص بها. وهي ككل غريزة لديها حدود تُشبعُ من خلالها حاجاتها فإنّ قلَّلَ الإنسان من قدر هذا الإشباع أضرّ بها وإن زاد عنه أضرّ بها على السواء.

يقول الغزالي:(فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما. والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدّة الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدّة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات...)[1]. ثم يقول:(...ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات...ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء...)[2].

هذا لمن أسرف في تغذية هذه الغريزة فأدى به الحال إلى تقديسها وتعظيم شأنها فوق ما ينبغي لهـــا فيكون

---

[1]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 71/3.

[2]: المصدر نفسه.

منه الإفراط. ومثله في مجاوزة الحدّ من يهمل أمرها ويتجاوز طلباتها فيكون من التفريط، وفي كلا الحالتين تنجم الأضرار عامة، سواء الدينية في التخاذل مثلا عن العبادات والتثاقل للقيام بها في حال الإفراط أو عدم القدرة الجسدية على القيام بها لضعفها في حال التفريط. وأيضا أضرار نفسية تبرز في ضعف النفس حيال طلبات البطن المتواصلة، وصاحب الشهوة الغالبة على أمره تجده مضطرب الحال أكثر الوقت وهو يبحث عمّا يأكله ويشربه. وقد تَبدُر منه أحياناً سلوكات اندفاعية غير سوية نتيجة رؤيته لطعام أو شراب معين.

أمّا عن أضراره الصحية فهي كثيرة لا تحصى، ذلك أنّ المعدة هي بيت الداء، وهي بذلك مدخل لكثير من الأمراض، عن طريق مختلف الأطعمة التي يتناولها الإنسان وما يمكن أن تحمله معها من أضرار.

إنّ نقص التغذية أو سُوءها أدّى بالكثير من الناس إلى الموت، ولا يزال إلى يومنا يجرف الكثير منهم. ولذلك فغريزة الأكل والشرب في الإنسان ضرورية لحياته واستمرارها، وهي أيضا سبب يودي إلى هلاكه وضياعه.

الفرع الثاني: ضوابط غريزة الأكل والشرب في السنة النبوية.

وقد جعل الله تعالى لهذه الغريزة آداب عدّة، وقيّدها بضوابط تضمن لها حسن سيرها لحياة الإنسان، وقد أجمل الغزالي جملة منها في قوله:(وأوّل ما يغلب عليه من الصفات شَرَهُ الطعام فينبغي أن يؤدّب فيه، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يُعوَّد الخبز القفار في بعض الأوقات ... ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم...)[1]. ومنها:

1- ضرورة الأكل من الحلال الطيب: فاشترط الإسلام على المسلم عدم الأكل إلا من الحلال الطيب الذي ينفع الإنسان ولا يضره، وهو كثيرٌ جدًا على وجه الأرض، نَوَّع اللهﷻ منه الكثير من الأنواع، فكان فيها جميعا فسحة للإنسان يأخذ منها ما يشاء فَيُغنيهِ عن أكل الحرام أو شربه. قالﷻ:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ** ﴾[البقرة/168].

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ

[1]: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 64/3.

تَعۡبُدُونَ ﴾[البقرة/172]. وقال تعالى أيضا:﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[الأنعام /142].

ومنه أيضا قوله ﷻ:﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾[طه/81].

وجعله الله ﷻ من نعيم الجنّة فقال:﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[الطور/19]. لأنها غريزة في الإنسان، وواحدة من الشهوات التي يحبها. وقد وُعِدَ في الجنّة بالتمتع بكل ما يحب فيها فكان منه الطعام والشراب اللذيذ الطيب.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« **أيُّها الناس إنّ الله طيِّب لا يقبل إلا طَيِّبًا وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾. وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾، **ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أَشْعَث أَغْبَر يمُدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا ربِّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي بالحرام فأنَّى يُستجاب لذلك** »[1].

وفي مقابل ذلك منع عنه كل ما يضر به من الأطعمة والأشربة وحرمها عليه. وفصَّلها له جميعًا وبين علَّة تحريم بعض منها، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة/03]. فهذه الأصناف من الأطعمة المذكورة في الآية هي جميعًا مضرة بالجسم الإنساني وقد تبين ضرر الكثير منها بالعلم الحديث.

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة/90]. وقال تعالى في تعليل حُكمه:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾[البقرة/219]. ولذلك كان من تبعات الأكل من الحلال الطيب التحقق من مصدر الأكل إن كان الفرد ضيفًا، أو أهدي إليه، أو تُصُدِق به عليه ونحوه. ومن ذلك ما رُوي عن خالد بن الوليد ﷺ:« **أنّه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة وهي خالته**

[1]: مسلم: الصحيح، الزكاة، قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح(1015)، 703/2.

وخالة ابن عباس فوجد عندها ضَبًّا مَحنُوذًا قد قَدِمَت به أختها حُفَيدَة بنت الحارث من نجْدٍ فقدَّمت الضَّب لرسول اللهﷺ وكان قَلَّما يُقدِّم يده لطعام حتى يُحدَّثَ به ويُسَمَّى له. فأَهْوَى رسول اللهﷺ يده إلى الضَّب فقالت امرأةٌ من النِّسوة الحضور أَخبِرنَ رسول اللهﷺ ما قدَّمتُنَّ له هو الضَّبُّ يا رسول الله فرفع رسول اللهﷺ يده عن الضَّب. فقال خالد بن الوليد أَحَرَام الضَّب يا رسول الله؟ قال: لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأَجِدُني أَعَافُه قال خالد:فَاجْتَررتُه فأَكَلتُه ورسول اللهﷺ ينظر إلَيَّ »[1].

والشاهد في الحديث هو قولهم أنّ النبيﷺ ما كان يأكل من طعام يُقدم له إلاّ حُدّثَ له عنه.

وكان النبيﷺ يحثّ على الأكل من الجهد الخاص، فهو أطيب ما يأكله الإنسان لأنّه حلال خالص إذا كان العمل جائز. قالﷺ:« **عن رسول الله قال: ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإنّ نبيَّ الله داودعليه السلام كان يأكل من عمل يده** »[2].

2- **التسمية:** فمن الآداب الواجب التحلي بها عند الجلوس للطعام أن يبدأ المسلم أكله أو شربه بالبسملة، والمسلم يتعلم أنّ كل ما يقدمه من عمل إنما هو للقرب من الله تعالى ورجاء رضاه، حتى لو كان أكل وشرب، والتي يكون فيه الطلب من نداء الجسم أو من الاحتياجات الفيزيولوجية له غالبًا.

والبسملة واحدة من الطرق التي تربط العبد بربه في كل حين، وانظر إلى عدد المرات التي يحتاج فيها المسلم إلى البسملة كلما همَّ بإدخال شيء في فمه من ماء أو طعام. وتكون بذلك غريزة الأكل والشرب وجه من وجوه العبادة.

وقد كان النبيﷺ يُعلم هذا الأدب حتى للصبيان والغلمان كي ينشئوا عليه، ومن ذلك ما رواه عمر بن أبي سلمةرضي الله عنه قال:« **كنتُ غلامًا في حَجْرِ رسول اللهﷺ وكانت يدي تَطِيش في الصَّحفة فقال لي رسول اللهﷺ: يا غلام سَمِّ الله وَكُل بيمِينك وَكُل مما يَلِيك فما زالت تلك طِعمَتِي بَعدُ** »[3].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت:« **كان رسول اللهﷺ يأكُل طعامًا في سِتَّة نَفَر، فجاء أَعَرابي فأكله بِلُقمَتَين، فقال رسول اللهﷺ: أما إنَّه لو كان سَمَّى بالله لكفاكم، فإذا أكل أحدكم طعامًا فليذكر اِسم الله عليه، فإن نَسِي في أَوَّله فَليقل: بسم الله أَوَّله وآخره** »[4]، والبركـــة في الطعـــام من أكبر مغـــازي

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأطعمة، ما كان النبيﷺ لا يأكل حتى يسمى، ح(5391)، 71/7.

[2]: البخاري: الصحيح، البيوع، كسب الرجل وعمله بيده، ح(2072)، 57/3.

[3]: البخاري: الصحيح، الأطعمة، التسمية على الطعام والأكل باليمين، ح(5376)، 68/7.

مسلم: الصحيح، الأشربة، آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ح(2022)، 1599/3.

[4]: أبو داود: السنن، الأطعمة، التسمية على الطعام، ح(3769)، 407/3.

ابن ماجه: السنن، الأطعمة، التسمية عند الطعام، ح(3264)، 1086/2.

الدارمي: السنن، الأطعمة، في التسمية على الطعام، ح(2020)، 129/2.

ابن حبان: الصحيح،الأطعمة،آداب الأكل،ح(5214)،13/12. قال الألباني:(صحيح)، ينظر:صحيح ابن ماجه،ح(3255)،224/2

التسمية عليه. فلأنّ الإنسان شغوف دائما بالإكثار مما يحب، كان له أن يعوض الكمية الكبيرة من الطعام بالبسملة فجعلت البسملة مكان الكمية الكبيرة منه وهكذا يتحقق الاكتفاء.

وعن أمية بن مخشي قال:« **كان رسول اللهﷺ جالسًا ورجلٌ يأكل فلم يُسَمِّ حتى لم يبق من طعامه إلا لُقمَة فلما رفعها إلى فِيهِ قال: بِسم الله أوَّله وآخره فضحك النبيﷺ ثم قال: ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله عزَّ وجلَّ اسْتَقَاءَ ما في بطنه** »[1].

3- **الأكل باليد اليمنى:** جاء في السنة النبوية الدعوة إلى ضرورة الأكل باليمنى دون اليسرى، فاليد اليمنى قد اختصت بالقيام بالأعمال الشريفة الرفيعة ومن بينها الأكل والشرب الذي هو قوام حياة الإنسان. ونهى في المقابل عن الأكل بالشمال.

عن ابن عمرﷺ أنّ رسول اللهﷺ قال:« **إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله** »[2].

وأيضا حديث عمر بن أبي سلمة السابق الذكر، قال:« **كنتُ غلامًا في حَجْرِ رسول اللهﷺ وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحفَة فقال لي رسول اللهﷺ يا غلام سَمِّ الله وَكُلْ بيمينك وَكُلْ مما يَلِيك فما زالت تلك طِعمَتِي بَعدُ** »[3].

4- **الأكل مما يليه:** والحديث السابق قد حثّ على هذه المسألة ودعا إليها، ذلك أنّه من غير الأدب أن ينظر المرء إلى ما يلي غيره أو ما في يديه، لأنّ ذلك يورث الطمع في النفس وعدم الاكتفاء بما في اليد، وقد يُعلم ذلك أيضا سلب حقوق الناس من مختلف الأشياء سواء يكون مالاً أو متاعًا، فيقع بذلك المحظور من السرقة أو الغصب والنهب، أو الربا والرشوة وغيرها. ثم إنّ القصعة التي يأكل منها عدد من الأفراد يُعَدّون بالتفافهم الجماعي حولها شركاء فيها وينبغي احترام هذه الشراكة.

5- **أن لا يعيب طعاما قُدّم إليه:** لم يُؤْثَر على النبيﷺ أنّه عاب طعاما قط أو علّق عليه بسوءٍ إلا أن يكون محرمًا، فعن أبي هريرةﷺ قال:« **ما عَابَ النبيﷺ طعامًا قطُّ إن اشتَهاهُ أكله وإلا تركه** »[4]، وهذا دلالة على رفعة النفس عن الاهتمام بنوع الطعام وذوقه ولونه، والاكتفاء بما قدم فقط وكان هذا الطعام يلبي غرضه من سدّ الحاجة.

---

[1]: أبو داود: السنن، الأطعمة، التسمية على الطعام، ح(3770)، 407/3.

أحمد: المسند، حديث أمية بن مخشي، ح(18963)، 296/31.

الحاكم: المستدرك، الأطعمة، ما زال الشيطان يأكل معه..، ح(7089)، 108/4. قال:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

[2]: مسلم: الصحيح، الأشربة، آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ح(2020)، 1598/3.

[3]: سبق تخريجه، ينظر ص: 131.

[4]: البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبيﷺ..، ح(3563)، 190/4.

6- **عدم الأكل متكئًا:** ومن آداب المؤمن أن يُحسن الجلسة للطعام فلا يأكل مضطجعًا ولا متكئًا، بل يستقيم في جلسته لكي لا يسيء إلى منظره وهو يأكل فيظن فيه غيره بعض السفه، أو التكبر والتعالي.

قال رسول اللهﷺ يُحدث عن نفسه ليقتدي به الناس في ترك هذه الجلسة وهو القدوة الذي أرسل للعالمين، قالﷺ:« **لا آكلُ مُتَّكِئًا** »[1]، وفي الأكل متكئًا أضرار صحية ذلك أنّ الجسم لا يكون مستقيمًا ليمر الطعام عبر المريء بشكل سليم إلى المعدة.

قال ابن القيّم في ذلك:(وقد فسر الاتكاء بالتربُّع، وفُسِّر الاتكاء على الشيء، وهو الاعتماد عليه، وفُسِّر بالاتكاء على الجنب. والأنواع الثلاثة من الاتكاء، فنوعٌ منها يضر بالآكل، وهو الاتكاء على الجنب، فإنّه يمنعُ مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويَعوقُه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، فلا يستحكم فتحها للغذاء، وأيضا فإنها تميل ولا تبقى منتصبة، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة. وأما النوعان الآخران: جلوس الجبابرة المنافي للعبودية...)[2].

7- **تكثير الأيدي على الطعام:** وتكثير الأيدي على الطعام يكون لطلب بركته ولذته، فهو يكون أكثر لذة عندما يلتفُّ حوله جمعٌ فيؤلف القلوب ويزيد من المحبة ويُعلم الاجتماع والتعاون بين الناس، كما أنّه يُعَلم النفس عدم الاستحواذ على الطعام لوحدها مما يدفعها إلى القضاء على الأنانية في كل شيء.

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة** »[3].

وهذا من بركته.

وفي حديث طويل عن مجاهد أنّ أبا هريرة رضي الله عنهكان يقول:« **أالله الذي لا إله إلا هو إن كُنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنتُ لأشُدُّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه. فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا لِيُشبعني. فمرَّ ولم يفعل. ثم مرَّ بي عمر فسألتُه عن آية من كتاب الله ما سألتُه إلا لِيُشبعني. فمرَّ فلم يفعل ثم مرَّ بِي أبو القاسمﷺ فتَبَسَّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هِرٍّ. قلت: لبَّيك يا رسول الله. قال: الْحَقْ ومضى فتبعتُه فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لَبنًا في قَدحٍ فقال: من أين هذا اللَّبَن قالوا: أهْدَاه لك فلان أو فلانة قال: أبا هِرٍّ. قلتُ: لَبَّيك يا رسول الله. قال: الْحَقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعُهُم لي. قال: وأهل الصُّفَّة أَضيَاف الإسلام لا يَأْوُون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتَته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتَته هدية أرسل إليهم وأصاب**

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأطعمة، الأكل متكئا، ح(5398)، 72/7.

[2]: ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، ص:167.

[3]: البخاري: الصحيح، الأطعمة، طعام الواحد يكفي الاثنين، ح(5392)، 71/7.

مسلم: الأشربة، فضيلة المواساة في الطعام القليل، ح(2058)، 1630/3.

منها وأشركهم فيها. فسَاءَني ذلك فقلت: وما هذا اللَّبَن في أهل الصُّفَّة كنتُ أَحقُّ أنا أن أُصِيب من هذا اللَّبَن شربةً أَتَقَوَّى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أُعطِيهم وما عسى أن يَبلُغني من هذا اللَّبَن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسولهﷺ بُدٌّ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلُوا فاستَأذَنُوا فأَذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: يا أبا هِرٍّ. قلت: لَبَّيك يا رسول الله. قال: خُذ فأَعطِهم. قال: فأَخَذتُ القدح فجعلتُ أُعطيهِ الرجل فيشرب حتى يَروَى ثم يَردُّ عليَّ القدح فَأُعطيه الرجل فيشرب حتى يَروَى ثم يَردُّ عليَّ القدح فيشرب حتى يَروَى ثم يَردُّ عليَّ القدح حتى انتهيتُ إلى النبيﷺ وقد رَوِيَ القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال: أبا هِرٍّ. قلت: لَبَّيكَ يا رسول الله قال: بَقِيتُ أنا وأنت. قلتُ صَدَقتَ يا رسول الله. قال: اقْعُد فاشرب. فقعَدتُ فشرِبتُ. فقال: اشرَب. فشربتُ فما زال يقول اشرب حتى قلتُ: لا والذي بعثك بالحقِّ ما أَجدُ له مَسلَكًا. قال: فأرِني. فأعطَيتُه القدح فحمد الله وسمَّى وشرب الفَضْلَة »[1].

وقد ظنَّ أبو هريرة أنّ اللبن لن يكفي أهل الصفّة قدرًا في قوله:" وما هذا اللبن في أهل الصفة"، ولكن كان العكس. وفي هذا الحديث فوائد عديدة وعظيمة وعلى رأسها أنّ النبيﷺ أراد أن يُعلم أبا هريرة أنّه رغم كونه في شدّةٍ من الجوع إلاّ أنّه يتوجبُ عليه أن ينظر لحال من هُم أشدُّ منه جوعًا وتأملاً لمن يدعوهم إلى طعام يسدون به رمقهم، وأيضًا فيه إشارةٌ إلى أهمية المشاركة في الطعام حتى ولو كان قليلاً.

8- **أن ينهي أكله بحمد الله والثناء عليه:** فكما بدأ طعامه وشرابه بذكر الله فإنّه أيضا ينهيه بذكر الله ليكون في جملته من بدايته إلى نهايته عبادة خالصة له تعالى، فعن أنس بن مالكرضي الله عنه قال:قال رسول اللهﷺ :« **إنّ الله لَيَرضَى عن العبد أن يأكُل الأَكلَة فيحمدهُ عليها أو يشرب الشربة فيحمدهُ عليها** »[2].

9-**عدم النفخ في الطعام والتنفس في الإناء:** وقد نهى النبيﷺ عن النفخ في الطعام، وهو بذلك أحد آداب الأكل والشرب، عن ابن عباس قال:« **نهى رسول اللهﷺ عن النَّفْخِ في الطعام والشراب** »[3].

وفي النهي عن التنفس في الإناء ورد عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه(رضي الله عنهما) قال: قال رسول اللهﷺ:« **إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه وإذا تمَسَّح أحدكم فلا يتمسَّح بيمينه** »[4].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الرقاق، كيف كان عيش النبيﷺ، ح(6452)، 96/8.

[2]: مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء والتوبة، استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل، ح(2734)، 2095/4.

[3]: أحمد: المسند، بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2818)، 27/5. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(12869)، 1287/1.

[4]: البخاري: الصحيح، الأشربة، النهي عن التنفس في الإناء، ح(5630)، 112/7.

وعن أنسﷺ أنّ رسول اللهﷺ:« **كان يتنفس في الإناء ثلاثًا**»[1]. وفي رواية لمسلم عن أنسﷺ قال:« **كان رسول اللهﷺ يتنفس في الشراب ثلاثًا ويقولُ إنه أَرْوَى وأَبْرَأ وأَمْرَأ** »[2].

وقد قال ابن حجر في علّة النهي:(النهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره، إذ كان التقذُّر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنّه لا يتقذر شيئا مما يتناوله فلا بأس. قلت: والأولى تعميم المنع، أَنّه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك.)[3]، وفي ذلك نَقَل كلامًا لبن العربي قال:(وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن محرم على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإنّ فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلِمه، فإن لم يعلمه فهو غش، والغش حرام. وقال القرطبي: معنى النهي عن التنفس في الإناء لئلا يتقذر به من بزاق أو رائحة كريهة تتعلق بالماء، وعلى هذا إذا لم يتنفس يجوز الشرب بنفس واحد، وقيل: يمنع مطلقا لأنه شرب الشيطان...)[4].

وعمومًا فإنّ آداب الطعام والشرب كثيرة في الإسلام، أحاط بها غريزة الأكل والشرب كي يلبي في إطارها حاجاتها، ويحقق بها معاني الإنسانية السامية البعيدة عن الحيوانية، ويحيا في إطار أخلاقي منظم.

الفرع الثالث: مبدأ الاعتدال في الأكل والشرب في السنة النبوية.

دعا الإسلام إلى الاعتدال في كل شيء ومن ذلك التعامل مع غريزة الأكل والشرب، لأنّه إن لم يكن في الأمر اعتدال كان فيه الإسراف والتبذير أو التقتير والتفريط.

والتقتير في الطعام وتحبيب الجوع هي عادة الزهاد الذين يُعِدُون للجوع فضائل كثيرة، كما تحدث الغزالي في الإحياء فذكر للجوع عشرة فضائل وفوائد جسدية ونفسية ودينية وغيرها[5]، أمّا الإسراف في الطعام فهو عادة عامة الناس في غالب أحوالهم وعليه التحذير الكبير لأنّه يحوي سلبيات عدّة على النفس والجسم.

وقد اعتبر ابن القيّم الإسراف في الطعام أحد مفسدات القلب في قوله:(والمفسد له من ذلك نوعان: **أحدهما**: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات، وهي نوعان: محرمات لحق الله، كالميتة والدم ولحم الخنزير وذي الناب من السباع والمخلب من الطير. ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغصوب والمنهوب... و**الثاني**: ما

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأشربة، الشرب بنفسين أو ثلاثة، ح(5631)، 112/7.

مسلم: الصحيح، الأشربة، كراهة التنفس في نفس الإناء، ح(2028)، 1602/3.

[2]: مسلم: الصحيح، الأشربة، كراهة التنفس في الإناء، ح(2028)، 1602/3.

[3]: ابن حجر: فيتح الباري، 117/10.

[4]: المصدر نفسه.

[5]: ينظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 74/3.

يفسده بقدره: وتعدي حده، كالإسراف في الحلال، والشبع المفرط فإنه يثقله عن الطاعات...وقوي عليه مواد الشهوة وطرق مجاري الشيطان ووسعها...ومن أكل كثيرا شرب كثيرا، فنام كثيرا. فخسر كثيرا.)[1].

ورغبة الإنسان في الأكل أو الشرب في طبيعتها يمكن أن تثار بعدة مثيرات سواء داخلية أو خارجية، والدافع الداخلي للأكل الوحيد هو حصول الجوع الناتج عن تنبيهات تحدث في مستوى المعدة حيث (...يقوم المركز المختص في الدماغ بترجمة هذه الإحساسات، ويُعتقد أنّ هناك مركزًا خاصًا يتلقى إحساسات الجوع، ومركزا لإحساسات العطش، ويتم تنبيه المركزين عن طريق درجة تركيز السكر والماء في الدم، حيث تترجم هذه التنبيهات إلى ما يعرف بإحساس الجوع والعطش وعندما يتم الشبع تصل الإشارات إلى مركز الشبع والرّي فيترجمها المركز في صورة إحساس بالامتلاء.)[2]. وهذه الآليات البيولوجية هي في الأصل من تُنَظِمُ للإنسان وقت أكله وشربه ومقدار كل منهما.

ورغم ذلك فإنّ المثير لهذه الغريزة ليس واحدًا بل هناك إلى جانب المثيرات الداخلية مثيرات خارجية تعمد إلى إثارة الشهوة في نفس الإنسان فالشهية البشرية(يمكن أن تثار بالنظر والمذاق رغمًا عن فقدان الجوع الفيزيولوجي، كما أنّ هذه الشهية يمكن أن تثار بواسطة المشهيات المختلفة من مشروبات ومخللات وغيرها، أضف على ذلك أنّ رؤية الآخرين طعامهم تستثير شهية الطعام، وهذه المؤثرات جميعها لا تؤثر في وقت الطعام فحسب بل تؤثر إلى جانب ذلك في مقدار الطعام ونوعه أيضا...)[3]. هذا وإنّ عدد(...مرات الطعام المعتادة لها أهميتها وبقطع النظر عن الحاجة الفيزيولوجية، فإذا تعودنا مثلا أن نأكل عددًا من المرات في اليوم نجد أننا نميل إلى الطعام في الأوقات المعينة حتى ولو كنا غير جائعين..)[4]. ولذلك كان لا بدّ من حرص النفس على عدم الإفراط في الطعام مادام لها كل هذه القابلية للإكثار منه، خاصة وأنّه غريزة تتبعها لذة قد تدفع الفرد إلى الإكثار منه فقط لمجرد اللذة، دون حاجة إليه.

وقد نهى النبيﷺ في عدد من الأحاديث عن الإسراف في الطعام وتتبع شهوته، ومنها:

قولهﷺ:« **ما ملأ آدميٌّ وِعاءً شرًّا من بطنٍ بحسبِ ابن آدم أُكُلات يُقِمنَ صُلبَه فإن كان لا محالة فَثُلث لطعامه وثُلث لشرابه وثُلث لِنفسه** »[5].

---

[1]: ابن قيم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين، ت: أبو عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص:200.

[2]: محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: 187.

[3]: فاخر عاقل: علم النفس دراسة التكيف البشري، ص:160.

[4]: المرجع نفسه.

[5]: الترمذي: السنن، ، ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ح(2380)، 590/4.

ابن ماجه: السنن، ، الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، ح(3349)، 1111/2.

أحمد: المسند، حديث المقداد بن معدي كرب، ح(17186)، 422/28.

الحاكم: المستدرك، الرقاق، ما ملأ أدمي وعاء شر من بطنه، ح(7945)، 331/4. وقال:(حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وعن نافع قال:« **كان ابن عمر لا يأكل حتى يُؤتَى بمسكين يأكل معه فأدخَلتُ رجلا يأكل معه فأكل كثيرا فقال: يا نافع لا تُدخِل هذا عليَّ سمعتُ النبيﷺ يقول: المؤمن يأكل في مِعًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء** »[1]. قيل في معنى الحديث:(ليس المراد به ظاهره وإنما هو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا والكافر وحرصه عليها فكان المؤمن لتقلله من الدنيا يأكل في معي واحد، والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء، فليس المراد حقيقة الأمعاء ولا خصوص الأكل وإنما المراد التقلل من الدنيا والاستكثار منها...وقيل المراد حض المؤمن على قلة الأكل إذا علم أن كثرة الأكل صفة الكافر، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر، ... قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾، وقيل بل هو على ظاهر)[2].[محمد/12].

وقد جاء الخطاب الرباني بالأمر بالاقتصاد وعدم الإسراف، قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[الأعراف/31]. وقال أيضا ﷻ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[الأنعام/141].

إنّ الإسراف في الطعام يؤدي كما قال ابن القيّم إلى كثرة النوم وبالتالي زيادة الوزن، فالإسراف يؤدي بالضرورة إلى السُمنة التي هي أحد الأمراض المعِديَّة التي يحذر منها، والسمنة كعلة تصيب الجسم تُهيئ بدورها للإصابة بعدة أمراض أخرى، فمن أخطارها(...تهيئة الجسم للأمراض المعدية والحادة، والإنذار السيئ للعمليات الجراحية، وكذلك لالتهاب الحوصلة المرارية وحصواتها، والتهاب المفاصل ودوالي الأطراف وارتشاح عضلات القلب والنزلة الشعبية المزمنة والذبحة الصدرية...انتشار البول السكري والضغط العالي، وضعف القلب وتصلب الشرايين)[3]. وعليه فوقايةً للجسم وعلاجًا له ينبغي على كل ذي لبٍ أن يمنع نفسه الإسراف في الطعام والشرب، ولذلك كان من الوسائل التي أمر بها اللهﷻ للتخفيف من نهمة الأكل هو الصيام. وقد جاء صيام رمضان لعدة أغراض، منها تهذيب هذه الغريزة وتعليمها مفارقة إشباعها لوقت

---

[1]: البخاري: الصحيح، الأطعمة، المؤمن يأكل في معي واحد، ح(5393)، 7/71.

مسلم: الصحيح، الأشربة، المؤمن يأكل في معي واحد، ح(2062)، 3/1632.

[2]: ابن حجر: فتح الباري، 9/667.

[3]: أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ-2005م، ص:550.

معين، وكذلك الصيام المسنون يُعلِّم الإنسان الصبر على الطعام والشراب والتحكم بطلباته الغذائية، هذا ناهيك عن فوائد الصيام التي تقي وتعالج من أضرار الشبع الغذائي. وعليه فَعَلى الإنسان أن يعمد إلى الأكل والشرب على قدر حاجته، وأن يُعلم نفسه الصيام لكي تفارق تعلقها به، ثم إن المعدة كائن حيوي إذا تعلم تلقي الطعام في أوقات منظمة فلن يطلبه في غيرها، فعلى المرء أن يجنبها الفوضى والإسراف.

المطلب الثالث: غريزة التملك وتعامل السنة معها.

تُعد غريزة التملك أحد أقوى الغرائز في النفس الإنسانية فمن طبيعة الإنسان التي غرز عليها حبه في تملك كل ما يرغب فيه ويشتهيه من مال أو متاع. قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران/13]،ولأن انحرافها ممكن كان لا بد من ووضعها تحت ضوابط وأحكام تعمل في إطارها.

الفرع الأول: أهمية غريزة التملك في حياة الفرد.

إنّ الإنسان غرزت في طبيعته الرغبة في حوزة كل ما يراه في محيطه وكل ما يسمع به فيعجبه، وإنّ لهذه الغريزة من الأهمية ما لا يمكن تجاهله، فهي إلى جانب كونها فطرية فإنّ مظاهرها كثيرة في حياة الإنسان. فخروج الإنسان فقط كل يوم للعمل يعد مظهر من مظاهر الرغبة في التملك للمال، الذي يوفر به كل مستحقاته،إن غريزة التملك تكاد تنافس الغريزة الجنسية وغريزة الأكل والشرب في التفاعل الحياتي للإنسان.

وتماشياً مع هذه الغريزة جعل الله كل ما هو على وجه الأرض مُذلل للإنسان، فقال ﷻ:﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل/14]. وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[غافر/79].

ومع كل هذا التسخير والبسط للكون وما حوى (...وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك، وما حصل عليه يد هذا امتُنعَ عن الآخر إلا بعوض...)[1]. والإنسان بما جبل عليه من غريزة (حريص على ما

[1]: ابن خلدون: المقدمة، ص:317.

يملك، وواضح أن هذا المسلك يتناسب مع منظومة إعمار الكون، فلو فرط فيما يملك ندم حين لا يجد حاجته وربما هلك من افتقاره لأشياء كانت يوما في حوزته...)[1].

والإسلام يدعو إلى الاعتدال في التعامل مع هذا الدافع بأن يسعى فيه بقدر حاجته ولا يتجاوز، وأن يعمل فيه بالطرق المشروعة الحلال للكسب والتملك لا بالطرق العشوائية الفوضوية المخلوطة بالحرام. فالإنسان إذا أشبع هذا الدافع(...بطرق مشروعة فأخذ المال من حلّه وأنفقه في حله، كان واجبًا على المجتمع أن يحمي حقّه في هذا المال، فلا يصادره بغير حقّ، ويضرب على يد من يريد انتزاعه منه، وقد جعلت الشريعة الإسلامية من مقاصدها الخمسة حفظ المال. أما الذي لم يشبع هذا الدافع بَعدُ فَقَد أمَرَته بالسعي في الأرض وطلب الرزق، ووضعت من التشريعات ما ييسر له ذلك وكلّفت المجتمع بتوفير الضروريات الأساسية لكل فرد مثل حقه في اللباس والسكن والمركب والشغل..)[2]. فإن لم يتبين نصيب كل فرد وحدود ملكه وقع التنازع والخلاف بين الناس المفضي إلى المقاتلة والعدوان ويصبح كل واحد منهم يمد (...يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض، ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك. فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس.)[3].

إنّ تدخل التربية الاجتماعية على نمط سير هذا الدافع مما يسهم في انحرافه. انحرافاً يقود إلى السعي خلفه والتعلق به، ورسمه هدفًا للحياة، وبهذا التعلق والحب تكون بداية الانحراف.

ولأنَّ الشريعة الإسلامية عنيت بغريزة التملك وأولتها اهتمامًا بالغًا، نجد الكثير من النصوص الشرعية تحدثت عنها بشتى أشكالها، ونظمت لها أحكامها، وطرق إشباعها وآدابها.

الفرع الثاني: انحراف غريزة التملك عند الإنسان وتعامل السنة معها.

إنّ الإسلام قد أحاط هذه الغريزة بجملة من الضوابط التي تضمن لكل فرد تمتعه بمتلكاته واستمراره في تملكها دون أذية فيها من غيره، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ هذا التمتع منه بها لا يكون بشكل عشوائي، فللتملك أُصوله وآدابه التي ينبغي على كل فردٍ مالكٍ أن يتقيّد بها.

---

[1]: محمد سلامة أبو المكارم: تركيبة النفس البشرية، ص:46.

[2]: محمد عز الدين توفيق: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص:533.

[3]: ابن خلدون: المقدمة، ص:153.

وقبل هذا وذاك فإنّ الشريعة الإسلامية قد دعت إلى قطع تعلق القلب بالمال وحبه والسعي في الدنيا إلى التكثير منه وتجميعه وتكديسه، كما كان فعل قارون وفرعون وهامان وكل جبابرة الأرض على مَرِّ التاريخ، وهو اليوم يظهر في صور الاستعمار المادي للدول الغنية على الدول الفقيرة والتحكم فيها في عدة مجالات. وفي الأصل أنّ الإنسان لا يأخذ منه إلا قدر ما يحتاج إليه ويضمن له استمراره، فالمال والمتاع وغيرها من الماديات القابلة للتملك تعدّ من حيث أهميتها قِوَام حياة الإنسان والمال يعدّ أحد الكليات الخمس الضرورية لحياته، ورغم ذلك فهي ليست كل شيء فيها، فلو دققنا في ترتيبها ودرجة حفظ المال من بينها جميعاً لوجدناه ينزل في المرتبة الأخيرة منها. وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على أنّ المال ليس كل شيء في حياة الإنسان وليس هو ما عليه التركيز عليه، فقَبْلَه كثير من القضايا الأهم منه. والأصل أن يجعل المؤمن المال في خدمة كل الكليات التي سَبِقته في الترتيب وعلى رأسها الدين.

وقد ورد في أحاديث كثيرة الدعوة إلى ترك الاشتغال بالمال وتجميعه واللهث خلفه دون غيره. فعن أنس بن مالكﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:« **من كانت الآخرة هَمَّهُ جعل الله غناه في قلبه وجمع له شَمْلَه وأَتَته الدنيا وهي رَاغِمة ومن كانت الدنيا هَمَّه جعل الله فَقْرَه بين عَينَيه وفَرَّق عليه شَمْلَه ولم يَأْتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له** »[1].

ومن أكبر ما يهتم به الإنسان في دنياه تجميع المال بأشكاله من نقود وعقار وأراض وأنعام وغيرها. وذلك ما أخبر عنه اللهﷻ في طبيعة الإنسان لحب المال في قوله تعالى:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[الكهف/46]. وقال تعالى:﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[الفجر/20]. وحذّر من فتنته، فقالﷻ:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[التغابن/15].

وعن أبي سعيد الخدريﷺ قال:« **إنّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول اللهﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده. فقال: ما يكون عندي من خير فلن أَدَّخِره عنكم**

---

[1]: الترمذي: السنن، صفة القيامة والرقائق والورع، منه، ح(2465)، 642/4.

الطبراني: المعجم الكبير، أحاديث عبد الله بن العباس، ح(11690)،266/11. قال الألباني:(صحيح)، ينظر: الجامع الصغير وزيادته، ح(11356)، 1146/1.

ومن يَستَعفف يُعِفَّه الله، ومن يَستَغن يُغنِه الله، ومن يَتصَبَّر يُصَبِّره الله، وما أُعطِي أحد عطاءً خَيرًا وأَوسَع من الصَّبرِ »[1].

وفي حديث عن أبي هريرةﷺ قال:« **أنّ النبيﷺ كان يومًا يُحدِّث وعنده رجل من أهل البادية أنّ رجلاً من أهل الجنة استَأذَن رَبَّه في الزَّرعِ فقال له: أَوَلَستَ فيما شِئتَ؟. قال: بلى، ولكني أُحِب أن أزرع فأسرع وبذر فتبادر الطَّرفَ نباتُه واسْتِواؤه واستِحصَادُه وتَكْوِيرُه أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبِعك شيء. فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قُرشيًّا أو أنصاريًّا فإنهم أصحاب زَرعٍ فأما نحن فلسنا بأصحاب زَرعٍ فضحك رسول الله** »[2].

وعن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب أنّ حكيم بن حزامﷺ قال:« **سألتُ رسول اللهﷺ فأعطَاني ثم سألتُه فأعطَاني ثم سألتُه فأعطَاني، ثم قال: يا حكيم إنّ هذا المال خَضِرَة حُلْوَة فمن أخذهُ بسَخَاوة نفس بُورِك له فيه ومن أَخَذَه بِإشرَاف نفس لم يُبَارَك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السُّفلى. قال حكيم فقلتُ: يا رسول الله والذي بعثك بالحقِّ لا أَرْزَأ أحدًا بَعدَك شيئًا حتى أُفَارق الدنيا. فكان أبو بكرﷺ يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبَى أن يقْبَلَه منه، ثم إنّ عمرﷺ دعاه ليُعطِيه فأبَى أن يَقبَل منه شيئًا، فقال عمر: إني أُشهِدُكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أَعرِضُ عليه حقَّه من هذا الفَيءِ فيأْبَى أن يأخذهُ فلم يَرزَأْ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول اللهﷺ حتى تُوفي**»[3].

وفي التشبيه الوارد في الحديث، قال النووي:(شبهه...بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة...وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأنّ الخضراوات لا تبقى ولا تراد للبقاء...)[4]. وفي معنى قولهﷺ:"بإشراف نفس"، قال:(قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه...)[5].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الزكاة، الاستعفاف عن المسألة، ح(1469)، 122/2.

مسلم: الصحيح، الزكاة، فضل التعفف والصبر، ح(1053)، 729/2.

[2]: البخاري: الصحيح، التوحيد، كلام الرب مع أهل الجنة، ح(7519)، 151/9.

[3]: البخاري: الصحيح، الزكاة، الاستعفاف عن المسألة، ح(1472)، 123/2.

مسلم: الصحيح، الزكاة، بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ح(1035)، 717/2.

[4]: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، 129/4.

[5]: المصدر نفسه.

وهذا الذي كان من حكيم بن حزام توجيه لغريزة التملك التي كانت تطمع في الأخذ فباتت تقنع بما تملك. فالإنسان المفطور على هذه الغريزة أطماعه لا تتوقف عند حدود إشباع حاجاته فقط بل هي دائما تلح على طلب المزيد ما لم تجد لجامًا قويًا يقمع هذه الأطماع ويوقفها عند حدها. ولذلك نجد في الحديث حثّ على التعفف والقناعة بما هو قليل يفي بقضاء الحاجات.

وهو ما أشار إليه النبيﷺ في الحديث الذي يرويه ابن عباس(رضي الله عنهما)، قال:« **سمعتُ النبيﷺ يقول: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتَغَى ثالثًا ولا يملأُ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»[1]. وبالتالي فـ(حب التملك وحب السلطة من الصفات الإنسانية، ومن الدوافع التي تحرك الإنسان إلى الاستحواذ على المال والرغبة في المزيد منه، وقد وصف الرسولﷺ ذلك بقوله:« **ولا يملأُ جوف ابن آدم إلا التراب** »)[2].

ويؤكد النبي الكريمﷺ على أنّ الإنسان لا ينال من هذا المال الذي يسعى لكسبه، ولا يتمتع منه إلاّ بالقليل، عن مُطَرِّف عن أبيهرضي الله عنه قال:« **أتيتُ النبيﷺ وهو يقرأُ ألهاكم التكاثر. قال: يقول ابن آدم مالي مالي. قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أَكَلتَ، فأَفنَيتَ أو لَبِستَ فأَبلَيتَ، أو تَصدَّقتَ فأَمضَيتَ** »[3].

الفرع الثالث: ضوابط غريزة التملك في السنة النبوية.

والإسلام قد أعطى للمال والتملك عمومًا عناية كبرى وخصّه بأحكام وضوابط تضمن كسبه بطرق مشروعة، وحسن استغلاله من قبل مالكيه وكيفية إنفاقه، وتهذيب النفس ومنع تعلقها به. ومنها:

ضرورة السعي لطلب الرزق، فالمال لا يناله صاحبه من دون سعي وتكسب بل لابدّ من القصد للتحصيل وجهد يبذله الإنسان كي ينال هذا المال أو الملك، وإلا فكيف يتبين اختصاصه به من دون غيره ممن على وجه المعمورة وهم كلهم شركاء فيما عليها.

وقد جاءت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعوا إلى ضرورة السعي في طلب الرزق، وفي مقابل ذلك ذمت كل عاطل متكاسل عن طلبه. قالﷻ:﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾[العنكبوت/17].

---

[1]: البخاري: الصحيح، الرقاق، ما يتقى من فتنة المال، ح(6436)، 92/8.

مسلم: الصحيح، الزكاة، لو كان لبن آدم واديان لابتغى ثالثا، ح(1048)، 725/2.

[2]: سعد رياض: موسوعة علم النفس، ص:285.

[3]: مسلم: الصحيح، الزهد والرقاق، لم يسمه، ح(2958)، 2273/4.

ومما ورد عن النبيﷺ في أهمية العمل وطلب الرزق والحث عليه، ما رُوي عن الزبير بن العوامرضي الله عنه عن النبيﷺ قال:« **لأن يأخُذ أحدكم حَبلَه فيأتِي بحُزمَة الحطب على ظهره فيبيعها فيكُفَّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أَعطَوه أو مَنعُوه**»[1]. وعن عائشة(رضي الله عنها) قالت:قال رسول اللهﷺ :« **إنّ من أَطيَب ما أكل الرجل من كَسبِه وولدُه من كَسبِه**»[2].

ورُوي عن أبي حميد الساعديرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **أَجمِلُوا في طلب الدنيا فإنّ كُلا مُيَسَّر لما خُلِق له** »[3]. وجمال الطلب يكون بآدابه وطرقه المشروعة ويكون أيضا بالطلب على قدر الحاجة.

ولا بدّ للمؤمن أن يمزج سعيه في طلب الرزق بحسن التوكل على اللهﷻ فإنّه يزرع في نفسه القناعة ويجمِّل طلبه. رُوي عن عمر بن الخطابرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **لو أنكم كنتم تَوَكَّلُون على الله حقَّ تَوَكُّله لرُزِقتُم كما يُرزَق الطَّيرُ تَغدُو خماصًا وتَرُوح بطانًا** »[4].

ولأنَّ نفس الإنسان معلقةٌ بالمال وحب الملك كان لابدّ من تهذيبها وتطويعها على البذل والإخراج كي تستقيم في سلوكها الغريزي معه، وقد اتخذ الإسلام في تربية هذه الغريزة داخل النفس عدّة وسائل وأدوات متقاربة في هدفها ومضمونها، بين مدح الكرم والحثّ عليه وبين ذمّ البخل والتنفير منه.

فمِمَّا جاء في مدح الكرم والجود وإنفاق المال وبذله في سبل الخير، قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة/261]. فالله تعالى في هذه الآية يُعَلمُ من أعطى قليلاً أخذ كثيراً.فهذه

---

[1]: البخاري: الصحيح، الزكاة، الاستعفاف عن المسألة، ح(1470)، 123/2.

[2]: أبو داود: السنن، البيوع، في الرجل يأكل من مال ولده، ح(3530)، 312/3.
النسائي: السنن، البيوع، الحث على الكسب، ح(4451)، 241/7.
ابن ماجه: السنن، التجارات، الحث على الكسب، ح(2137)، 723/2.
أحمد: المسند، حديث عائشة رضي الله عنها، ح(24148)، 179/40.
الحاكم: المستدرك،البيوع،وأما حديث أبي هريرة،ح(2295)،46/2. وقال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)

[3]: ابن ماجه: السنن، التجارات، الاقتصاد في طلب المعيشة، ح(2142)، 725/2.
الحاكم: المستدرك، البيوع، أجملوا في طلب الدنيا...، ح(2133)، 3/2. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: الجامع الصحيح وزيادته، ح(3971)، 398/1.

[4]: الترمذي: السنن، الزهد، في التوكل على الله، ح(2344)، 573/4.
ابن ماجه: السنن، الزهد، التوكل واليقين، ح(4164)، 1394/2.
أحمد: المسند، أول مسند عمر بن الخطابرضي الله عنه، ح(373)، 439/1.
ابن حبان: الصحيح، الرقائق، الورع والتوكل، ح(730)، 509/2. قال الترمذي:(حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

غريزة التملك تُغري الإنسان لتملك الكثير مقابل القليل. ولأنّ الإنسان يطمعُ دائماً لكسب الأكثر فكان له أن يجد الأكثر بالإنفاق، فجُمِعَ له بين تهذيب غريزته وتلبية رغبتها في وسيلة واحدة.

وقال ﷻ :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[الحشر/05]. فعلق على الإنفاق ثوابًا عظيمًا ومكانةً رفيعة كي يدفع النفس إليه.

وجاء في السنة النبوية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:« **بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له. قال: فجعل يصرفُ بصرهُ يمينًا وشمالاً. فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فَضلُ ظَهرٍ فَليَعُد به على من لا ظَهرَ له، ومن كان له فَضلٌ من زَادٍ فَليَعُد به على من لا زَادَ له. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنّه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فَضلٍ** »[1].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:« **جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصُّوف فرأى سُوءَ حالهم قد أصابتهم حاجة فحثّ الناس على الصّدقة فأبطَئُوا عنه حتى رُئي ذلك في وجهه. قال: ثم إنّ رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّة من وَرِقٍ، ثم جاء آخر، ثم تَتَابَعُوا حتى عُرِف السّرُور في وجهه. فقال: رسول الله ﷺ: من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنة فعُمِل بها بَعدَه كُتِب له مثل أجْر من عمل بها ولا يَنقُص من أُجُورهم شيءٌ. ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سَيِّئة فعُمِل بها بَعده كُتب عليه مثل وِزر من عمل بها ولا يَنقُص من أَوزَارِهم شيء** »[2].

وزاد أن جعل الله ﷻ أحد أكبر الأبواب معلقاً بالمال وهو رُكن الزكاة التي جُعلت فرض عين على كل من وجبت عليه، ليؤدب النفوس الشّحيحة التي تأبى إخراج المال إلا بالفرض عليها. ولم يكن الهدف من الزكاة أن يُنفقَ المال ويُوزَع على الفقراء والمساكين ومن هم في حاجة إليه فحسب، وليس الهدف منها أيضا منع تكديس المال وتوزيعه توزيعاً عادلاً على أيدي الناس فقط، وإنما جاءت أيضا لمنع الشّح فيه وعدم الخضوع بحبه لعبوديته فيصبح المال سيدًا على صاحبه. فالهدف منها أيضا هو أن يترفع الإنسان بشخصه عن المال، وفي ذلك قال تعالى:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة/103]. وهكذا تتكون في النفس إرادة قوية للتخلص من التعلق بالمال، وتصبح(إرادة بذل المال أقوى من نزعة الشح أو البخل، وإرادة الإيثار أقوى من إرادة الإثرة.)[3].

---

[1]: مسلم: الصحيح، اللقطة، استحباب المواساة بفضول المال، ح(1728)، 1354/3.

[2]: مسلم: الصحيح، العلم، من سن سنة حسنة أو سيئة..، ح(1017)، 2059/4.

[3]: مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص:74.

ودعا إلى ترك تكديس المال واحتكاره المولد للبخل والشّح في النفس. فالمال خُلِق للانتفاع به لا لتخزينه، وقد كان النبيﷺ يتعوذ من البخل. عن أنس بن مالكرضي الله عنه:« **أنّ رسول اللهﷺ كان يدعو أعوذ بك من البخل والكسل وأَرذَلِ العُمر وعذاب القبر وفِتنة الدَّجَّال وفِتنة المَحْيَا والمَماتِ** »[1].

وعن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه قال:« **قال عمر: يا رسول الله سمعتُ فلانًا يقول خيرًا، ذكر أنكَ أَعطَيتَه دينَارَين قال: لكن فلان لا يقول ذلك ولا يُثنِي به لقد أَعطَيتُه ما بين العشرة إلى المائة أو قال إلى المائتين. وإنّ أحدهم ليسألُني المسألة فأُعطيها إيَّاه فيخرج بها مُتأبِّطُها وما هي لهم إلا نارٌ. قال عمر: يا رسول الله فلم تُعطيهم؟. قال: إنهم يَأْبَون إلا أن يَسألُوني ويَأْبَى الله لي البخل** »[2].

ونهى الإسلام عن كل المعاملات الخاطئة في الكسب التي تجر لصاحبها ربحًا وفائدة محرمة على حساب غيره، كالربا والرشوة والسرقة والاحتكار والغش والغبن وغيرها. فهي بذلك أكل وكسب حرام لا يصح للمؤمن أن يحيا عليه. خاصةً وأنّ ما هو محرم يجرُّ ضررًا لا محالة سواءٌ على نفسه أو غيره، وعلى رأسها نزع البركة من ماله، فإذا كان يسعى لمضاعفة أمواله فإنّ الحرام يمنعه منها ويصبح يسعى سعيًا جزافًا. لأنّ صاحب المال الحرام مهما سعى فلن يقنع بما عنده ويضلّ يطلب دائماً المزيد مهما كسب.

وعليه فإنّ الشريعة الإسلامية بنصوصها القرآنية والحديثية قد دعت إلى تهذيب غريزة التملك وحسن التعامل معها بما يتوافق وحاجة الإنسان منها. فكان أن دعت إلى الكسب والعمل والسعي في الأرض للحصول على المطلوب مما هو قابل للتملك. ولكن بشرط عدم الإسراف وعدم جعله هدفًا في الحياة وأيضا عدم تكنيزه والتقتير فيه والبخل بعد تملكه، فالمال جُعل للتداول بين الأيدي وذُلِلَ لمنفعة الإنسان وخدمته فلذلك على الإنسان أن يعطيه قدره ولا يتجاوز.

ويمكن اتخاذ هذه الآية خلاصة الكلام في موضوع غريزة التملك وخلاصة قواعدها وضوابطها، قال تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء/26-29].

---

[1]: البخاري: الصحيح، التفسير، قوله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، ح(4707)، 82/6.

مسلم: الصحيح، الذكر والدعاء، التعوذ من العجز والكسل، ح(2706)، 2080/4.

[2]: أحمد: المسند، مسند أبي سعيد الخدري، ح(11123)، 199/17.

ابن حبان: الصحيح، الزكاة، المسألة والأخذ وما يتعلق به..، ح(3414)، 203/8.

الحاكم: المستدرك، الإيمان،وأما حديث محمد بن بشر،ح(143)،46/1.وقال:(صحيح على شرط الشيخين،ولم يخرجاه بهذه السياقة)

الخاتمـــــــــة

توصلت في خاتمة البحث إلى أنَّ السنة النبوية تناولت موضوع الغرائز برؤية واضحة، تحتاج إلى استقراء واستنباط ومقارنة؛ ويظهر ذلك من خلال النتائج الآتية:

1- الغريزة الإنسانية هي الطبيعة والفطرة التي جبل الله عليها الإنسان؛ فليست مكتسبة.

2- الغريزة ملازمة للإنسان، مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً في حياته كلها، ومن هنا تظهر أهميتُها.

3- تختلف الغريزة الإنسانية عن الحيوانية من عدة أوجه؛ ويعتبر العقل - الذي كرم الله به الإنسان - أهم مكون في الإنسان، يَبرز من خلاله هذا الاختلاف.

4- عالجتْ السنة النبوية مشكلات الغريزة، وجعلتها في مقام الوسط بين الإفراط والتفريط، فلا هي أرخت الحبل في تلبية حاجاتها دون ضابط، ولا جمحت النفس وعطلت رغباتها الطبيعية.

5- هناك جملة من الأسباب تؤدي إلى انحراف الغريزة، كالمحيط الأسري والتعليمي، رفقة السوء، وغياب الوازع الديني، إلى جانب وسائل الإعلام المختلفة. ومن العوامل المساعدة على توجيه الغرائز نحو الاستقامة: الدين، العقل، العلم، الإرادة، والضمير.

6- جاءت الأبنية النبوية للغرائز شاملة، بحكم أنها مست مختلف جوانب حياة الإنسان، ويظهر ذلك في: البناء العقدي، والعبادي، والخلقي، والاجتماعي، والفكري، والعاطفي، والجسمي. ويُسْتشَفُّ منه: أن أهم مرحلة في تكييف الغرائز وفق السلوك الإسلامي الصحيح هي مرحلة الطفولة.

7- عند التتبع والاستقراء للسنة النبوية، وجدناها تعالج الانحراف الغريزي وفق منهاج الترغيب والترهيب. فالترغيب يخضع لأساليب وطرق منها: النصح، الإرشاد، عرض التوبة، والاستغفار. أما الترهيب فيتجسَّد: الحدود، القصاص، والتعزير.

هذا خلاصة ما توصلت إليه، فإن أصبت فمن اللهﷻ وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

وصلي اللهم على سيدنا وقرة أعيننا محمد بن عبد اللهﷺ وآله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث باللغة العربية:

الغريزة في اللغة هي الفطرة والطبيعة المغروزة في الإنسان، وفي مفهومها الاصطلاحي هي سلوك فطري غير مكتسب ناتج عن حاجة طبيعية داخلية في الفرد فلا تُستمد من المجتمع، وهي موجودة عند جميع الناس لا تنقص غريزة عند فرد دون غيره أو تزيد. وتمتاز الغريزة بعدة خصائص وميزات تطبع السلوك الغريزي في الغالب، منها أنها عامة على جميع الناس، وأنها غرضية و تلقائية، وأيضا قابلة للتهذيب.

والغريزة في استعمالها الاصطلاحي تتداخل مع كثير من المصطلحات الأخرى، منها: الفطرة والشهوة والأخلاق من جهة الاستعمال الشرعي الإسلامي، وكذا مع: الدافع والباعث والحاجة، من جهة استعمال علم النفس الحديث. وللغرائز أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع، فَيَكفيها في ذلك أنها تتدخل في سلوكه الذي يترتب عليه الجزاء والعقاب، علاوةً على أنها ضرورية لحياته واستمراره من عدة جوانب.

وللغرائز أنواع كثيرة، عدَّها العلماء فبلغت ما يزيد على الخمسين غريزة، وكل واحدة منها تلعب دوراً مهمًا في حياة الفرد، ولأنّ الغرائز تتفاوت في مستوى تفاعلها داخل الجسم الواحد كان من أكبرها تأثيرًا داخل النفس هي: غريزة الأكل والشرب، الغريزة الجنسية، والغريزة التملك، وأيضا غريزة الغضب.

وقد اختلف أسلوب التعامل لدى الشعوب مع الغريزة على مرِّ العصور، فمنهم المفَرِّط في حقّها ومنهم المفْرِط في ذلك، ونجد ذلك حتى لدى النظريات المعاصرة التي تزعمت علم النفس الحديث، من مثل النظرية القصدية لصاحبها ماكدوجل، ونظرية دارون، ونظرية فرويد.

وللغرائز عوامل عدّة تسهم في انحرافها عن السبيل القويم الذي خُلقت عليه، ومن بين هذه العوامل: ضعف التربية الأسرية والتربية التعليمية، وضعف الوازع الديني أو غيابه داخل الفرد، وكذا الصحبة السيئة التي تحيط به، إضافة إلى تأثير وسائل الإعلام المختلفة وبثّها لما يُشجع على انحراف الغرائز.

ولكي يجنب الفرد كل عوامل الانحراف لا بدّ من البناء الصحيح لشخصيته. وهنا نجد التكامل النبوي في التعامل مع الغرائز، ذلك أنّ السنة النبوية اهتمت بموضوعها اهتمامًا بالغًا وأصلّت للتعامل معها في جميع حالاتها ومجالاتها، ومن ذلك: البناء العقدي، والبناء العبادي، والبناء الأخلاقي، والبناء الفكري، والبناء الاجتماعي، وكذا البناء الجسماني، والبناء العاطفي. فالالتزام بهذه القواعد والأسس البنائية يَقي الفرد وبنسبة كبيرة من الانحراف الغريزي.

وقد امتاز المنهج النبوي بميزة الوسطية في التعامل مع الغرائز، فأعطاها ما يلزمها من حقوق دون إفراط أو تفريط، بعيدا عن المغالات في تقديسها وجعلها كل شيء في حياة الفرد، أو التفريط فيها وقمع كل رغباتها وحاجاتها.

هذا وإنّ العوامل التي تساعد الفرد على تحكمه بغرائزه كي يقيها من الانحراف، كثيرة، منها ما يحيط به كالعلم وتطوره، وتوسعة مجالات التوعية في المجتمع، ومنها ما ينبعث من داخلها كـ: الدين، والعقل، والضمير. ويُسهم في ذلك أيضا الحوار الفكري الذي يجنبه الوقوع في المنكر من مثل الإرشاد والنصح، والحث على التوبة والاستغفار إذا ما وقع الفرد في منكر وجريمة سببها اندفاع غريزي وثورة عمياء منها.

ومن الوسائل العلاجية أيضا بعد الوقوع في انحراف الغريزة هو العقاب، فيكون العقاب على سلوكه المنحرف بعقوبة متباينة حسب حجم جريمته وخطورتها على الفرد والمجتمع، وتتلخص جميع العقوبات على الجرائم بأنواعها في الإسلام في ثلاثة أقسام هي: الحدود، أو القصاص، أو التعزير.

وقد كان في رسول اللهﷺ المثال الأكبر لذلك والقدوة الحسنة التي جسدت في واقعها كل هذه العوامل والضوابط التي تضمن حسن التعامل مع الغرائز بمنهج وسط لا تفريط فيه للغرائز، ولا إفراط في التعامل معها.

Abstract in English:

In the language instinct is the instinct and nature Almgruzh in humans, and in the conventional concept of instinctive behavior is unearned eccrine the need for the normal individual there is a built-in derived from the society and all people do not Mugodand decrease instinct when no other person or over. Instinct and features a number of characteristics and features printed instinctive behavior in which it is often the board for all people. Object-and it is going according to a specific purpose which is also automated, as well as they can be trimmed.

Instinct and use them in the terminology and concept of overlap with many other terms, including: the instinct and desire, and ethics. On the use legitimate Islamic, as well as with: the term drive and motivation and the need, on the use of modern psychology.

The instincts of great importance in the life of the individual and society, Vikvaha in that they interfere with the conduct resulting in the penalty and punishment, as well as necessary to his life and its continuation in several respects.

The instincts of many species, the scientists counted, reaching more than fifty instinct in the same individual and each one of them plays an important role in the life of the individual, and because the instincts vary in the level of interaction within the body was one of the most influential within the self: the instinct of eating and drinking, And the sexual instinct, and instinct to own property, and also Gria anger.

The varied and different way of dealing with people with the instinct of all time, Some over-right, including excessive in that, and we find that even in contemporary theories that led modern psychology of such theoretical intentionality to its owner Mcdocal, and the theory of Darwin, and Freud's theory.

And the instincts of a number of factors contribute to the deviation

from the right way Who created it and for them, and among these factors: the weakness of family education, education, education, and the weakness of religious faith or his absence within the individual or social environment, as well as bad friends that surround it, in addition to the influence of various media and broadcast to encourage deviation instincts.

In order to avoid the individual factors of each deviation must be the correct construction of his personality. Here we find the Prophet's integration in dealing With instincts, so that the Sunnah of the Prophet focused on the merits great attention and continued to deal with them in all their standard fields, including: Banna lumpy, construction Abadi, building moral, and build intellectual, and social construction, as well as building physical, and building emotional. Commitment to these rules and principles of building prevents the individual and by a large deviation from the gut.

RPR approach has the advantage of the Prophet's moderation in dealing with what he gave her instincts Alzmemn rights without excessive or overly, away from the strings in the consecrated and made everything in the life of the individual, or the negligence and the suppression of all desires and needs.

Although this factor that helps the individual to govern Pegraúzh to safeguard against many of the deviation, which is surrounded by such as science and its development and expansion of the areas of awareness in the community, Including those emitted from within as: religion, mind, and conscience. And contributes to the intellectual debate also protect him from falling into the evil of such guidance and advice, and encourage us to repent and seek forgiveness if what happened in the individual and the crime of evil caused by rush of instinctive and blind her revolution.

The remedies also after falling into delinquency instinct, written by Islam, we find punishment, so the punishment for his behavior

deviant Baquba differentiated by the size of his crime and the threat to the individual and society, and summed up all the penalties for crimes of all kinds in Islam in three sections: the border, retribution, discretionary.

And because it is human nature can not be suppressed was incumbent on the individual to deal with them to improve in order to achieve a life..... Luxury for himself and others.

It was in the Messenger of Allah peace be upon him example most of that and good examples that embodied in reality all these factors and controls to ensure the proper handling instincts approach the center do not overcook it to the instincts of being innate in man can not be overcome, not over-handle.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنيـــة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجـم لهـم.

رابعاً: فهرس المصطلحات المعـــرفة.

خامساً: فهرس المصادر والمراجـع.

سادساً: فهرس الموضوعـــــات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
ـ سورة البقـــرة ـ		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ... ﴾	16	107
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾	29	203
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ... ﴾	37	167
﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾	45	119
﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ... ﴾	57	76
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ... ﴾	132	108
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾	143	101
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ... ﴾	168	204
﴿ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ... ﴾	170	142
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ... ﴾	172	205-204-203
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ... ﴾	179	180
﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ... ﴾	187	170
﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ... ﴾	197	124
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ... ﴾	219	205
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ... ﴾	222	157
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ... ﴾	223	156
﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	233	154

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ ... ﴾	261	218

_ سورة آل عمران _

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ... ﴾	14	8-120_187_202 _ 213
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ... ﴾	18	82
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ... ﴾	19	77
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾	31	113
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾	135	166_142
﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ... ﴾	159	88
﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ... ﴾	186	87

_ سورة النساء _

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ ... ﴾	28	80
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ... ﴾	65	184

_ سورة المائدة _

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ... ﴾	03	205
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ... ﴾	04	51
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾	33	179
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ... ﴾	38	176
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ.. ﴾	90	205

_ سورة الأنعام _

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ... ﴾	68	56
﴿ ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ... ﴾	71	9

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ... ﴾	141	212
﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرۡشًا ... ﴾	142	205

_ سورة الأعراف _

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا ... ﴾	20	197
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ... ﴾	31	212_102
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ... ﴾	32	156
﴿ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ ... ﴾	81	199_9
﴿ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا ... ﴾	179	152

_ سورة الأنفال _

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾	24	75
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ... ﴾	25	91
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ... ﴾	60	154

_ سورة التوبة _

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ... ﴾	24	99
﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ ... ﴾	103	219
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ... ﴾	104	166
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ... ﴾	114	184

_ سورة هود _

﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ... ﴾	42	55

_ سورة يوسف _

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ... ﴾	111	143

_ سورة الرعد _

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ ... ﴾	04	203

_ سورة النحل _

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ ... ﴾	14	213
﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ... ﴾	68	21
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾	90	196 -127

_ سورة الإسراء _

﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ... ﴾	22	53
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ ... ﴾	29_26	220
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ... ﴾	29	102
﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ... ﴾	70	22

_ سورة الكهف _

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ... ﴾	28	76_56_53
﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾	46	215

_ سورة مريم _

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	59	53

_ سورة طه _

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ... ﴾	81	205

_ سورة الحج _

﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ... ﴾	22	81
﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ... ﴾	77	127

_ سورة المؤمنون _

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ... ﴾	7_5	198_194
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	51	205

_ سورة النور _

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ... ﴾	02	173
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾	17	68
﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ... ﴾	30	190
﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ... ﴾	31	190
﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ... ﴾	33	196
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ... ﴾	58	193_135

_ سورة الفرقان _

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ... ﴾	68	98

_ سورة النمل _

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ... ﴾	90	171

_ سورة القصص _

﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ ... ﴾	50	77

_ سورة العنكبوت _

﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ... ﴾	17	217
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ ... ﴾	43	82
﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ ... ﴾	45	117
﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ... ﴾	49	82

_ سورة الروم _

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... ﴾	21	194_189
﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴾	29	83
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ... ﴾	30	107

_ سورة لقمان _

﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	17	118
﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ... ﴾	20	214

_ سورة الأحزاب _

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	21	126_114_105

_ سورة سبأ _

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ... ﴾	15	156

_ سورة الزمر _

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ... ﴾	09	82

_ سورة غافر _

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا ... ﴾	79	213

_ سورة فصلت _

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	53	140

_ سورة محمد _

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ... ﴾	12	212

_ سورة الذاريات _

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾	56	108

_ سورة الطور _

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ... ﴾	19	205

_ سورة النجم _

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ ... ﴾	23	142_76

_ سورة الجمعة _

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا ... ﴾	02	82_78

_ سورة الحشر _

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ... ﴾	05	219

_ سورة التغابن _

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ... ﴾	15	215

_ سورة التحريم _

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ... ﴾	06	70

_ سورة الملك _

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ ... ﴾	23	138

_ سورة القلم _

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ... ﴾	04	126

_ سورة النازعات _

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ... ﴾	40	196-76_12_10
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ... ﴾	56	115

_ سورة عبس _

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ... ﴾	31-24	203

_ سورة الفجر _

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا... ﴾	20	215

_ سورة الشمس _

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا... ﴾	8_7	126

_ سورة العلق _

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ... ﴾	01	138
﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ... ﴾	14_13	83

_ سورة الماعون _

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ... ﴾	4	55

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الأحاديث	الصفحة
ـ أ ـ	
اتق الله حيثما كنت...	128
ادرءوا الحدود عن المسلمين...	167
استعمل النبيﷺ رجلا من بني أسد ...	165
استعمل رسول اللهﷺ رجلا على صدقات...	185
استيقظ رسول اللهﷺ ليلة فزعا...	52
اضربوه. قال أبو هريرة: فمنا الضارب...	134
اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم...	191
اطَّلع رجل من جُحر في حُجَر...	192
اعدلوا بين أولادكم ...	42
العمد قود إلا أن يعفو...	180
العبادة في الهرج كهجرة إليَّ...	52
الكيِّس من دان نفسه...	97
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله...	152
المجاهد من جاهد نفسه...	97
الدين النصيحة قلنا لمن...	134
الرجل على دين خليله...	56-43
الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل...	122
اللهم انفعني بما علمتني وعلمني...	140
اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت...	166
النكاح من سنَّتي فمن لم يعمل بسنتي...	196
الولد للفراش وللعاهر الحجر ...	174
أالله الذي لا إله إلا هو إن كنتُ...	208

أتى رجل من بني تميم رسول اللهﷺ فقال...	120
أتى رسول اللهﷺ رجل من الناس...	167
أتُقبِّلون صبيانكم؟...	148
أتيت النبيﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر...	217
أتي النبيﷺ بثياب فيها خميصة...	147
أتي النبيﷺ برجل قد شرب قال...	178
أتي النبيﷺ بمال من البحرين فقال...	121
أتي عليرضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم...	171
أتيتُ صَفوان بن عسال المرادي...	138
أجملوا في طلب الدنيا...	218
أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم...	119-99
أردف رسول اللهﷺ الفضل بن عباس...	192
أعطاني أبي عطية فقالت عمرة...	42
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا...	109
ألا إن القوة الرمي...	154
أمرني رسول اللهﷺ فتعلمت له...	87
أنتم الذين قلتم كذا وكذا ...	196
أنّ امرأة من جهينة أتت نبي اللهﷺ...	174
أنّ أسماء بنت أبي بكر دخلت على ...	197
أنّ أعرابيا أتى النبيﷺ فقال...	117
أنّ أعرابيا بايع رسول اللهﷺ على الإسلام...	172
أنّ النبيﷺ أُتي برجل قد شرب الخمر...	178
أنّ النبيﷺ أتي بلص قد اعترف...	169
أنّ النبيﷺ كان يومًا يُحدث...	216
أن النبيﷺ لقي ركبًا بالروحاء فقال...	125
أنّ رجلا اعترف على نفسه بالزنا...	169
أنّ رجلا أتى النبيﷺ فقال...	140

أنّ رجلا سأل النبيﷺ أي الإسلام خير...	135
أنّ رجلا سأل النبيﷺ متى الساعة...	141
أنّ رجلا شكا إلى رسول اللهﷺ قسوة قلبه...	135
أنّ رجلا قال: والله يا رسول الله إني...	118
أنّ رجلا قال: والله! لا يغفر...	166
أنّ رجلا من الأنصار خاصم الزبير...	184
أنّ رجلا من أسلم جاء النبيﷺ فاعترف بالزنا...	174
أنّ رجلا كان عند النبيﷺ فجاء ابن له فقبله...	150
أنّ رسول اللهﷺ أُتي بشراب...	136
أنّ رسول اللهﷺ أُتي بلص فقال...	176
أنّ رسول اللهﷺ سأله رجل فقال...	193-174
أنّ رسول اللهﷺ سئل عن الأمة إذا زنت...	174
أنّ رسول اللهﷺ قال: والذي نفسي بيده...	164
أنّ رسول اللهﷺ كان يدعو أعوذ...	220
أنّ رسول اللهﷺ عدل صفوف أصحابه...	180
أنّ صفوان بن أمية قيل له...	168
أنّ قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية...	170
أنّ ناسا من أصحاب النبيﷺ قالوا...	194
أنّ نفرا من أصحاب النبيﷺ سألوا أزواج النبيﷺ...	164
أنها كانت مع النبيﷺ في سفر قالت...	155
أنه دخل مع رسول اللهﷺ على ميمونة...	205
أنه كانت له عضد من نخل...	185
أنّه مرَّ على صبيان فسلم عليهم...	137
أول ما يقضى بين الناس...	181
أيّها الناس إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيبا...	205
إذا استأذن أحدكم ثلاثا...	193
إذا أتيت مضجعك فتوضأ...	110

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
- ت-	
تشارلس روبرت دارون	31
-س-	
سيجموند فرويد	30
-و-	
وليم ماكدوجال	6

إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه...	207
إذا خطب إليكم من ترضون دينه...	194
إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد...	54
إذا زنى العبد خرج منه الإيمان...	111
إذا سمعت الله تعالى يقول:...	109
إذا شرب أحدكم فلا يتنفس...	209
إنّ الدين يسر ولن يشادَّ الدين...	104
إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا...	163
إنّ الله تبارك وتعالى يقول...	100
إنّ الله قسم بينكم أخلاقكم...	04
إنّ الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا...	191
إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل...	209
إنّ من أطيب ما أكل الرجل ...	218
إنّ من ورطات الأمور التي...	181
إنّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول اللهﷺ...	215
إنما أنا لكم مثل الوالد...	47
إنما جعل الإذن من أجل...	67
إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول...	146
إني أحرج عليكم حق الضعيفين...	150

- ب -

بادروا بالأعمال فتناً...	100
بايعت رسول اللهﷺ في رهط...	97
بتُّ في بيت خالتي ميمونة...	118
بعثت لأتمم صالح الأخلاق...	126
بلغ النبيﷺ أني أسرد الصوم...	96
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم...	109
بينا الحبشة يلعبون...	154

بينما نحن في سفر مع النبيﷺ...	219

- ت -

تحابوا بذكر الله ورُوحهِ...	106
تركت فيكم أمرين لن تضلوا...	78
ترى المؤمنين في تراحمهم...	151
تعافوا الحدود فيما بينكم...	167
تعرض الفتن على القلوب كالحصير...	100
تقطع يد السارق في ربع دينار...	176

- ج -

جاء أعرابي فقال: يا رسول الله اقض بيننا...	174
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيﷺ...	114-104
جاء رجل إلى النبيﷺ فقال...	189
جاء رجل إلى رسول اللهﷺ فقال...	189
جاء ناس من الأعراب إلى رسول اللهﷺ...	219

- ح -

حبس رجلا في تهمة...	185
حجبت النار بالشهوات...	98
حسين مني، وأنا من حسين...	149
حفت الجنة بالمكاره...	98
حق المسلم على المسلم ست...	133

- خ -

خذوا عني فقد جعل الله لهنّ سبيلا...	173
خرجت مع النبيﷺ في بعض أسفاره...	149
خرجت مع النبيﷺ يوم فطر...	118
خطَّ النبيﷺ خطا مُربعا...	64
خيركم من تعلّم...	139

- د -

دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل...	42
دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله...	123-195
دعتني أمي يومًا ورسول اللهﷺ قاعد...	129
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك...	126
دينار أنفقته في سبيل الله...	154

- ر -

رأيت النبيﷺ يسترني بردائه...	155
رأيت سعد بن أبي وقاص أخذ رجلا...	185
رد رسول اللهﷺ على عثمان...	202
رفع القلم عن ثلاثة عن النائم...	79

- س -

سألت أو سئل رسول اللهﷺ أَيُّ الذنب...	98
سألت رسول اللهﷺ عن نظر الفجاءة...	192
سألت رسول اللهﷺ فأعطاني...	216
سبعة يظلهم الله في ظله...	113
سمعت النبيﷺ يأمر فيمن زنى...	174
سمعت النبيﷺ يقول لو كان لابن آدم...	217

- ش -

شهدنا اليرموك، قال: فاستقبلنا عمر...	184

- ص -

صليت مع رسول اللهﷺ صلاة الأولى...	148

- ط -

طعام الاثنين كافي الثلاثة...	208

-ع-

علقوا السّوط حيث يراه أهل البيت...	185
علموا ويسروا ولا تعسروا...	163
عن رسول الله قال ما أكل أحد طعاما قط...	206

- ف-

فضل العالم على العابد كفضلي...	83
فوالذي نفسي بيده لا يؤمن...	114

- ق-

قال العمرة إلى العمرة كفارة...	124
قال الله كل عمل ابن آدم له...	122
قال رسول اللهﷺ لِعَلي: يا علي...	191
قال سعد بن عبادة: لو رأيت...	97
قال عمر: يا رسول الله سمعت فلانا...	220
قال لي رسول اللهﷺ وذلك في السحر...	123
قالوا: يا رسول اللهﷺ أيُّ...	135
قبَّلَ رسول اللهﷺ الحسن بن علي...	146
قدم على النبيﷺ نفرٌ من عُكل...	179
قدم على عمر بن الخطاب رجل ...	173
قدم ناس من الأعراب...	146

- ك-

كافل اليتيم له أو لغيره...	150
كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى...	212
كان الفضل رديف رسول اللهﷺ...	130
كان النبيﷺ أحسن الناس خلق...	149
كان النبيﷺ إذا حزبه أمر...	119
كان النبيﷺ يقول لا يجلد فوق...	186

كان تاجر يداين الناس...	120
كان رسول اللهﷺ إذا أتى باب قوم...	135
كان رسول اللهﷺ جالسا ورجل يأكل...	207
كان رسول اللهﷺ يتنفس في الشراب...	210-156
كان رسول اللهﷺ يأكل طعاما...	206
كان رسول اللهﷺ يزور الأنصار...	147
كان رسول اللهﷺ يصف عبد الله...	155
كان غلام يهودي يخدم النبيﷺ فمرض...	148-110
كان ماعز بن مالك يتيما...	168
كان ناس من الأسرى يوم بدر...	139
كان يتنفس في الإناء ثلاثا ...	210
كانت امرأتان معهما ابناهما...	147
كانت أم ولد لرجل كان له منها ابنان...	172
كانت عندي امرأة من بني أسد...	103
كفى بالمرء إثما أن يحبس...	42
كفى بالمرء إثما أن يضيِّع...	154
كُفَّ عليك هذا. فقلت: يا نبي الله...	127
كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا...	181
كنت أرمي نخل الأنصار فأخذوني...	164
كنت ألعب بالبنات عند النبيﷺ وكان لي...	149
كنت خلف رسول اللهﷺ يوما...	110
كنت عند النبيﷺ فجاءه رجل فقال...	167
كنت غلاما في حجر رسول اللهﷺ...	207-206-130
كنّا عند رسول اللهﷺ فوعظنا...	104
كنّا مع النبيﷺ ونحن فتيان حزاورة...	108

- ل -

لا آكل متكئاً...	208

لا تصاحب إلا مؤمنا...	58
لا تقوم الساعة حتى يكثر المال...	121
لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناس...	142-64-58
لا عقوبة فوق عشر ضربات...	186
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد...	180
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله...	172
لا يزني الزاني حين يزني ...	111-77
لا يشربنّ أحد منكم قائما...	157
لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل...	200-191
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه...	133
لا يوردنّ ممرض على مصح...	157
لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول اللهﷺ...	100
لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي...	218
لتتَّبعنّ سنن من قبلكم شبرا بشبر...	142-64
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل...	181
لعن الله السارق يسرق البيضة...	176
لعلك لمست أو قبلت...	167
لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة...	112
لم نر للمتحابين مثل النكاح...	196
لم يكن النبيﷺ فاحشا ولا متفحشا...	128
لنشوان في رمضان ويلك...	123
لو أنكم كنتم توكلون على الله...	218
ليس من أمتي من لم يجل...	136
ليس منا من تشبه بغيرنا...	64

- م -

ما تركت بعدي فتنة أضر...	196

ما تعدون الصرعة فيكم؟...	140
ما خُيِّر رسول اللهﷺ بين أمرين...	163
ما رأيت أحدًا كان أرحم...	146
ما شيء أثقل في ميزان المؤمن...	128
ما ضرب رسول اللهﷺ شيئا قط...	163
ما عاب النبيﷺ طعاما قط...	207
ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن...	211-157
ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور...	166
ما من مولود إلا يولد على الفطرة...	108 -8
ما نحل والد ولدا من نحلٍ أفضل...	40
مثل الجليس الصالح والجليس السوء...	58
مثل القائم على حدود الله...	99
مرّ النبيﷺ على نفر من أسلم...	155
مرّ ابن عمر براعي غنم، فقال:...	113
من تشبه بقوم فهو منهم...	64
من توكل لي ما بين رجليه...	98
من حجّ لله فلم يرفث...	124
من رأى منكم منكرا فليغيّره...	134-127
من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شرب...	177
من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد...	178
من قتل دون ماله فهو شهيد...	180
من كان أصبح صائما فليتم صومه...	122
من كان له ثلاث بنات...	154-150
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...	127
من كانت الآخرة همَّه جعل الله...	215
من لا يرحم لا يرحم...	148

من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط...	200
من يضمن لي ما بين لحييه...	197-127
من يحرم الرّفق يحرم...	163
من يرد الله به خيرا يُفقه...	139-82
مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء...	197-182 156-118

- ن-

نهى أن يتنفس في الإناء...	156
نهى رسول اللهﷺ عن الوصال في الصوم...	186
نهى رسول اللهﷺ عن النفخ...	209

- و-

والله لا يؤمن والله لا يؤمن...	133
وايم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد...	176
وفي بضع أحدكم صدقة...	156-104
وقد تركت فيكم ما لن تضلوا...	78-52
ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب...	217

- ي-

يا أبا ذر أعيَّرته...	184
يا أيّها الناس توبوا إلى الله...	166
يا بني إنه بلغني أن النبيﷺ...	147
يا رسول الله ائذن لي بالزنا...	140-80
يا رسول الله إني رأيتك...	130
يا رسول الله قل لي في الإسلام...	77
يا رسول الله من أحق الناس بحسن...	58
يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم...	103
يا علي لا تتبع النظرة النظرة...	191
يا وابصة أخبرك أو تسألني...	90

يأتي الشيطان أحدكم فيقول...	110
يوشك الأمم أن تداعى عليكم...	64
يوشك أن يكون خير مال المسلم...	52

رابعًا: فهرس المصطلحات المعرفة

المصطلح	الصفحة
- ج -	
جُؤْنَة	148
- ح -	
حَزَاوِرة	108
- ق -	
القَمْع	102
- ك -	
الكَبْت	102
- ي -	
يَتَقَمَّعْن	149

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

* 1. القرآن الكريم.

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري.

2. رسائل ابن حزم الأندلسي، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1980م.

* ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري.

3. لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.

* الحبيب بن طاهر.

4. الفقه المالكي وأدلته، ط4، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، 1426هـ- 2005م.

* الحسين أبو القاسم بن محمد.

5. المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

* الحسيني الحسيني معدى.

6. التربية الجنسية للمراهقين والشباب من منظور إسلامي، ط1، دار العلم والإيمان، مصر، 2004م.

* الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.

7. ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار التنوير، الجزائر، 2004م.

* الخليل بن أحمد أبو عبد الله الفراهيدي.

8. العين، ت: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

* السيد سابق.

9. فقه السنة، ط1، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1421هـ- 2000م.

* السيد محمد عبد المجيد عبد العال.

10. السلوك الإنساني في الإسلام، ط1، دار المسيرة، عمان- الأردن، 1427هـ- 2007.

* الصاحب إسماعيل بن عباد.

11. المحيط في اللغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ-1994م

* المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

12. موسوعة الفقه الإسلامي، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت.

* المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

13. المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، ط2، أمريكا، 1994م.

* المناوي.

14. فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1415هـ-1994م.

* أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني.

15. السنن، ت: السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، 1386هـ- 1966م.

* أبو القاسم بن الحافظ الطبراني.

16. المعجم الكبير، ت: فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميِّد- خالد بن عبد الرحمن الجريفي، ط1، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، 1427هـ- 2006م.

* أبو القاسم بن الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني.

17. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1983م.

* أبو القاسم بن عساكر الشافعي.

18. تاريخ مدينة دمشق، ت: محب الدين أبي سعيد العميري، دار الفكر، بيروت، 1995.

* أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني.

19. حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

* أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي.

20. السنن الكبرى، ط1، دائرة المعارف، حيدر آباد، 1344هـ.

* أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني.

21. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ت: محمد المنتقى الكشماوي، دار العربية، بيروت، 1403هـ.

* أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني.

22. المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

23. العلل ومعرفة الرجال، ت: وصي الله بن محمد عباس، ط1، المكتب الإسلامي، 1408هـ-1988م.

* أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.

24. كتاب السنن، ط2، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ- 1986م.

* أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدّاد.

25. أخلاق النبيﷺ في القرآن والسنة، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ- 1999م.

* أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي.

26. المسؤولية الخلقية والجزاء عليها دراسة مقارنة، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1417هـ- 1997م.

* أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي.

27. العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ- 1998م.

* أحمد بن علي أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي.

28. الكفاية في علم الرواية، ت: أبو عبد الله السورقي- إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

29. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط3، دار السلام- دار الفيحاء، الرياض- دمشق، 1421هـ - 2000م.

* أحمد بن عمر بن عبد الخالق أبي بكر العبكي البزار.

30. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، ت: محفوظ عبد الرحمن زين الله، ط1، مؤسسة علوم القرآن- مكتبة العلوم والحكم، بيروت- المدينة المنورة، 1416هـ- 1988م.

* أحمد بن فارس أبو الحسين بن زكريا.

31. مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، 1423هـ- 2002م.

* أحمد بن محمد أبو علي بن يعقوب الرازي، المعروف بـ"ابن مسكويه".

32. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ت:نواف الجرّاح، ط1، دار صادر، بيروت، 1427هـ- 2006م

* أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي.

33. شرح مشكل الآثار، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1408هـ- 1987م.

* أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.

34. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.

* أحمد زكي تفاحة.

35. الإسلام عقيدة وشريعة، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة، 1983م.

* أحمد مصطفى متولي.

36. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ- 2005م.

* أسامة ظافر كبارة.

37. برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، ط1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1424هـ- 2003م.

* أسعد السحمراني.

38. الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط3، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1426هـ- 2005م.

* أنس شكشك.

39. علم النفس العام: القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ط1، دار النهج، حلب، 1429هـ- 2009م.

* إبراهيم الدر.

40. الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان، 1415هـ- 1994م.

* إسحاق أحمد فرحان.

41. التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، باتنة- الجزائر.

* إسماعيل بن حماد الجوهري.

42. الصحاح في اللغة: تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1404هـ- 1984م.

* إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي الدمشقي.

43. تفسير القرآن العظيم، ط1، دار بن حزم- مكتبة دار الريان، بيروت- الجزائر، 1423هـ- 2000م.

* إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني.

44. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي.

* إشراف محمود حمدي زقزوق.

45. موسوعة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى بالشؤون الإسلامية- وزارة الأوقاف، القاهرة، 1426هـ- 2005م، ع: 04.

* إميل بديع يعقوب.

46. المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،1417هـ- 1996م

* بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني.

47. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري المسمى بالعيني على البخاري، دار الفكر.

* بندر العبدلي.

48. حماية الناشئة من الانحراف، دار الوطن، 1425هـ.

* تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

49. مجموع الفتاوى، ت: أنو الباز- عامر الجزار، ط3، دار الوفاء، 1426هـ- 2005م.

50. مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، 1425هـ- 2004م.

* جابر عبد الرحمن جابر- علاء الدين كفافي.

51. معجم علم النفس: انجليزي- عربي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988م.

* جامعة الزهر بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة(يونيسف).

52. الأطفال في الإسلام: رعايتهم ونموهم وحمايتهم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2005م.

* جان لابلانش- ح.ب.بونتالبس.

53. معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي،ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان، 1407هـ- 1987م.

* جماعة من المختصين إشراف أحمد أبو حاقة.

54. معجم النفائس الوسيط، ط1، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1428هـ- 2007م.

* جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي.

55. التوشيح شرح الجامع الصحيح، ت: رضوان جامع رضوان، ط1، مكتبة الرشد - شركة الرياض، 1419هـ- 1998م.

* حامد عبد السلام زهران.

56. علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، الرياض.

57. دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي،ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1423هـ- 2003م.

* حنان بنت عطية الطوري الجهني.

58. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة، ط1، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1422هـ- 2001م.

* خالد أحمد العلمان.

59. المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان،1427هـ- 2006م، رسالة ماجستير مطبوعة.

* خالد بن حامد الحازمي.

60. من أهداف التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ- 2002م.

* رحيمة الطيب عيساني.

61. العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، 2010م.

* رشيد زرواتي.

62. مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 1428هـ- 2007م.

* زكريا الأنصاري.

63. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ت: محمد محمد تامر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،

1422هـ- 2000م.

* زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي.

64. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط1، دار البيان العربي، القاهرة، 1421هـ- 2002م.

* زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

65. مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة البنان، بيروت، 1415هـ- 1995م.

* سامي محمد الدلال.

66. الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني، ط1، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1425هـ- 2006م.

* سعد الدين السيد صالح.

67. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة- مكتبة التابعين، الإمارات- القاهرة.

68. نظرية التحليل النفسي عند فرويد...في ميزان الإسلام، ط1، مكتبة الصحابة، جدة- الشرفية، 1414هـ- 1993م.

* سعد رياض.

69. موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008م.

* سليمان بن الأشعث السجستاني أبي داود.

70. السنن، دار الكتاب العربي، بيروت.

* سميح عاطف الزين.

71. علم النفس مجمع البيان الحديث، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة، 1411هـ- 1991م.

* سيجموند فرويد.

72. معالم التحليل النفسي، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1408هـ- 1998م

* سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي.

73. في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1412 هـ.

* سيما راتب عدنان أبو رموز.

74. تربية الطفل في الإسلام.

* شمس الدين أبي عبد الله الحطّاب الرُّعيني.

75. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل،ت: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، بيروت،1423هـ-2003م

* شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بـ"ابن قيم الجوزية".

76. الطب النبوي، ت: محمد تامر – محمد السعيد، ط1، دار الفجر، القاهرة، 1424هـ-2003م.

77. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ت: سيد عمران، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ-2002م.

78. الفوائد، ت: فواز احمد زمرلي، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1423هـ- 2002م.

79. تحفة المودود بأحكام المولود، ت: فواز أحمد زمرلي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1423هـ- 2003م.

80. تهذيب مدارج السالكين، ت: أبو عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

81. الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،ت:عصام الدين الصَّبَابطي، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ- 2004م.

* شهاب الدين محمد بن احمد أبي الفتح الأبشيهي.

82. المستطرف في كل فن مستظرف، ت: محمد خلف يوسف، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1427هـ- 2006م.

* شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي.

83. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* ضياء نمر العوايشة.

84. التربية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة عبد الحميد شومان العامة.

* طارق كمال.

85. أساسيات في علم النفس التربوي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م.

* عبد الحليم عويس.

86. موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، ط1، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ- 2005م.

* عبد الحميد الصيد الزنتاني.

87. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1993م.

* عبد الرحمن الجزيري.

88. الفقه على المذاهب الأربعة، ت: أحمد فريد المزيدي- محمد فؤاد رشاد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2008م.

* عبد الرحمن السخاوي.

89. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي.

* عبد الرحمن بن أبي حاتم أبو محمد الرازي.

90. تفسير بن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

* عبد الرحمن بن خلدون.

91. المقدمة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1431هـ- 2010م.

* عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

92. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1425هـ- 2004م.

* عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

93. الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط8، دار القلم، دمشق، 1431هـ- 2010م.

94. مكايد يهودية عبر التاريخ، ط7، دار القلم، دمشق، 1423هـ- 2002م.

* عبد الرحمن محمد العيسوي.

95. اتجاهات جديدة في علم النفس الجنائي، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت- لبنان،2004م

96. علم النفس الفسيولوجي: دراسة في تفسير السلوك الإنساني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

97. موسوعة علم النفس للتربية والتعليم، بيروت- لبنان.

* عبد الرزاق أبو بكر بن همّام الصنعاني.

98. المصنف، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت،1403هـ.

* عبد العزيز القوصي.

99. أسس الصحة النفسية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1371هـ- 1952م.

* عبد العزيز عامر.

100. التعزير في الشريعة الإسلامية، دار الفكر.

* عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

101. الترغيب والترهيب، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1364هـ.

* عبد العلي الجسماني.

102. القرآن وعلم النفس، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت –لبنان، 1417هـ- 1997م.

* عبد القادر عودة.

103. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي، دار الكتب العلمية.

* عبد الكريم بكار.

104. بناء الأجيال.

* عبد الله أبي بكر بن محمد بن أبي شيبة.

105. المصنف في الأحاديث والآثار، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.

* عبد الله أبي محمد بن عبد الرحمن الدارمي.

106. سنن الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م.

* عبد الله بن أحمد بن قدامى المقدسي أبو محمد.

107. المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

* عبد الله بن مسلم ابن قتيبة.

108. غريب الحديث، ت: عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ.

* عبد الله ناصح علوان.

109. تربية الأولاد في الإسلام، ط31، دار السلام، القاهرة، 1418هـ- 1997م.

* عز الدين الخطيب التميمي.

110. نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب، باتنة.

* عطية صقر.

111. موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ط1، الدار المصرية للكتاب، 1410هـ- 1990م.

* علاء الدين السمرقندي.

112. تحفة الفقهاء، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1414هـ- 1993.

* علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي.

113. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ت: علي محمد عوض- عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

* علي أحمد مدكور.

114. منهج التربية الإسلامية أصوله وقواعده، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1407هـ- 1987.

* علي بن خلف أبو الحسن بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي.

115. شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ- 2003م.

* علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني.

116. التعريفات، عناية، مصطفى أبو يعقوب، ط1، مؤسسة الحسنى، الدار البيضاء- المغرب، 1427هـ- 2006م.

* علي عبد الحليم محمود.

117. التربية الإسلامية في سورة النور، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1415هـ- 1994م.

* علي محمد الصلابي.

118. الوسطية في القرآن الكريم، ط1، دار النفائس- دار البيارق، عمان- الأردن، 1419هـ- 1999م.

* عماد علي عبد السميع حسن.

119. الإسلام واليهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1425هـ-2004م.

* عمار جيدل- عبد المجيد صلاحين- عبد الكريم وريكات.

120. العولمة من منظور شرعي، ط1، دار ومكتبة الحامد، عمان- الأردن، 2002م.

* عمارة نجيب.

121. الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، ط2، مكتبة المعارف، الرياض، 1406هـ- 1986م.

* فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي.

122. حقيقة اليهود، دار الشهاب، باتنة.

* فاخر عاقل.

123. علم النفس دراسة التكيف البشري، ط8، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1982م.

* فتحي يكن- رامز طنبور.

124. العولمة ومستقبل العالم العربي الإسلامي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1421هـ-2000م.

* فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي.

125. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1313هـ.

* 126. قراءة توضيحية في الإنجيل كما أوحى به الله إلى القديس لوقا، 2002م.

* لطفي عبد الوهاب يحي.

127. تاريخ اليونان والرومان موضوعات مختارة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2007م.

* مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.

128. الموطأ، ت: طه عبد الرؤوف الشريف، ط1، 1424هـ- 2003م.

* مالك بن نبي.

129. مشكلات الحضارة: في مهب المعركة، ط7، دار الفكر، دمشق، 1427هـ- 2006م.

* مجد الدين أبو السعدات المبارك ابن الأثير الجزري.

130. جامع الأصول من أحاديث الرسول، ت: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، دار البيان، 1389هـ.

* مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

131. القاموس المحيط، دار الكتاب العربي.

* المنتدى الإسلامي.

132. مجلة البيان، العدد: 73.

* مجلس النشر العلمي.

133. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد: 24، رجب 1415هـ- ديسمبر 1994م.

* مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن مَلوح.

134. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط3، المملكة العربية السعودية، دار الوسيلة، 1425هـ- 2004م.

* محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العلوي الهرري الشافعي.

135. شرح صحيح مسلم: المسمى الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار المنهاج- دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، 1430هـ- 2009م.

* محمد الجوهري حمد الجوهري.

136. العولمة والثقافة الإسلامية ، دار الأمين، القاهرة.

* محمد بن الحسن أبو يعلى الفراء الحنبلي.

137. الأحكام السلطانية، ت: محمود حسن، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1414هـ- 1994م.

* محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

138. مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة البنان، بيروت، 1415هـ- 1995م.

* محمد بن أحمد أبو عبد الله بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي.

139. الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني- إبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ- 1964م.

140. الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2003م.

* محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان.

141. مشكلات تربوية تواجه الناشئة والتعليم والمجتمع،ط1، دار عالم الكتب،الرياض، 1420هـ- 1999م

* محمد بن إسماعيل البخاري.

142. الأدب المفرد، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ- 1989م.

143. الجامع الصحيح، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ- 1987م.

* محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم.

144. صحيح ابن حبان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ- 1993م.

* محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي.

145. مشكاة المصابيح، تحقيق وتخريج: الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ- 1985م.

* محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري.

146. المستدرك على الصحيحين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1411هـ- 1990م.

* محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي.

147. اللآلي المنثورة ، ت: محمد بن لطفي الصباغ، دار الكتب العلمية.

* محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

148. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،دار الفكر العربي، بيروت.

149. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية.

* محمد بن عمرو أبو عبد الله بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي.

150. مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ- 2000م.

* محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

151. كتاب السنن، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* محمد بن محمد أبو حامد الغزالي.

152. إحياء علوم الدين، مراجعة: صدقي محمد جميل العطار، ط1، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1423هـ- 2003م.

* محمد بن نصر أبو عبد الله بن الحجاج المروزي.

153. تعظيم قدر الصلاة، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط1، مكتبة الدر، المدينة المنورة، 1406هـ.

* محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجه القزويني.

154. السنن، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

* محمد بيومي.

155. جرائم اليهود مع الأنبياء: سلسلة الثقافة عبر التاريخ.

* محمد حسن أبو يحي.

156. أهداف التشريع الإسلامي، ط1، دار الفرقان، عمان- الأردن، 1405هـ- 1985م.

* محمد داوود الجزائري.

157. الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، الطبعة الأخيرة، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، 2000م.

* محمد سلامة أبو المكارم.

158. تركيبة النفس البشرية: حجة...ومرجعية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1423هـ- 2003م.

* محمد شمس الحق أبو الطيب العظيم آبادي المنذري.

159. عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

* محمد عبد الرحمن أبو العُلاَ بن عبد الرحيم المباركفوري.

160. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،1410هـ- 1990م

* محمد عبد العزيز عمرو.

161. اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط1، دار النفائس، الأردن، 1429هـ- 2009م.

* محمد عثمان نجاتي.

162. الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق.

* محمد عز الدين توفيق.

163. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي،ط2، دار السلام، القاهرة- مصر، 1423هـ- 2002م.

164. دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ط3، دار السلام، القاهرة، 1424هـ- 2004م، رسالة ماجستير مطبوعة.

* محمد عطية الأبراشي.

165. التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتاب الحديث، الكويت.

* محمد علي أبو ريان- حربي عباس عطيتو.

166. دراسات في الفلسفة اليونانية(أرسطو والمدارس الفلسفية المتأخرة)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م.

* محمد عماد الدين إسماعيل.

167. الطفل من الحمل إلى الرشد: السنوات التكوينية، ط2، دار القلم، الكويت، 1415هـ- 1995م.

168. الطفل من الحمل إلى الرشد: الصبي والمراهق، ط1، دار القلم، كويت، 1409هـ- 1989م.

* محمد قطب.

169. منهج التربية النبوية، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1407هـ- 1987م.

* محمد محمود بني يونس.

170. سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط1، دار المسيرة، عمان- الأردن، 1427هـ- 2007م.

* محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي.

171. تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1428هـ-2007م.

* محمد مصطفى زيدان- نبيل السمالوطي.

172. علم النفس التربوي، ط1، دار الشروق، جدة، 1400هـ- 1980م.

* محمد مصطفى زيدان.

173. الدوافع والانفعالات، ط1، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية، 1404هـ- 1984م.

174. نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

* محمد ناصر الدين الألباني.

175. الجامع الصغير وزيادته، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406هـ- 1986م.

176. السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.

177. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: محمد زهير الشاويش، ط1، المكتب الإسلامي، 1399هـ- 1979م.

178. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1412هـ- 1992م.

179. صحيح ابن ماجه، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1417هـ- 1997.

180. صحيح أبي داود، ط1، دار غيراس، الكويت، 1423هـ- 2002م.

181. صحيح سنن الترمذي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.

182. ضعيف أبي داود، ط1، دار غيراس، الكويت، 1423هـ- 2002م.

* محمد نور عبد الحفيظ سويد.

183. منهج التربية النبوية للطفل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1430هـ- 2009م.

* محمود السيد.

184. التاريخ اليوناني والروماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م.

* محمود بن عمرو أبو القاسم بن أحمد الزمخشري جار الله.

185. الفائق في غريب الحديث والأثر، ت: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، بيروت.

186. أساس البلاغة، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

* محمود شاكر.

187. موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، ط1، دار أسامة، عمان- الأردن، 2002م.

* محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي.

188. صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر.

* مروان إبراهيم القيسي.

189. المدخل إلى علم النفس في الإسلام، ط1، 1427هـ- 2006م.

* مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري.

190. الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* مصطفى العدوي.

191. فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ط1، دار ماجد عسيري، 1419هـ- 1998م.

* مصطفى محمد الطحان.

192. التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006م.

* معروف زريق.

193. علم النفس الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1408هـ- 1989م.

* مقداد يالجن.

194. أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط3، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م.

* منى حداد يكن.

195. أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ- 1983م.

* موسوعة الكتاب المقدس.

196. رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية.

* نصير بوعلي.

197. التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر دراسة ميدانية، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر.

* نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.

198. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ- 1988م.

* وهبة الزحيلي.

199. موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، ط1، دار المكتبي، سوريا- دمشق، 1427هـ- 2007م.

* ياسين صلاواتي.

200. ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ- 2001م.

201. www.fajrweb.net

202. Ar.Wikipedia.org

203. www.saaid.net

سادساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ
الفصل الأول: الغرائز في المفهوم الحديث.....	1
المبحث الأول: تعريف الغريزة وخصائصها.....	2
المطلب الأول: تعريف الغريزة في اللغة.....	2
المطلب الثاني: تعريف الغريزة في الاصطلاح.....	3
الفرع الأول: تعريف الغريزة في الاصطلاح الشرعي الإسلامي.....	3
الفرع الثاني: تعريف الغريزة في اصطلاح علماء النفس.....	5
الفرع الثالث: النسبة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي.....	6
المطلب الثالث: الغريزة وعلاقتها بمصطلحات أخرى.....	7
الفرع الأول: ماله صلة بالاستعمال الشرعي الإسلامي.....	7
الفرع الثاني: ماله صلة باستعمال علماء النفس.....	10
المطلب الرابع: خصائص الغرائز وعملها في النفس الإنسانية.....	13
المبحث الثاني: أهمية الغرائز وأنواعها والفرق فيها بين الإنسان والحيوان.....	16
المطلب الأول: أهمية الغرائز في النفس الإنسانية.....	16
المطلب الثاني: أنواع الغرائز وأقسامها.....	17
المطلب الثالث: الفرق بين الإنسان والحيوان في الغريزة.....	21
المبحث الثالث: واقع الغرائز عبر العصور.....	24
المطلب الأول: الغرائز في العصور القديمة.....	24
الفرع الأول:الغرائز عند اليونان.....	24

الفرع الثاني: الغرائز عند الرومان.....	25
المطلب الثاني: الغرائز عند أهل الكتاب.....	26
الفرع الأول: الغرائز عند اليهود.....	26
الفرع الثاني: الغرائز عند النصارى.....	28
المطلب الثالث: النظريات الحديثة في دراسة الغرائز.....	29
الفرع الأول: النظرية القصدية.....	29
الفرع الثاني: نظرية سيجموند فرويد.....	30
الفرع الثالث: نظرية دارون.....	31
الفصل الثاني: أسباب انحراف الغرائز والعوامل المتحكمة بها.....	36
المبحث الأول: انحراف الغرائز أسبابه ونتائجه.....	37
المطلب الأول: مفهوم انحراف الغرائز.....	37
المطلب الثاني: ضعف التربية الأسرية والتعليمية.....	39
الفرع الأول: ضعف التربية الأسرية.....	39
الفرع الثاني: ضعف التربية التعليمية.....	44
المطلب الثالث: غياب الوازع الديني والصحبة السيئة.....	49
الفرع الأول: غياب الوازع الديني.....	49
الفرع الثاني: الصحبة السيئة.....	55
المطلب الرابع: العولمة ووسائل الإعلام المختلفة.....	59
الفرع الأول: العولمة.....	59
الفرع الثاني: وسائل الإعلام المختلفة.....	65
المبحث الثاني: عوامل التحكم بالغرائز.....	75
المطلب الأول: عامل الدين.....	75

المطلب الثاني: عامل العقل.....	78
المطلب الثالث: عامل العلم.....	82
المطلب الرابع: عامل قوة الإرادة.....	85
المطلب الخامس: عامل الضمير.....	88
الفصل الثالث: البناء النبوي للتعامل مع الغرائز.....	95
المبحث الأول: اهتمام السنة بالغرائز ووسطيتها في التعامل معها.....	96
المطلب الأول: اهتمام السنة بالغرائز.....	96
المطلب الثاني: وسطية الإسلام في التعامل مع الغرائز.....	101
المطلب الثالث: التكامل البنائي النبوي في التعامل مع الغرائز.....	105
المبحث الثاني: البناء النبوي في التعامل مع الغرائز.....	106
المطلب الأول: البناء العقدي.....	106
المطلب الثاني: البناء العبادي.....	115
المطلب الثالث: البناء الخلقي.....	125
المطلب الرابع: البناء الاجتماعي.....	131
المطلب الخامس: البناء الفكري.....	137
المطلب السادس: البناء العاطفي.....	144
المطلب السابع: البناء الجسمي.....	152
الفصل الرابع: تهذيب الغرائز في السنة النبوية ونماذج من الغرائز وتعامل السنة معها....	161
المبحث الأول: تهذيب الغرائز في السنة النبوية.....	162
المطلب الأول: تهذيب الغرائز بالترغيب.....	162
الفرع الأول: الترغيب بالنصح والإرشاد.....	162
الفرع الثاني: الترغيب بالتوبة والاستغفار.....	165

المطلب الثاني: تهذيب الغرائز بالترهيب.....	170
الفرع الأول: الترهيب بالحدود والقصاص.....	170
الفرع الثاني: الترهيب بالتعزير.....	182
المبحث الثاني:نماذج من الغرائز وتعامل السنة معها.....	187
المطلب الأول: الغريزة الجنسية وتعامل السنة معها.....	187
الفرع الأول: معنى كلمة جنسي.....	187
الفرع الثاني: أهمية الغريزة الجنسية في حياة الفرد.....	188
الفرع الثالث: ضوابط الغريزة الجنسية في السنة النبوية.....	190
الفرع الرابع: مظاهر انحراف الغريزة الجنسية وتعامل السنة معها.....	198
المطلب الثاني: غريزة الأكل والشرب وتعامل السنة معها.....	202
الفرع الأول: أهمية غريزة الأكل والشرب في حياة الفرد.....	202
الفرع الثاني: ضوابط غريزة الأكل والشرب في السنة النبوية.....	204
الفرع الثالث: مبدأ الاعتدال في الأكل والشرب في السنة النبوية.....	210
المطلب الثالث: غريزة التملك وتعامل السنة معها.....	213
الفرع الأول: أهمية غريزة التملك في حياة الفرد.....	213
الفرع الثاني: انحراف غريزة التملك وتعامل السنة معها.....	214
الفرع الثالث: ضوابط غريزة التملك في السنة النبوية.....	217
الخاتمة.....	222
الفهارس العامة.....	228